الحرب العراقية الإيرانية

١٩٨٠ - ١٩٨٨

عبد الحليم أبو غزاله

الحـرب العراقية الإيرانيـة

١٩٨٠ - ١٩٨٨

تأليف

المشير عبد الحليم أبو غزاله

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

لقد استمرت الحرب العراقية الإيرانية تسع سنوات تقريبا بين دولتين مسلمتين متجاورتين متنافستين . وتعتبر هذه الحرب من أطول الحروب فى تاريخ العالم الثالث الحديث واشترك فيها كل القوى الرئيسية سواء فى الصراع السياسى الذى أحاط بالحرب أو فى القتال الفعلى الذى دار بالمنطقة . ورغم أن الخبراء العسكريين يجمعون على أنها تعتبر حرباً برية أساساً إلا أنها اشتملت على معارك بحرية ، وقصف جوى استراتيجى ، واستخدام للصواريخ أرض أرض لأول مرة ، وكذا للأسلحة الكيماوية فى نطاق محدود ، إلى جانب ما يمكن أن يطلق عليه قتال بالوكالة .

وتوقف القتال بين الدولتين المتحاربتين إلى ما يمكن أن يطلق عليه « حالة اللا سلم واللا حرب » وهوتعبيراً ابتكره الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل فى وصفه لموقف مماثل تم فى جبهة القنال قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ . ولا أحد يعرف أو يمكنه أن يتكهن بأن وقف إطلاق النار الذى اتفق عليه سينتهى أو يؤدى إلى إتفاقية سلام دائم بين الدولتين وحل المشاكل المعلقة بينهما سواء بالنسبة للحدود أو مشاكل عقائدية يرجع تاريخها إلى مئات السنين . أم سيتجدد القتال يوما ما لحسم الأمور بين الدولتين .

لقد قدم كاتب أمريكى معروف وصف لهذه الحرب حينما قال أنها حرب توضح كيف يؤدى الموقف المتوتر الناتج من النمو العسكرى للدولتين الغير محكوم إلى حرب وراءها حرب أخرى أو إلى حرب باردة قد تتحول إلى حرب ساخنة فى أى لحظة ، ومدى ما يشكل ذلك من خطورة على الاستقرار فى منطقة الخليج العربى .

وفى هذا الكتاب حاولت أن أوضح صورة للموقف الدولى والإقليمى قبل الحرب والأسباب التى أدت إلى نشوبها ، وتعرضت باختصار لسير الحوادث بها طبقاً لما أمكننى جمعه من معلومات من عدة مصادر . ولكنى على يقين من أن أسراراً كثيرة عن هذه الحرب لازالت مجهولة لى سيكشف عنها التاريخ فى المستقبل ، وانى أردت أن أضع أمام القارىء العربى صورة لا بأس بها عن هذه الحرب علها تفتح عيوننا وقلوبنا لما يحاك من حولنا يؤثر فى حياتنا وعلى مستقبلنا . فالأمن العربى كل لا يتجزأ ، وما يحدث فى الخليج العربى أو فى

صحراء المغرب على المحيط الأطلسى يؤثر على كل بلد عربى رضى أم أبى . يؤثر على حياة كل شعب عربى وعلى اقتصادياته وأمنه القومى .

وكما هو متوقع من أى صدام عسكرى بمثل هذا المستوى سواء من حيث امتداده الزمنى أو تعدد الأسلحة والمعدات الحديثة التى اشتركت فيه أو من حيث حجم القوات الضخم ، وكذا من سير الحوادث والتطورات الدولية والإقليمية التى أحاطت به لابد نخرج منه بدروس كثيرة فى مجالات الإستراتيجية والفن التعبوى والتكتيك وفى مسائل القيادة والسيطرة ... إلخ المفيدة لكل رجل عسكرى فى أمتنا العربية . لقد استخدم فى هذه الحرب معدات شرقية ومعدات غربية ، ولقد خرج منها كل من المعسكرين بدروس وملاحظات خاصة بتلك الأسلحة فقام بتطوير وتعديل ما لديه من أسلحة ومعدات ، وهو ما شاهدناه بعد ذلك فى حرب الخليج الثانية (غزو العراق للكويت) وكيف استفاد الغرب من الحرب العراقية الإيرانية بصورة يسرت لقوات التحالف أن تهزم حجماً ضخماً من القوات العراقية فى مائة ساعة فقط .

أما الحديث عن تكلفة هذه الحرب فيكاد يكون من المستحيل تقدير هذه التكاليف وهى باهظة ولا شك ، أنهكت كلا من العراق وإيران واستنزفت مواردهما ، وهو هدف رئيسى للدول الكبرى شرقيها وغربيها لمصالح خاصة بها . ويمكن بالنظر إلى ضخامة هذه التكلفة والخسائر التى حدثت فى هذه الحرب أن نتصور آثار أىّ صدام مسلح فى المستقبل على مستقبل الدول سياسياً واقتصادياً . فآثار الحرب العراقية الإيرانية على المستقبل السياسى والاقتصادى لكل من إيران والعراق آثار مدمرة فالإنفاق العسكرى الضخم على المعدات والتسليح والذى لازال دائراً سيمتص الجزء الأكبر من الدخول القومية ويعطل برامج التنمية الإقتصادية والإجتماعية لكلا الشعبين المسلمين .

لقد قدرت بعض المصادر أن الخسائر البشرية وصلت إلى :

٧٣٠٠٠٠	قتيل إيرانى ،	٣٤٠٠٠٠	قتيل عراقى
١٢٠٠٠٠٠	جريح إيرانى ،	٧٠٠٠٠٠	جريح عراقى
٢٠٠٠٠٠٠	لاجئ إيرانى ،	٤٠٠٠٠٠	لاجئ عراقى
٤٥٠٠٠	أسير إيرانى ،	٧٠٠٠٠	أسير عراقى

وأنفقت العراق على شراء الأسلحة والمعدات ١٥٩ مليار دولار وانفقت إيران ٦٩ مليار

دولار .

ولم يدخل فى هذه التقديرات قيمة ما تم تدميره من منشآت وبنية أساسية ، وما كان موجوداً من أسلحة ومعدات قبل بداية الحرب . وهذا يثبت ما ذكرته من الآثار المدمرة لإقتصاد الدولتين . وما هى النتيجة : لا منتصر ولا مهزوم !

هذا وتعتبر الحرب العراقية الإيرانية من أهم الصدامات العسكرية إستراتيجياً فى العصر الحديث . فبخلاف الصدامات التى تحدث فى العالم الثالث هددت الحرب العراقية الإيرانية مصالح كل دولة من دول العالم تقريباً وبدون استثناء .

لقد أثرت الحرب تأثيراً مباشراً على دول لديها إحتياطى بترول يزيد عما يوجد ببعض القارات . لقد أثرت على مستقبل منطقة بها أكثر من ٥٠٪ من احتياطيات البترول فى العالم . إن سريان البترول بسلام من الخليج إلى العالم أمر حيوى لإقتصاديات الكثير من الدول . لقد أثبتت الحرب أن أيا من العراق وإيران كان يمكن أن تخرج من الحرب لتكون القوى المهيمنة فى الخليج وما يحدثه ذلك من آثار على الاستقرار والتوازن ، ولهذا حاولت القوى العظمى أن لا تخرج أيا منهما منتصرة ، بل وأن تخرج كلاهما منهكة تلعق جراحها لفترة طويلة .

ويمكن لأى مراقب أن يلاحظ بسهولة أن هذه الحرب أخذت منذ اللحظة الأولى سمة دولية واسعة عن أى حرب أخرى فى العالم الثالث . فبعد أيام قليلة من بدء الحرب بدأت دول كثيرة من خارج المنطقة تنحاز لطرف ضد الطرف الآخر . وبدأ صراع آخر بين إيران والعراق فى الحصول على حلفاء تمويل ومصادر للأسلحة ، ونجحتا فى اكتساب العديد منهم ، وبدأ انهمار الأسلحة والمعدات إلى كل منهما ، وإن كان إعتماد إيران الرئيسى كان على مواردها الذاتية (انخفضت احتياطياتها النقدية من ١٤,٦ مليار دولار عام ١٩٧٩ إلى ٦ مليار دولار عام ١٩٨٦) . ومن سخريات القدر أن تنحاز سوريا إلى إيران بل وتلعب دوراً رئيسياً فى تدعيمها ، فلقد أغلقت سوريا خط أنابيب البترول العراقى المار بأراضيها ، بل لقد حلقت طائراتها المقاتلة فى الأجواء العراقية حينا لجذب الطائرات العراقية فتخفف من الضغط الجوى على إيران . كما قدمت إسرائيل دعماً ملموساً لإيران وكان الهدف واضحاً وهو أن أضعاف دولة عربية مثل العراق يخرجها من حسابات إسرائيل للتهديدات العربية .

وفى المرحلة الأخيرة من الحرب أخذت طابعاً دولياً عندما تدخلت الدول الغربية والإتحاد السوفيتى فى منطقة الخليج لتأمين الملاحة وسريان البترول من منطقة الخليج إلى الأسواق

الدولية . وتدخلت الأمم المتحدة لفرض وقف إطلاق النار .

كل هذا الخليط من القوى جعل الحرب العراقية الإيرانية ذات أهمية خاصة دولياً ، إلى جانب الخروج بدروس غير تقليدية منها . فإلى جانب الدروس المستفادة من القتال والعمليات البرية والجوية والبحرية فلقد أثبتت كيف تؤثر الإيديولوجيات على مسار أى قتال فى العالم الثالث . وأثبتت لنا نحن العرب — ونحن من دول العالم الثالث — أهمية التكنولوجيا الحديثة وأنها ستؤثر على حياتنا ومستقبلنا ، وإذا أهملنا الحصول عليها فسيكون مصيرنا مظلماً بل حالك الظلام . وأثبتت أهمية الإعتماد على النفس فى الصناعات العسكرية رغم ما يقال عن التكلفة الغالية للتكنولوجيا الحديثة على أن تكون للدفاع عن الأمة العربية والإسلامية وليست لقتال يدور بين العرب والعرب أو بين المسلمين والمسلمين .

لقد صدمتنى جملة وردت فى كتاب لتونى كوردسمان حينما قال : « إن الحرب العراقية الإيرانية أثبتت إنتصار النظام العلمانى العراق على النظام الإسلامى الإيرانى المتطرف » ، وهو يخطىء كثيراً فى ذلك لأن الحرب لم تكن بين نظام علمانى ونظام إسلامى وإنما كانت بين فرس وعرب يرجع تاريخها إلى مئات السنين . وكنت أتمنى أن يكون الإسلام الذى يسود فى الدولتين هو مانع لمثل هذه الحروب . إن هذا التعبير « الكوردسمانى » فيه ظلم كبير لنا كمسلمين ولنا كعرب .

وأمر أخير أريد أن أوضحه فى مقدمة هذا الكتاب أراه بالغ الأهمية . توجد دعوة عارمة للإعتماد فى تسليحنا على مصادر خارجية ، واننا لن نتمكن مهما فعلنا من منافسة الغرب والشرق فى هذا المجال . وأنا أقول أن تصنيعنا للسلاح لا نقصد به منافسة أحد وإنما نقصد به تحقيق أمر صدر لنا من العلى القدير لنا كأمة إسلامية فى قوله تعالى : ﴿ **واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم** ﴾ [صدق الله العظيم]

إن إحصائية وردت فى دراسات كثيرة قدمتها معاهد الدراسات الإستراتيجية الدولية حددت حجم المعدات الموجودة بالعالم الغربى وحده وصلت إلى أرقام هى : دبابات ١٥٠٠٠ — ١٦٠٠٠ دبابة ، طائرات قتال ٢٥٠٠ — ٣٠٠٠ طائرة ، عربات مدرعة ٣٥٠٠٠ ، قطع مدفعية ٢٠٠٠٠ — ٣٠٠٠٠ ، وغير ذلك من المعدات .

فلو افترضنا على سبيل المثال أن عمر الدبابة ١٥ — ٢٠ عاماً فمعنى ذلك أن الإستهلاك

السنوى للدبابات يصل إلى ألف دبابة . فلو اتفقت الدول العربية على توحيد دبابة القتال الرئيسية لقامت صناعة دبابات قوية تغذى الأمة العربية بكل احتياجاتها دون ما حاجة لتصدير وبالطبع لتحقق لها الأمان فى التسليح والتأمين الفنى ... إلخ . والموارد المادية والمالية والبشرية متاحة وبوفرة . وما ينطبق على الدبابة ينطبق على الطائرة ، والتكنولوجيا متوفرة فى كل مكان وفى الأسواق ، والعقول العربية قادرة على مواكبة العصر . ويتعذر على أى قوة كبرى أو عظمى أن تفرض مقاطعة على دولة عربية لسبب أو لآخر .

والعالم ملىء بالأمثلة عن دول فى العالم الثالث نجحت فى الحصول على التكنولوجيا وتصنيع احتياجاتها العسكرية مثل الصين الشعبية والهند وباكستان والبرازيل . ونحن لا نقل عن أى منها إلا فى شىء واحد وهو القرار . إنى أدعو الله من كل قلبى أن يهدينا سواء السبيل وأن يرشد الأمة العربية إلى الطريق الذى يؤمنها أخطار المستقبل . إنه سميع عليم .

الموقف العالمى قبل الحرب

لقد شهد المجتمع الدولى فى سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية تغييرات سريعة ومتلاحقة أثرت بشكل جذرى على شكل وطبيعة العلاقات الدولية السائدة ، فلقد أثر التطور العلمى الذى خدم تلك الحرب فى أحداث ثورة فى وسائل الإتصالات فتلاشت المسافات بين الشعوب وانفتحت على بعضها البعض وأصبح أى حدث فى أى بقعة من العالم مرئياً ومسموعاً فى كل أنحاء العالم لحظة وقوعه ، وأصبحت كثير من الدول قادرة على التحرك بإمكاناتها وقواتها خلال ساعات لتكون فى أى بقعة تريدها فى العالم .

إن التقدم العلمى والتكنولوجى الذى أصبح سمة العصر أحدث متغيرات كثيرة فى شكل حياة الدول والشعوب الأمر الذى أدى إلى وجود فوارق كبيرة بين من يملكون المعلومات والتكنولوجيا ويحسنون إستخدام الوسائل والأساليب وصولا لتحقيق الأهداف وبين من لا يملكون هذه المعلومات وتلك التكنولوجيا ويتجمدون .

لقد أدركت الدول بعد تلك الحرب أهمية البترول كمصدر حيوى للطاقة وأهمية تأمين مصادره دون أدنى تهديد ضمانا لإستمرار التقدم الحضارى وحفاظاً على قدرة إستخدام قواتها فى السلم والحرب وقدراتها الإقتصادية . والأمر الذى لاشك فيه أنه خلال الحقوب الماضية فرضت أزمة الطاقة واقعاً جديداً على العلاقات الدولية وغيرت مواقع الدول على خريطة السياسة العالمية .

وقبل نشوب حرب الخليج الأولى (العراقية الإيرانية) وخلال النصف الأول من الثمانينات كان العالم ينقسم إلى ثلاث مناطق أو أقسام لها معالمها :

— التكتل الشيوعى العالمى (على الخريطة موضح باللون الأحمر)
— التجمع الديمقراطى العالمى (على الخريطة موضح باللون الأزرق)
— العالـم الثـالث (على الخريطة موضح باللون الأخضر)

وبالنسبة للتكتل الشيوعى الدولى والتجمع الديمقراطى العالمى كانت أصول الصراع الدولى ومقاييس اللعبة الدولية وتوازن القوى فيها محدد أو واضح المعالم . وأصبح الشغل

الشاغل لقوى الصراع الدولى بالنسبة لهما هو المحافظة على توازن متقارب فى القوى يقلل بدوره من حدة الصراع فى هاتين المنطقتين ، وظهر ذلك جليا فى سياسات الإنفراج الدولى ومحادثات وإجراءات الحد من الأسلحة الإستراتيجية وتخفيض السلاح وغيرها من مظاهر التوازن والتى انتهت أخيراً فى التسعينات بإنتهاء الحرب الباردة وانهيار الامبراطورية السوفيتية .

أما بالنسبة لدول العالم الثالث (باللون الأخضر) ومنطقة الخليج العربى والشرق الأوسط فى قلبه فكانت محوراً للصداع الدولى بكل أبعاده وهدفاً للنفوذ والتأثير الذى لم يصل إلى أى قدر من التوازن الدولى .

ومنطقة الخليج منطقة من أغنى مناطق العالم بالبترول الأمر الذى أضفى عليها أهمية كبيرة بالنسبة للدول العظمى . وفى الفترة التى سبقت نشوب حرب الخليج الأولى كان البترول يمثل المصدر الرئيسى للطاقة فلقد كان يمثل أكثر من ٤٥٪ من إستهلاك الطاقة فى العالم فى الوقت الذى لا يزيد إستهلاك الفحم عن ٣٠٪ والغاز الطبيعى عن ١٩٪ والمصادر الأخرى (مائية ونووية) عن حوالى ١٠٪ ، فضلاً عن أن الطاقة المولدة من البترول كانت ولا زالت أرخص أنواع الطاقة المستخدمة وبفارق كبير .

وفى هذا الصدد فإن الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا الغربية كانت ولا زالت تستهلك ما يزيد عن ٤٨٪ من البترول العالمى فى الوقت الذى لا تنتج فيه سوى ٢٦٪ فقط من إجمالى الناتج العالمى ، وهذا يوضح مدى حاجتها إلى إستمرار تدفق البترول وبأسعار مقبولة ، وبالتالى يوضح مدى أهمية منطقة الخليج العربى لمستقبل الكتلة الغربية والدول الصناعية الكبرى بوجه عام .

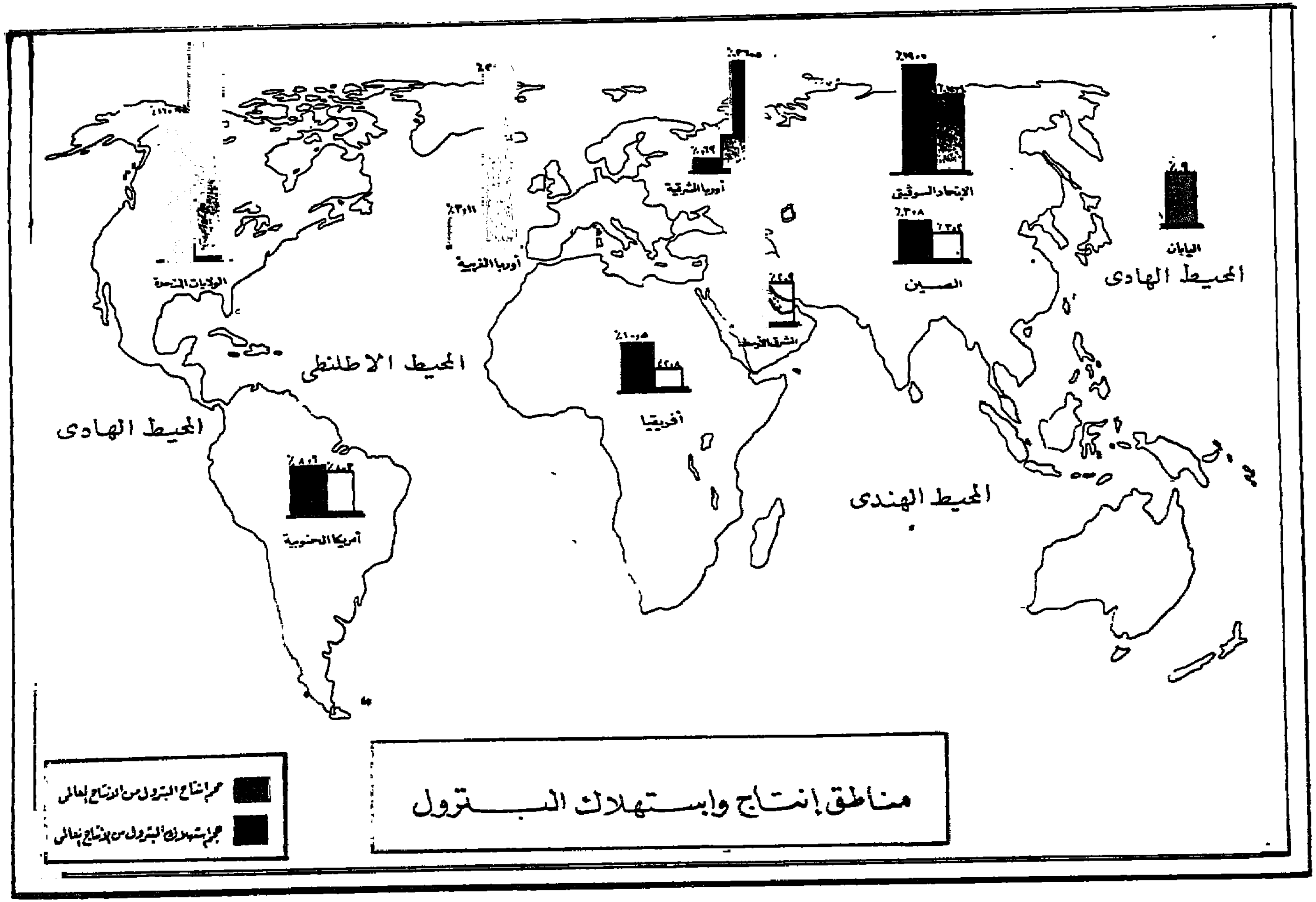
ورغم أن الولايات المتحدة كانت ولا زالت فى وضع أفضل من باقى الدول الكبرى فهى تغطى حوالى ٦٥٪ من احتياجاتها البترولية من إنتاجها الخاص فإنها تستورد حوالى ٣٥٪ من إحتياجاتها ، وتستورد أوروبا الغربية ما يصل إلى ٩٠٪ من إحتياجاتها من خارج القارة الأوروبية ، وتستورد اليابان حوالى ١٠٠٪ من إحتياجاتها . ولقد تطور المستوى التكنولوجى الحديث فى كل من الولايات المتحدة الأمريكية واليابان ووصل إلى إعادة حقن البترول الخام المستورد من الخارج فى باطن الأرض كاحتياطى ومخزون لمواجهة الطوارىء الدولية ، ومن هذا يتضح أن الولايات المتحدة كانت ولا زالت تستورد ليس فقط ما يزيد

عن تغطية إستهلاكها ولكن لخلق إحتياطى كاف لمواجهة أى أزمة عالمية .

كان الفرق ولا يزال بين ما احتاجه ويحتاجه الغرب من البترول سواء للإستهلاك أو التخزين يغطى من دول العالم الثالث ومن منطقة الخليج أساساً . فدول العالم الثالث والتى هى مجال الصراع الدولى تنتج حوالى ٥٠٪ من بترول العالم بينما لا تستهلك سوى ٢٪ من إجمالى الإنتاج العالمى ومن هنا كانت أهمية هذه الدول بالنسبة للبقاء القومى للحضارة الغربية ككل .

وكانت النظرة السائدة آنذاك تشير إلى أن بترول العالم الثالث ومنطقة الخليج أساساً ليس حيوياً للإتحاد السوفيتى فى السبعينات والثمانينات ، ولكن الواقع خلاف ذلك فالمتتبع لقدرات الإتحاد السوفيتى كان يجد أن إنتاجه من الزيت الخام إنخفض من ٢٢,٩٪ من الإنتاج العالمى عام ١٩٨٣ إلى ٢١,٨ عام ١٩٨٤ الأمر الذى أجبر الإتحاد السوفيتى على تقليص صادراته من البترول إلى دول الكتلة الشرقية . كما أن البترول آنذاك لم يكن مطلباً للتنمية فحسب بل علينا أن نتذكر أن الإتحاد السوفيتى كان أسبق دول العالم إلى إستخدام الأسلحة التقليدية غير النووية كأداه لفرض السياسة السوفيتية والأمثلة على ذلك كثيرة . والأسلحة التقليدية من دبابات وطائرات وجرارات وغير ذلك تتحول إلى مطالب وقود للحركة والمناورة والتهديد بالإستخدام والإستخدام الفعلى . وبنظرة سريعة إلى ضخامة البناء العسكرى التقليدى للإتحاد السوفيتى آنذاك توضح تماماً إحتياجاته النامية من البترول . ومن هنا كان علينا أن ندرك أن الإتحاد السوفيتى كان يسعى إلى نصيب من بترول العالم الثالث . والبترول ليس فقط آبار إنتاج وتكنولوجيا إستخراج ومعامل تكرير ولكنه أيضاً القدرة على نقله من مناطق الإنتاج إلى مناطق الإستهلاك . ولعل أكثر أنواع النقل أمناً واقتصاداً هو النقل البحرى ومن هنا تجىء أهمية خاصة لمنطقة الشرق الأوسط خاصة بالنسبة للعالم . فهى تسيطر على الخليج العربى ــ مضيق هرمز ــ المحيط الهندى ــ بحر العرب ــ بوغاز باب المندب ــ البحر الأحمر ــ قناة السويس ــ الشواطىء الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط أى تسيطر على طريق البترول الرئيسى . وهنا أعود فأذكر أن أكثر من ٦٠٪ من بترول العالم يمر خلال هذه الممرات أو بعضها .

وتأتى الحلقة النهائية فى موضوع النقط وهى الأسعار ، فالدول المستوردة للبترول تحتاج إلى العملة الحرة المعتمدة كوسيلة لدفع فاتورة البترول . وإذا زادت الأسعار إلى حد غير



مناطق إنتاج واستهلاك البترول

مقبول فإن موازين المدفوعات تختل . ولذا فإن الإستقرار فى هذه المنطقة ــ وباعتبارها منطقة صراعات ــ هو مطلب عالمى وليس حلما اقليميا .

الموقف العسكرى العالمى قبل حرب الخليج

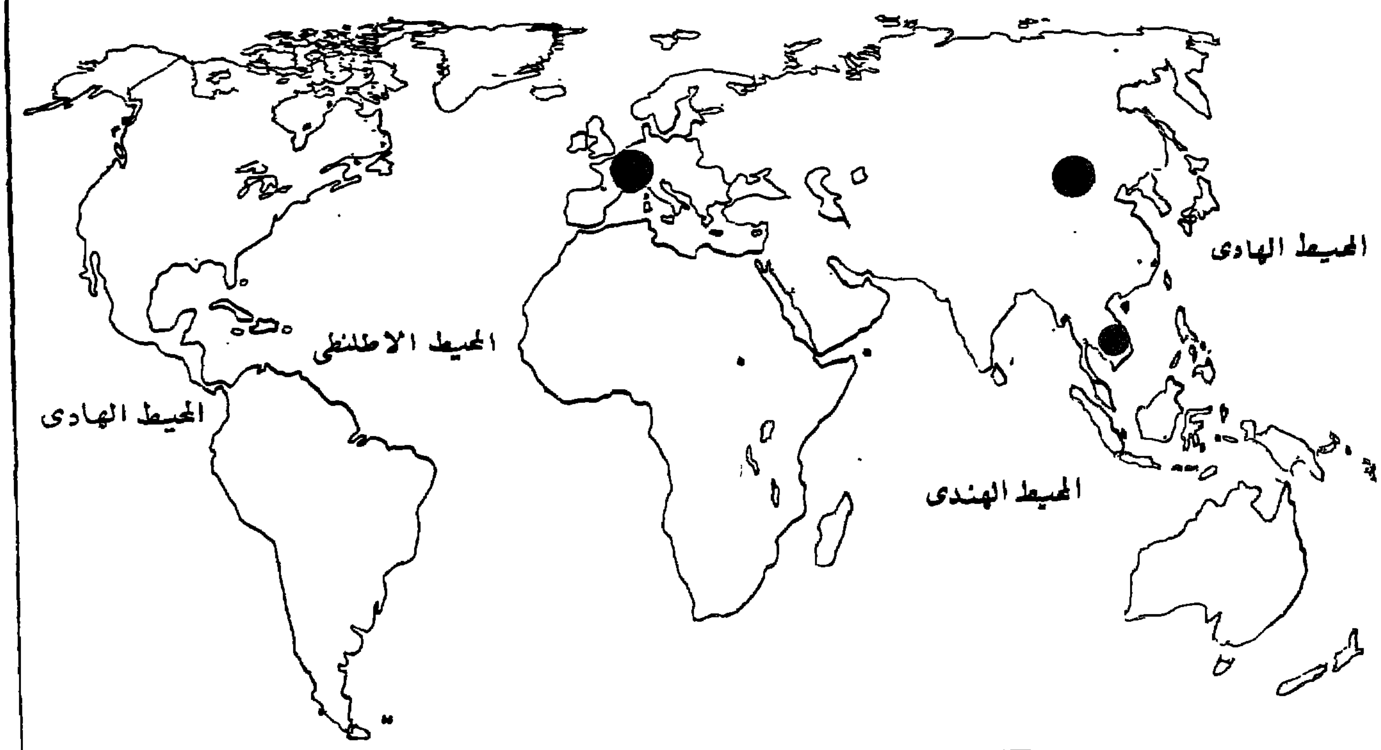
إن نظرة سريعة لخريطة المواجهات العسكرية العالمية البرية توضح أنه كان هناك أربع مواجهات فى ذلك الوقت :

- مواجهة بين حلف الأطلنطى وحلف وارسو فى أوروبا .
- مواجهة سوفيتية / صينية على حدود الصين .
- مواجهة غربية / شرقية فى كوريا .
- مواجهة صينية / فيتنامية فى الهند الصينية .

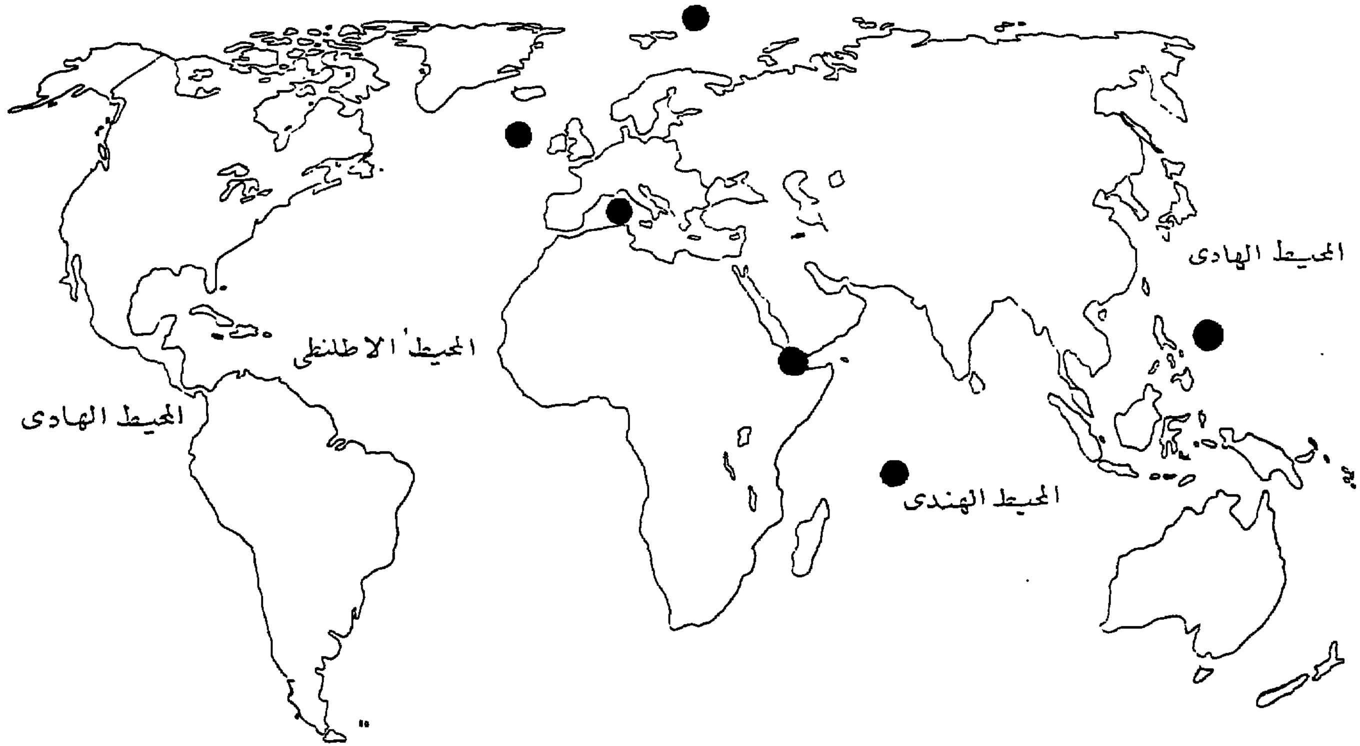
كما كانت هناك أربع مواجهات بحرية عالمية هى :

- قوة الأطلنطى البحرية الأمريكية فى مواجهة أسطول الشمال السوفيتى فى المحيط الأطلسى .
- قوة الهادى البحرية الأمريكية فى مواجهة أسطول الجنوب السوفيتى وذلك فى المحيط الهادى .
- الاسطول السادس الأمريكى فى مواجهة اسطول البحر الأسود السوفيتى وذلك فى البحر الأبيض المتوسط .
- الاسطول السابع الأمريكى وقوة الشرق الأوسط البحرية فى مواجهة اسطول المحيط الهادى السوفيتى وذلك فى المحيط الهادى .

وهذه الأساطيل تحتاج إلى قواعد وموانى وتسهيلات تجعلها قادرة على الإستمرار فى التواجد البحرى بكفاءة لتنفيذ مهامها . والخريطة توضح أن المنطقة الممتدة من الصحراء الغربية وجبل طارق غرباً والسهل الجنوبى بالبحر الأبيض المتوسط شمالاً والمحيط الهندى والبحر الأحمر شرقاً هى المنطقة المؤهلة بحكم الموقع والموضع أن تكون مطمعاً لهذه القواعد والموانى والتسهيلات بالإضافة إلى الإتصال البحرى من غرب العالم إلى شرقه بحراً لابد وأن يمر بمنطقة الشرق الأوسط .



المسارح الحربية لصراع الدول الكبرى



المسارح البحرية لصراع الدول الكبرى

إستراتيجية القوى العظمى تجاه الشرق الأوسط والخليج العربى

كان لابد لكى نتحدث عن الحرب العراقية الإيرانية أن نتعرض لإستراتيجية القوى العظمى عندما نشبت الحرب لأنها ولا شك أثرت على مسار الحرب ونتائجها . والأمر الذى لا شك فيه أن الخليج العربى ومنطقة الشرق الأوسط كلها كانت ولا زالت لها أهمية خاصة للقوى الكبرى ومن قبل للقوتين الأعظم . فلقد كانت تمثل جزءاً هاماً من الإستراتيجية العالمية لكل منهما إلى جانب كونها مفترق الطرق الإستراتيجية الهامة تجاه كل من البحر الأبيض المتوسط والجناح الجنوبى للمسرح الأوروبى والجزيرة العربية والخليج العربى والبحر الأحمر والمحيط الهندى وأفريقيا . لهذا سعت كل من القوتين الأعظم لفرض سيطرتها ونفوذها فى المنطقة أو على الأقل كسب صداقة أكبر عدد من دولها إلى جانبها .

كانت أهداف الإستراتيجية السوفيتية فى السبعينات والثمانينات ترمى إلى المد الإيديولوجى إلى المنطقة وخلق توازن إستراتيجى بينه وبين الغرب مع العمل على حصر النفوذ الغربى بها لتحقيق السيطرة العالمية من خلال إنتصار العقيدة الشيوعية على النظام الرأسمالى . وكان يعمل على تدعيم المكانة الدولية للإتحاد السوفيتى من خلال النفوذ والسيطرة على المراكز الحيوية بالمنطقة وحرمان الغرب من مناطق النفوذ وإضعاف قدراته فى السيطرة على طرق المواصلات البحرية الرئيسية وحرمانه من أى مزايا إستراتيجية تحقق له السيطرة على هذه الطرق ، وعملت جاهدة على الإقتراب التدريجى الغير مباشر من مناطق البترول بالشرق الأوسط لحرمان الغرب من الإنفراد بإستغلاله إن أمكن والتمهيد للحصول على نصيب منه .

وبذل الإتحاد السوفيتى جهداً كبيراً فى كسب صداقة دول المنطقة من خلال عمليات الإستقطاب وإقامة التحالفات كأحد إتجاهات التحرك لمواجهة النفوذ الغربى . واتبعت لذلك أساليب مختلفة من خلال التحركات المحسوبة مع تفادى المواجهة المباشرة مع الولايات المتحدة الأمريكية ، ودعم المكانة الدولية والقدرات العسكرية السوفيتية المباشرة بالمنطقة والحصول على حلفاء فى أهم المناطق الإستراتيجية مثل المدخل الجنوبى للبحر الأحمر ومنطقة الخليج العربى (أنظر الخريطة) ، واستثمار ميزة سرعة إتخاذ القرار لعدم وجود نظام ديمقراطى بالإتحاد السوفيتى فى سرعة إستغلال المواقف الطارئة وإستخدام أساليب الصدمات بغرض تحقيق أهدافه وتقليل ردود الفعل الأمريكية المؤثرة . وللوقيعة بين

الولايات المتحدة الأمريكية وأصدقائها فى المنطقة قام الإتحاد السوفيتى بإستغلال أخطاء السياسة الأمريكية لإنحيازها الواضح إلى جانب إسرائيل أكثر من وقوفها مع الحق العربى أو على الأقل الحياء بالنسبة للمشكلة الفلسطينية .

ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن الإستراتيجية السوفيتية فى الفترة التى اندلعت فيها الحرب العراقية الإيرانية كانت تشتمل على عدة إستراتيجيات فرعية فى إطار إستراتيجية شاملة ترتبط أساساً بالتقسيمات الجغرافية وتركز على كسب واحتواء أصدقاء باستغلال التأييد الثابت والدعم العسكرى والإقتصادى فى بعض المواقف وتغذية الخلافات داخل دول المنطقة واستغلال المشاكل المحلية والإقليمية وخاصة النزاع العربى الإسرائيلى لإستعداء دول المنطقة ضد الغرب . كما عملت الإستراتيجية السوفيتية جاهدة لإحباط أى تقارب أو وحدة عربية الأمر الذى يؤكد وجود هدف مشترك بين إستراتيجية كل من الإتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل لأن التفرق والتمزق العربى يخدم مصالحهم جميعاً ويضمن لكل منهم نجاح إستراتيجيته .

وبالنسبة للخليج العربى كان (ولا يزال) الإتحاد السوفيتى يحتفظ بمجموعة عمل بحرية بصفة دائمة بهذا المسرح لموازنة التواجد الغربى بها . ولقد نجح فى الحصول على تسهيلات وقواعد بحرية وجوية فى كل من اليمن الجنوبى وأثيوبيا كركائز أساسية لخدمة قواته فى المحيط الهندى وللسيطرة على مدخل البحر الأحمر وتهديد الخليج العربى . وإذا ما تم الربط بين هذا التواجد وغزوه لأفغانستان ومحاولاته لإثارة قبائل البلوخ وتشجيع النزعات الإنفصالية بينهم لإتضحت معالم إستراتيجيته فى المنطقة لفرض حلقة حصار قوية حول المنطقة من الجنوب والوصول إلى مياه المحيط الهادى براً عبر هذه المناطق .

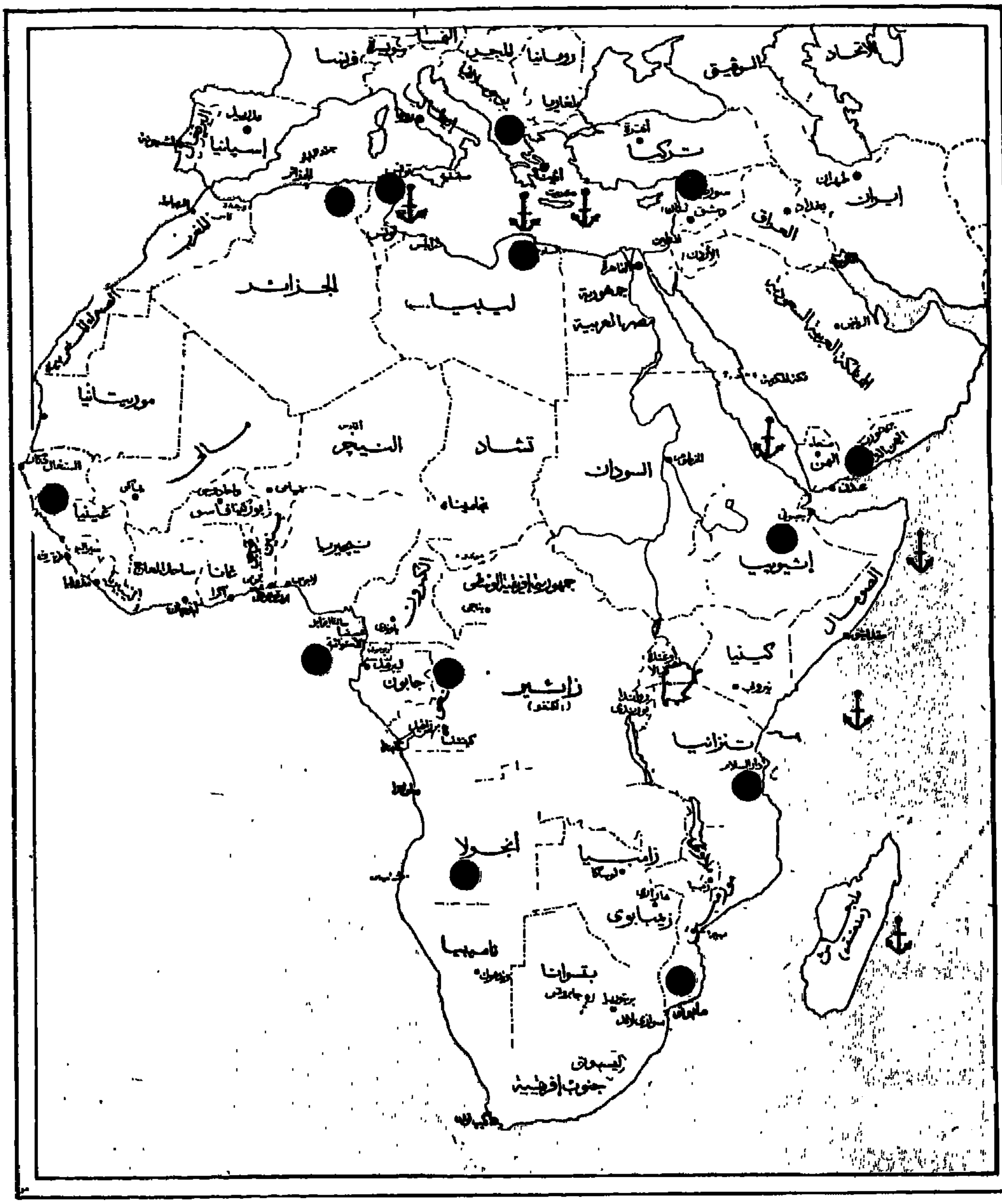
وهذا يوضح محاولاته المستميته فى تغيير الأوضاع فى الصومال بغية عزلها عن الغرب والعرب واستعادتها لدائرة نفوذه جنباً إلى جنب مع أثيوبيا فيتمكن من إحكام سيطرته على الشرق الأفريقى وبوغاز باب المندب . وفى الوقت ذاته كان يشجع اليمن الجنوبى على السيطرة على الجزء الشمالى لتحقيق نفس الهدف ، ونجح فعلاً فى خلق إرتباطات وتعاون بين الدول الموالية له بعقد العديد من الإتفاقيات .

أما الإستراتيجية الأمريكية فتعتبر منطقة الشرق الأوسط ومنطقة الخليج على وجه الخصوص لها وحدها وهى أهم مناطق الإهتمامات الأمريكية لأن قسطاً كبيراً من الطاقة

اتجاهات عمل السوفيت



القواعد والتسهيلات العسكرية السوفيتية في القارة الإفريقية ومنطقة الشرق الأوسط



● تسهيلات عسكرية

⚓ مناطق تمركز رئيسية



● التواجد السوفيتي
● التواجد الكوبي

● التواجد الكوري الشمالي
● التواجد الألماني الشرقي

يتدفق من هذه المنطقة إلى المعسكر الغربى . كما أن قسطاً كبيراً من الأسلحة والمنتجات الأمريكية والغربية تجد طريقها إلى دول تلك المنطقة . ولذلك فحماية مصادر الطاقة وسوق المنتجات الغربية أمر بالغ الأهمية ولهذا تسعى بكل جهدها لمنع أى طرف آخر أن ينافس الولايات المتحدة فيها . وفى السبعينات والثمانينات كانت أحد الإهتمامات الرئيسية للإستراتيجية الأمريكية منع الإتحاد السوفيتى من نشر نفوذه بالمنطقة أو تهديدها بأى صورة من الصور . ونتيجة هذا التنافس الرهيب أصبح من الصعب على أية دولة أن تحافظ على حيادها بل كاد يكون ذلك أمراً مستحيلاً .

ولقد حددت الإستراتيجية الأمريكية أهدافها فى منطقة الشرق الأوسط يمكن تلخيصها فيما يلى :

- دعم مكانة الولايات المتحدة فى منطقة الشرق الأوسط ومنطقة الخليج على وجه الخصوص .
- الحد من النفوذ السوفيتى تمهيداً للقضاء عليه إلى جانب إحتواء أى محاولات للمد الشيوعى بها .
- ضمان تأمين مصادر البترول بالجزيرة العربية والخليج العربى وإستمرار تدفقه عبر طرق المواصلات البحرية إلى أمريكا وأوروبا الغربية واليابان وبالمعدلات والأسعار المناسبة .
- تأمين حق إستخدام الممرات البحرية والجوية فى المنطقة دون تهديدات .
- إستعادة السيطرة على المناطق الإستراتيجية الهامة التى خسرها الغرب فى الخليج العربى والبحر الأحمر .
- إستغلال المنطقة كسوق رئيسية لتصريف منتجاتها لإمتصاص الأموال الموجودة بها لدعم الإقتصاد الغربى .
- تطويق الإتحاد السوفيتى من الجنوب .
- ضمان بقاء إسرائيل .

ولتحقيق هذه الأهداف عملت الولايات المتحدة على تقديم المساعدات العسكرية والإقتصادية لدول المنطقة ، وعملت على بناء هيكل أمنى للمنطقة والعمل على خلق قدر

محسوب من التباعد بين الدول العربية بوجه عام فى إطار يضمن عدم قيام تكتل يعتقد أنه يهدد أو ينافس الغرب والشرق ويجعله فى غنى عن الإرتباط الوثيق بالولايات المتحدة أو يوفر له قدرة فعالة على المساومة لتحقيق مصالح عليا عربية . وقررت الولايات المتحدة الإعتماد بالدرجة الأولى على القوة الأمريكية الذاتية فى تحقيق إستراتيجيتها حتى أنها شكلت قوة إنتشار سريع وأعدت مراكز لإستقبالها فى المنطقة .

وإذا ما ركزنا على الإستراتيجية الأمريكية تجاه الخليج العربى والجزيرة العربية لاتضح أنها كانت ولا زالت تعمل جاهدة على توفير قوة أمريكية قريبة من شرق البحر الأبيض المتوسط والخليج والمحيط الهندى ، كما حاولت بشتى الطرق الحصول على إمتيازات فى أراضى بعض الدول لإنشاء مخازن طوارىء للمعدات والأسلحة لتسهيل العمل لقواتها فى الأزمات الدولية الكبرى والأزمات الإقليمية التى تشكل تهديداً لمصالحها ، ولهذا الغرض تم تمركز قوة الشرق الأوسط بصفة دائمة بمنطقة الخليج وأنشأت قوة الإنتشار السريع . كما قامت الولايات المتحدة بتشجيع دول الخليج العربى على توفير نظام أمن جماعى تحت المظلة الأمريكية أو ربط هذا النظام بقنوات اتصال مع الغرب مع تشجيع مبدأ دعم العلاقات الثنائية بينها وبين الدول العربية مع الحرص على توفير محاور عربية متوازنة تسير فى إتجاه المصالح الأمريكية وذلك إيماناً منها بأن التعامل مع كل دولة عربية على حده أسهل بكثير من التعاون مع الدول العربية مجتمعة لها مصالح مشتركة ، كما شجعت السعودية على إنشاء نظام دفاع جوى متطور ونظام قيادة وسيطرة آلى يخدم أساساً قوة الإنتشار السريع الأمريكية .

من ذلك يتضح أن منطقة الخليج العربى كانت ولا زالت أحد محاور الإستراتيجية الدولية الرئيسية على خريطة الصراع العالمى . وتمثل ذلك فى الإهتمام الشديد للقوى الدولية فى التواجد العسكرى براً وبحراً وجواً ومحاولة إكتساب صداقة دول المنطقة والسعى الحقيقى فى الحصول على قواعد وتسهيلات تمكن من سرعة ومرونة التدخل العسكرى إذا تطلب الأمر ذلك . ولعل أبرز تلك المظاهر التنافس الدائر بين تلك القوى لتكثيف التواجد البحرى فى منطقة الخليج بهدف السيطرة على طرق الإقتراب المختلفة وتحسين الأوضاع الجغرافية الإستراتيجية التى توفر تفوقاً لطرف على طرف آخر منافس .

والخليج العربى أحد بحار المحيط الهندى ويمتد من مضيق هرمز فى الجنوب الشرقى إلى شط العرب فى الشمال الغربى ، وطوله حوالى ١٠٢٠ كم وعرضه يتراوح بين ٣٦ كم ، ٣٥٠ كم ، وتتواجد أعمق أجزائه كلما اتجهنا جنوباً نحو مدخله عند إلتقائه بخليج عمان .

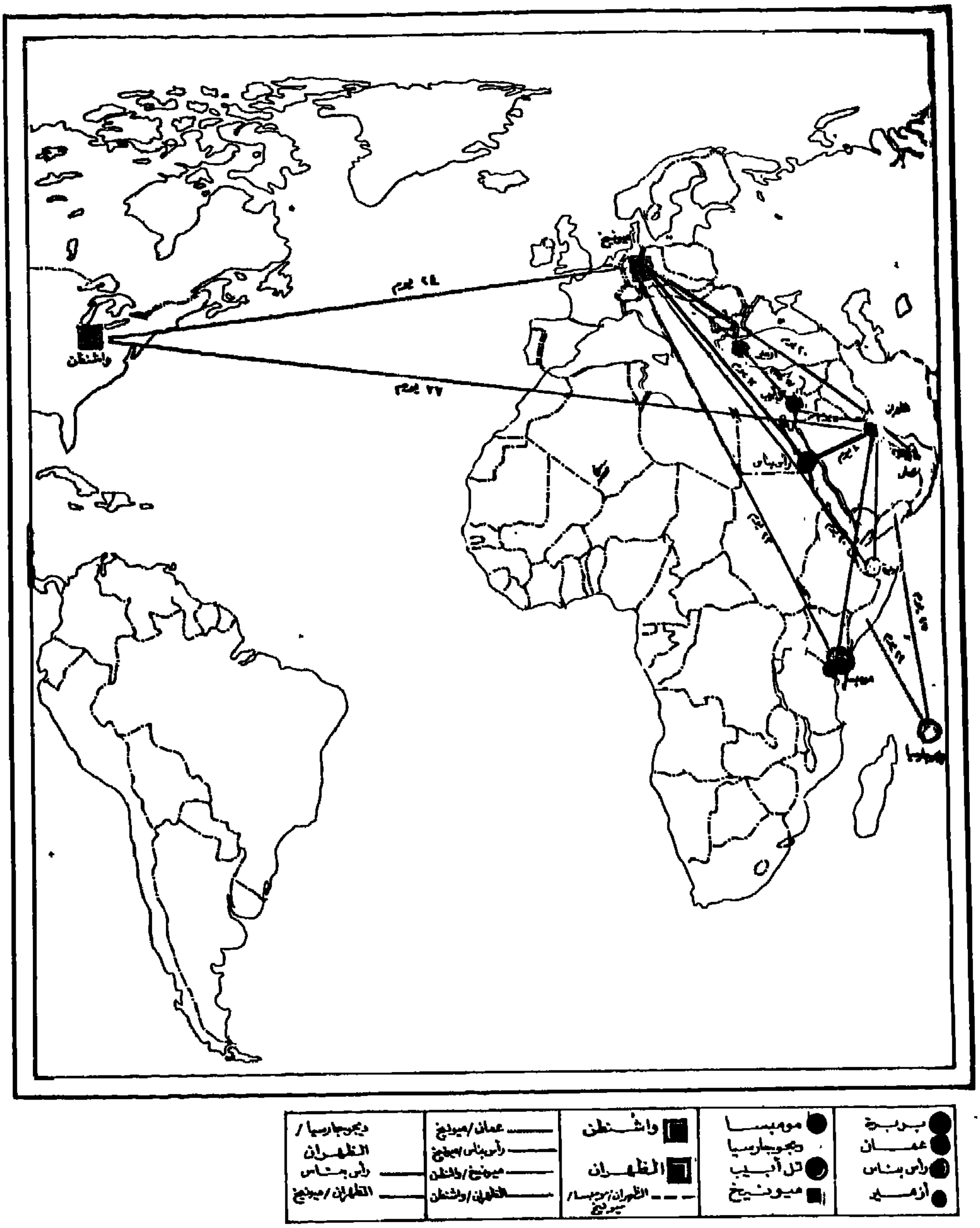
ويصل طول الساحل العربى ١٨٠٠ كم والساحل الإيرانى ١٢٠٠ كم . وتظل عليه ثمانية دول هى العراق والكويت والمملكة العربية السعودية والبحرين وقطر ودولة الإمارات العربية وإيران وسلطنة عمان . ويتصل هذا الخليج بالمحيط الهندى عبر بحر العرب من خلال مضيق هرمز الذى يعتبر بوابة الخليج ومن ثم فإن من يتحكم فى هذا المضيق يتحكم بالضرورة فى حركة النقل البحرى إلى كل الدول المطلة على الخليج ولهذا فإن بعض الدول الخليجية تتمتع بميزة جغرافية سياسية نتيجة لموقعها الجغرافى .

ولقد ساهم التكوين الجيولوجى للخليج العربى فى جعل منطقة الخليج من أغنى مناطق العالم فى البترول سواء من حيث حجم الإنتاج أو ما يتوفر بها من مخزون إحتياطى مؤكد .

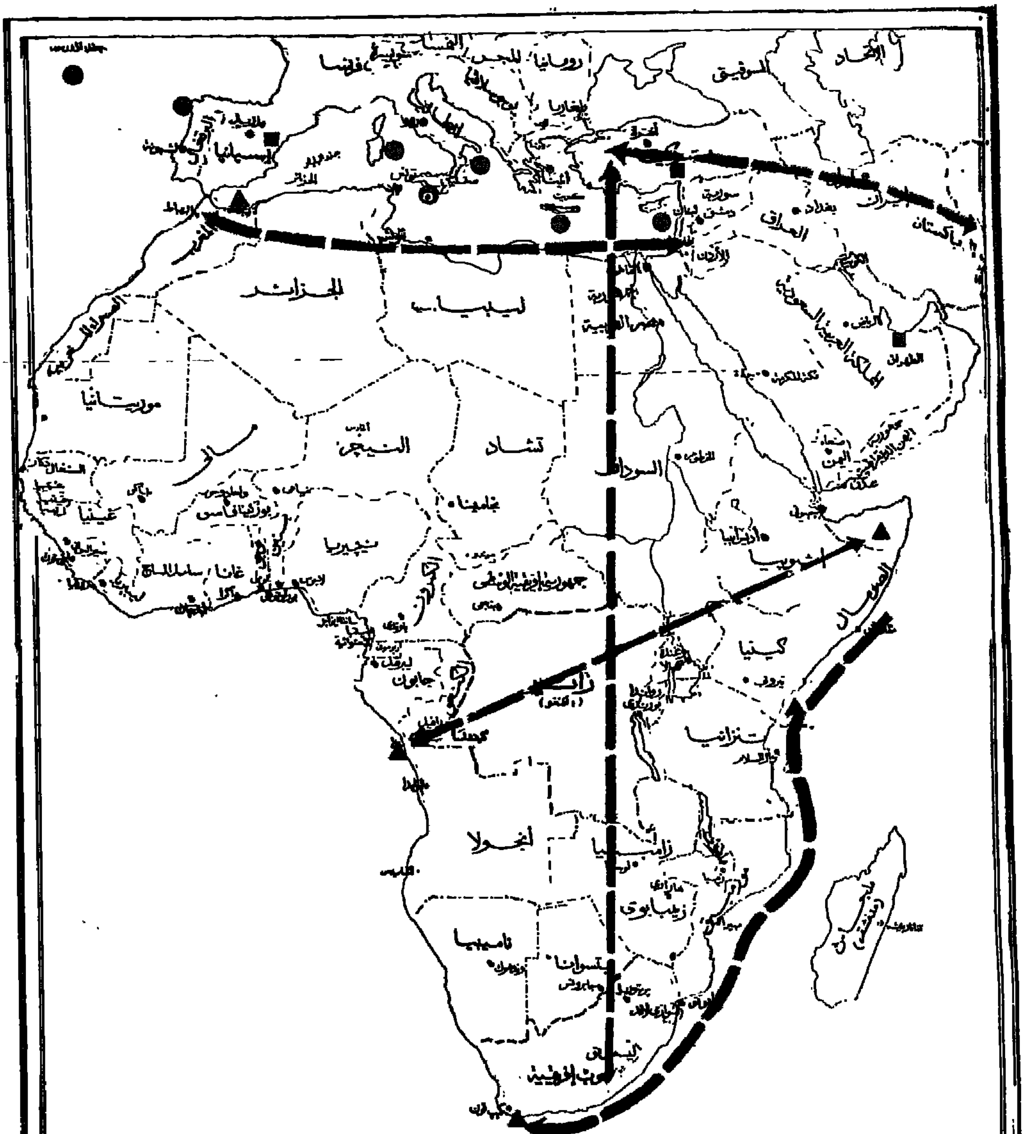
ويتحكم فى طريق الملاحة البحرية عبر مضيق هرمز مجموعة من الجزر الحيوية هى جزيرة الغنم وجزر سلامة وجزيرة هرمز وجزيرتى طنب الكبرى والصغرى وجزيرة أبو موسى .

وتتواجد مجموعة أخرى من الجزر فى المحيط الهندى لها موقع إستراتيجى يجعلها ذات أهمية فى التحكم فى طرق الملاحة البحرية الدولية من وإلى الخليج العربى وأهمها جزيرة ديحوجارسيا وبها قاعدة أمريكية تعتبر نقطة إرتكاز حيوية للإستراتيجية الأمريكية بمنطقة المحيط الهندى .

أزمنة نقل فرمش ميكا أمريكية
إلى مناطق الأزمات المحتملة



النفوذ الغربي
والقواعد والتسهيلات الأمريكية في الشرق الأوسط



■ قاعدة جوية

● قاعدة بحرية

▲ تسهيل بحري

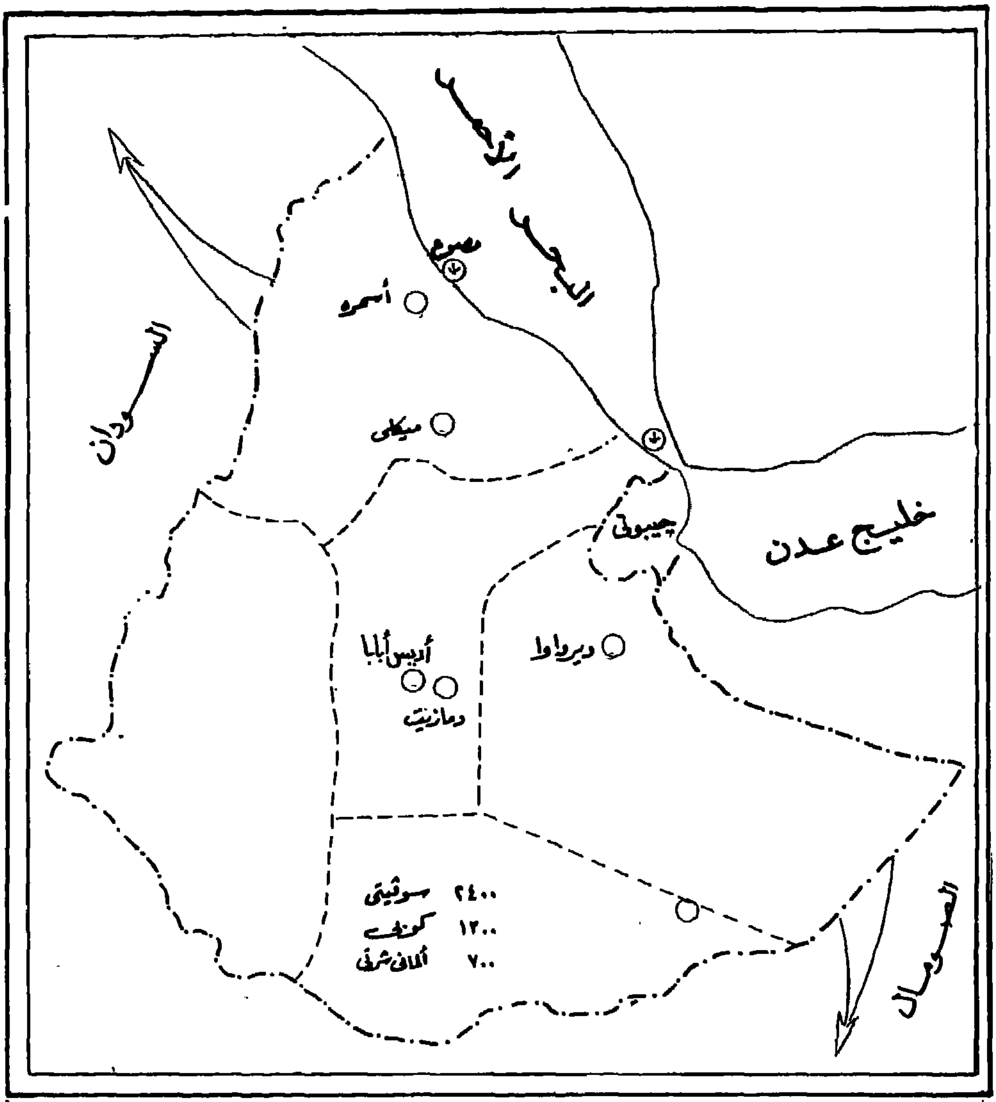
القواعد والتسهيلات العسكرية الأمريكية فى القارة الأفريقية ومنطقة الشرق الأوسط



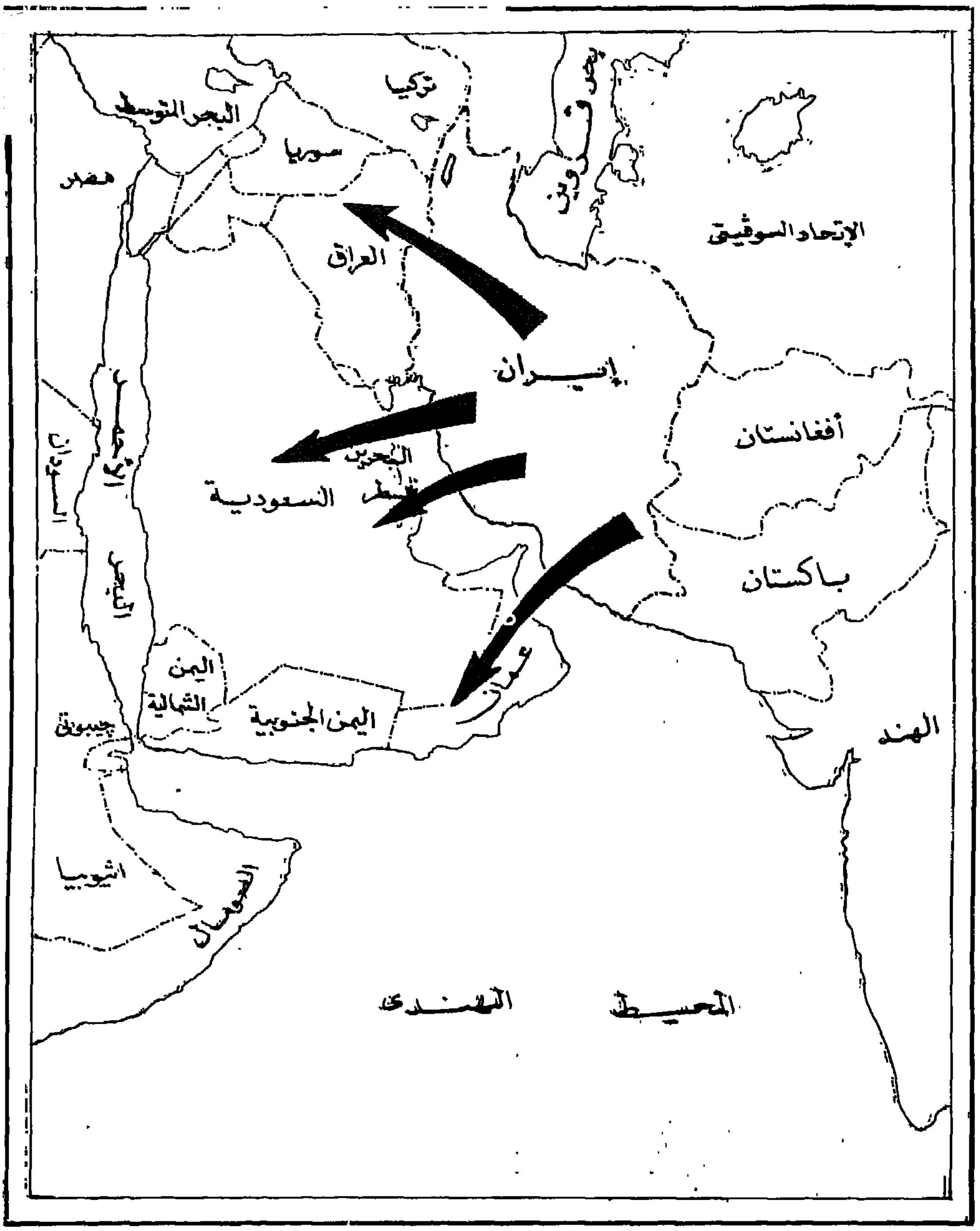
● تسهيلات عسكرية

⚓ مناطق تمركز رئيسية

التهديدات الأثيوبية للمنطقة العربية

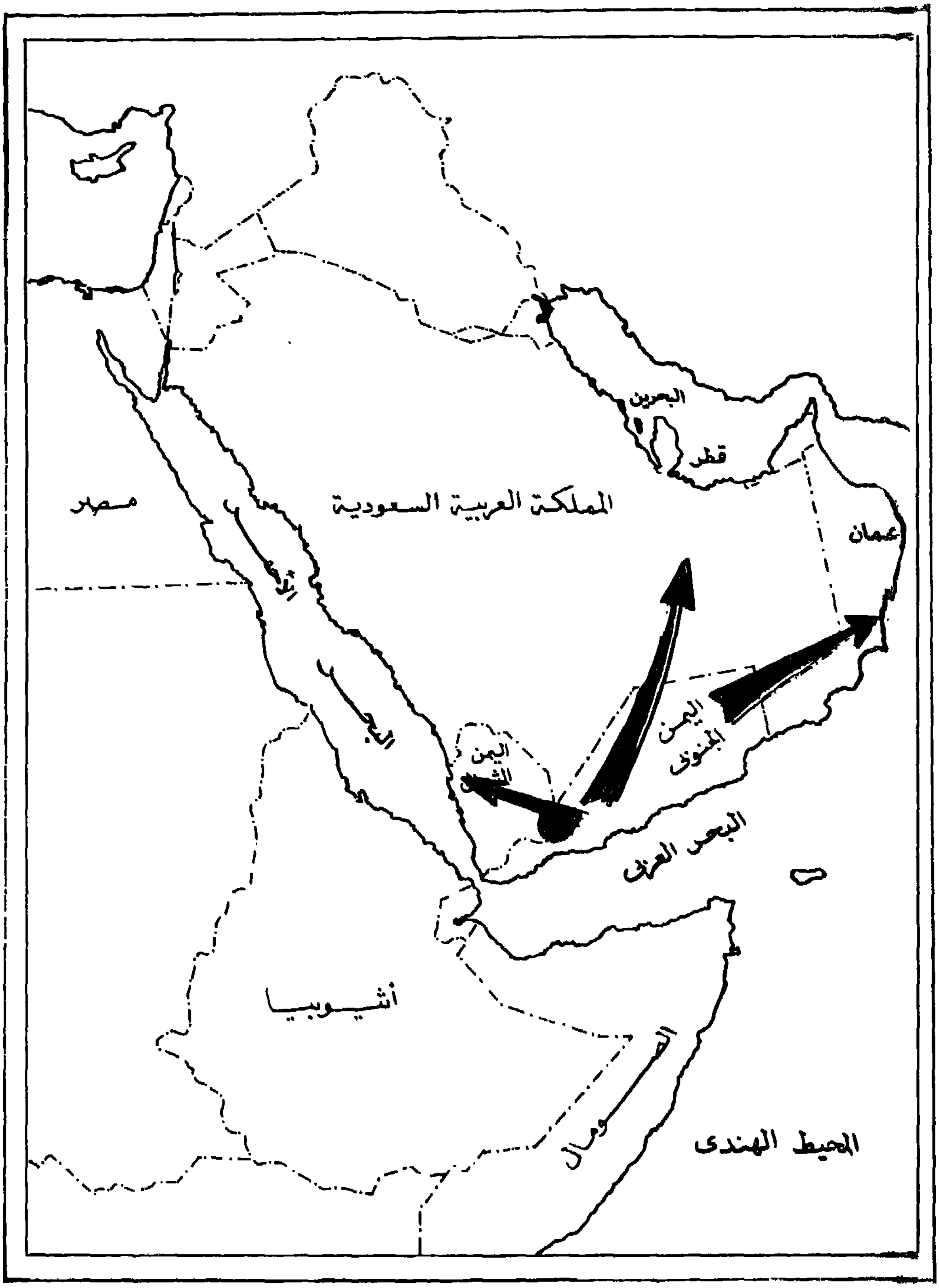


الخطر الإيراني

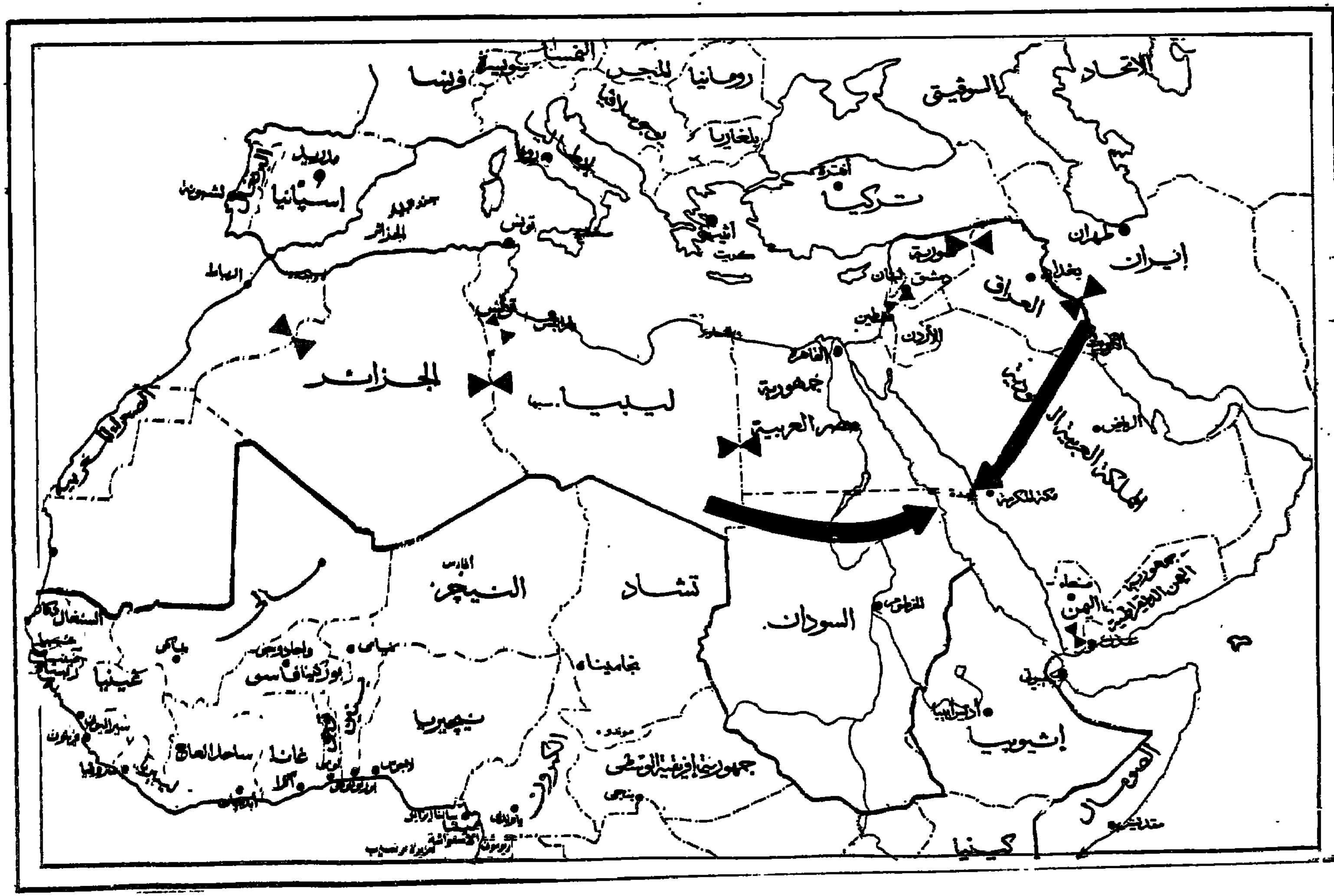


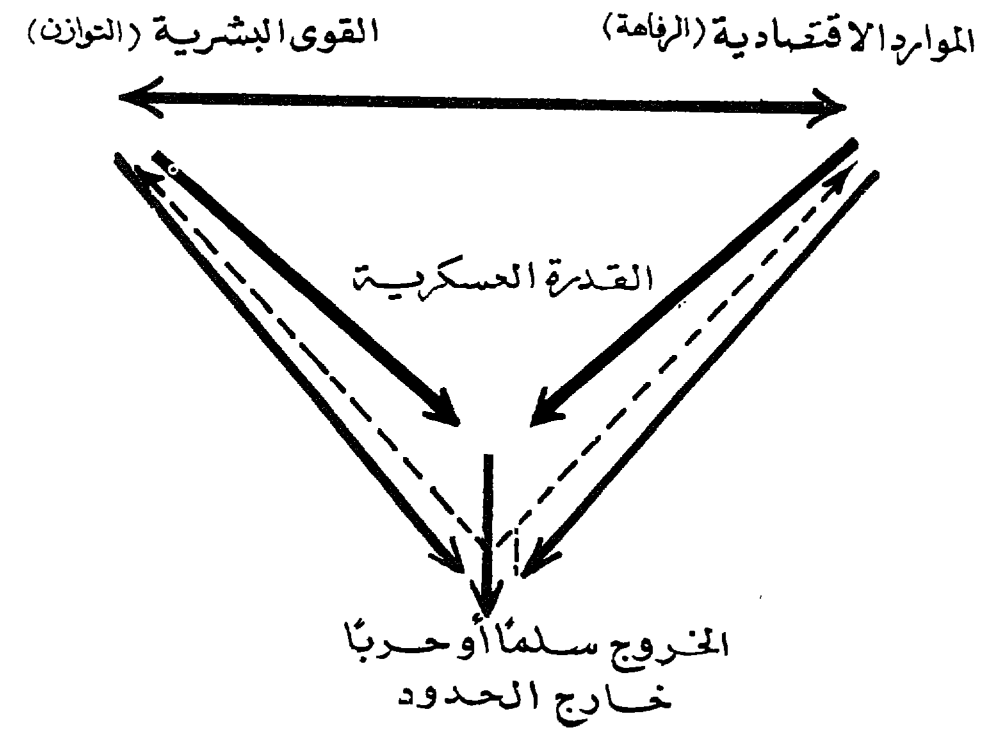
١- تهديد وحدة أراضي العراق .
٢- تصدير الثورة والتطرف إلى دول المنطقة .
٣- تهديد عسكري لدول الخليج العربي .
٤- التأثير على الملاحة في الخليج .
٥- احتمالات نمو النفوذ الشيوعي المباشر أو غير المباشر لإيران .

التهديدات من اليمن الجنوبي للمنطقة العربية



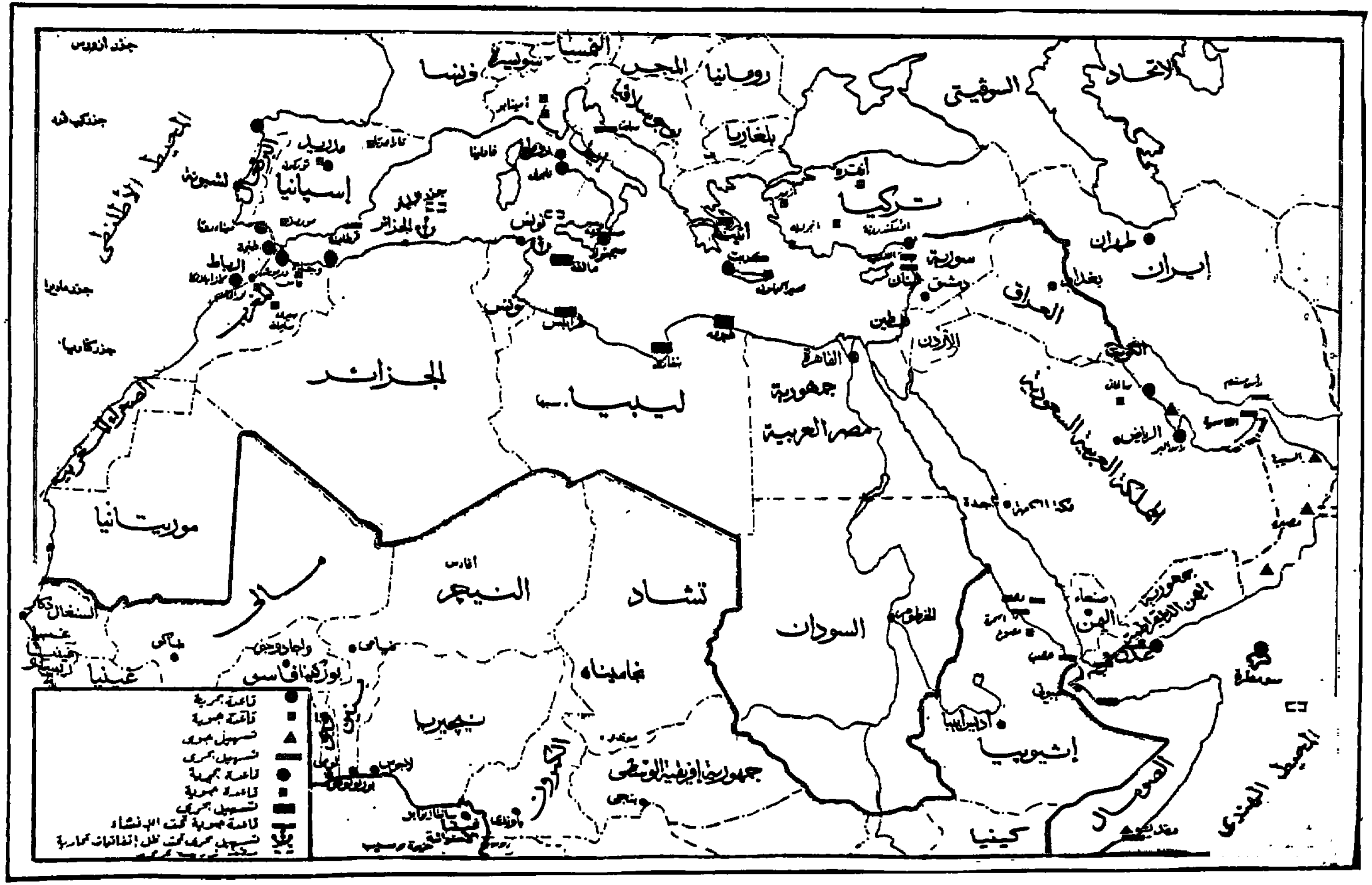
التوتر فى منطقة الشرق الأوسط



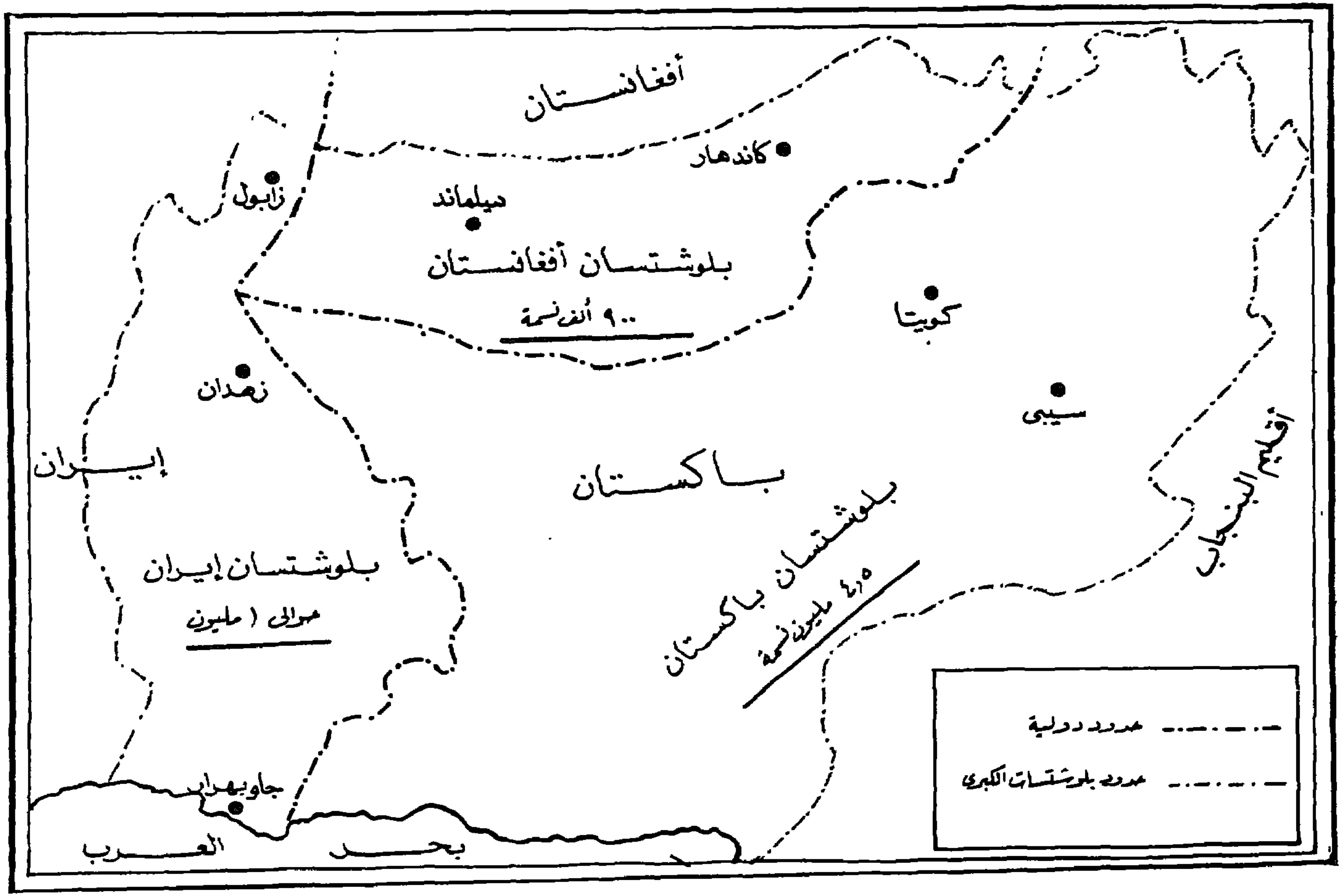


الموارد الاقتصادية (الرفاهة)
القوى البشرية (التوازن)
القدرة العسكرية
الخروج سلمًا أو حربًا
خارج الحدود

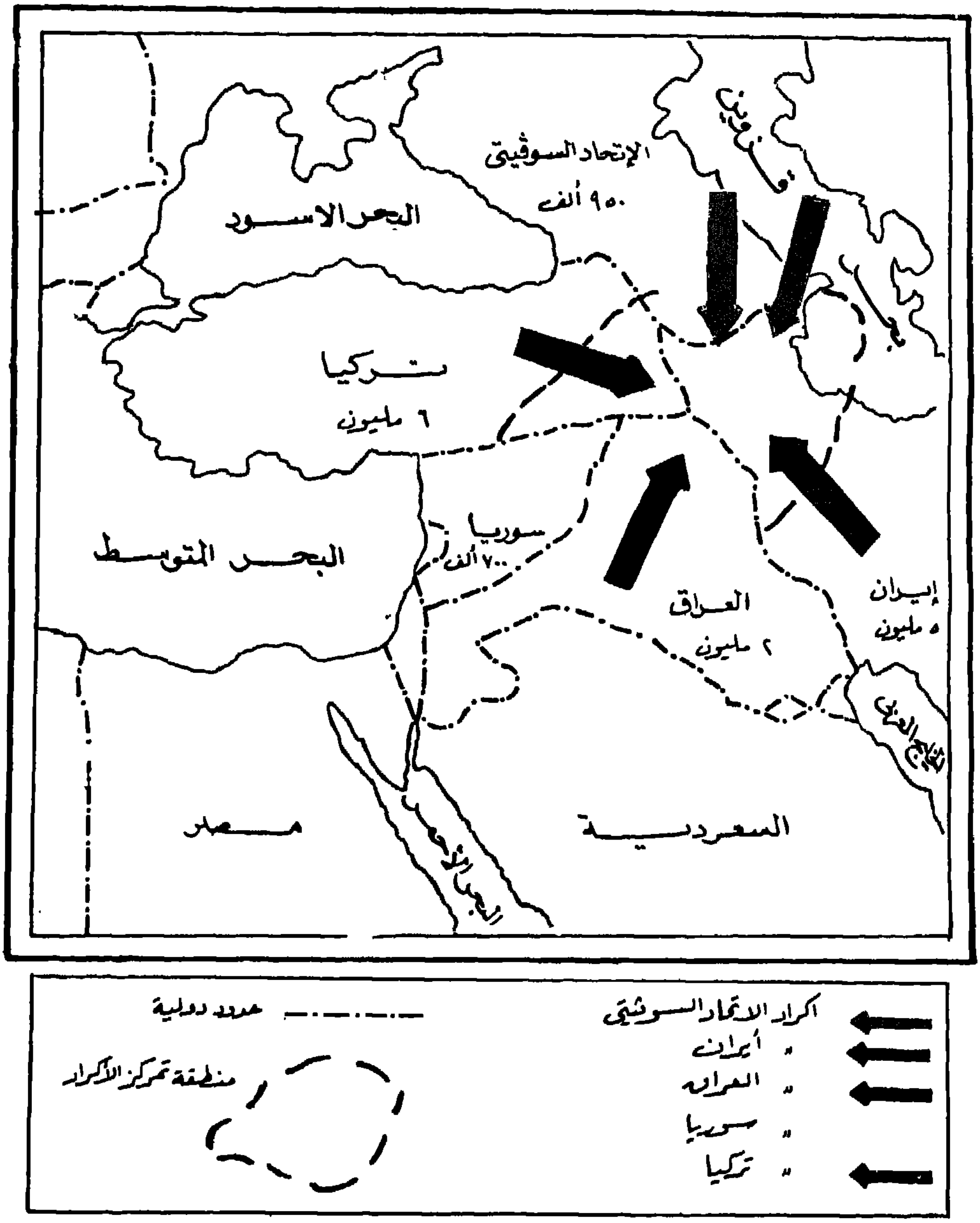
القواعد والتسهيلات العسكرية للقوى العظمى بمنطقة الشـــرق الأوســـط

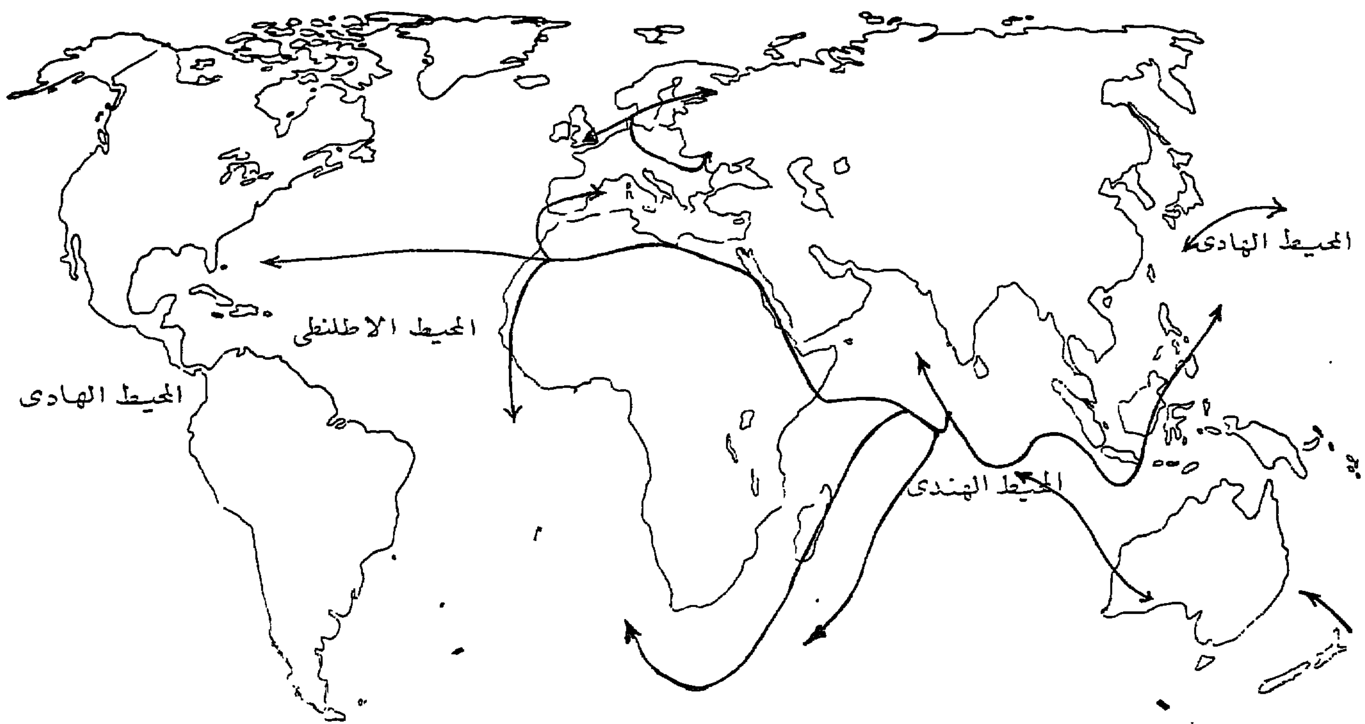


منطقة أقاليم البلوشستان (البلوختستان)



مناطق تمركز الأكراد فى العالم





خطـوط المواصـــلات البحريــة

جذور النزاع بين العراق وإيران

إن نظرة فاجصة للتاريخ تؤكد لنا أن الصراع بين إيران والعراق هو فى الأصل صراع بين الفرس والعرب بدأ عام ٦٠٦ قبل الميلاد ولا زال مستمراً حتى يومنا هذا رغم التغيرات التى حدثت . وتم تجدد هذا الصراع فى القرن السادس عشر بين الإمبراطورية العثمانية والإمبراطورية الفارسية إذ كانت الحدود بين أراضيهما غير واضحة المعالم لأنها كانت تخضع لكثير من العوامل أهمها الولاء القبلى ، وكذا المشكلة المذهبية إذ كان الفرس أغلبهم من الشيعة فى حين كان العرب والعثمانيون من السنة . وكانت ولا زالت معظم الأماكن المقدسة للشيعة (كرباء والنجف) تقع فى أرض العراق وهى دائماً كانت هدفاً لأطماع الشيعة فى فارس .

وأستمر النزاع بين الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية العثمانية بسبب رغبة الفرس فى التوسع غرباً على حساب الأمة العربية وإستمرار الخلاف بين المذهب الشيعى والمذهب السنى .

وفى عام ١٦٣٩ وقعت إتفاقية سلام بين الإمبراطوريتين تم فيها الإتفاق على الحدود بينهما ، ومع ذلك استمرت فارس فى إحتلال بعض المناطق خارج خط الحدود من أملاك الإمبراطورية العثمانية . وعليه ففى عام ١٨١٨ تفجرت نزاعات الحدود ثم وقع الطرفان معاهدة جديدة عام ١٨٢٣ سميت إتفاقية أرضروم الأولى . ومع ذلك استمر الخلاف واشتدت المنازعات التى هددت بنشوب حرب بينهما لولا تدخل بريطانيا وروسيا اللتان أجبرتهما على توقيع معاهدة أرضروم الثانية عام ١٨٣٧ تنازلت بمقتضاها الدولة العثمانية عن مدينة خورمشهر وعيدان والأراضى العراقية الواقعة على الضفة الشرقية لشط العرب فى مقابل تنازل الفرس عن بعض المناطق فى محافظة السليمانية بشمال العراق . وبذلك أصبح إقليم عربستان جزءاً من إيران .

وفى عام ١٩١١ وقعت إتفاقية طهران وكذا بروتوكول الأستانة عام ١٩١٣ تنازلت بمقتضاها الدولة العثمانية عن جزء من مياه شط العرب وأصبحت الحدود تمر خلال منتصف المجرى المائى مع الإعتراف من الطرفين بمبدأ حرية الملاحة فى شط العرب على الرغم من إستمرار السيادة العثمانية عليه .

هذا هو ملخص موجز للخلافات القديمة بين الفرس والعرب ، أما الخلاف الذى نشأ فى العصر الحديث بين إيران والعراق فيرجع أيضاً إلى مشكلة الحدود التى تشمل شط العرب والسليمانية والخلاف المذهبى أيضاً بين السنة والشيعة ورغبة كل من الدولتين فى بسط نفوذها على كل منطقة الخليج بعد الإنسحاب البريطانى عام ١٩٧١ .

فى عام ١٩٢١ استقلت العراق وأصبحت دولة مستقلة ذات سيادة وجددت إيران مطالبها فى شط العرب والسليمانية . وفى عام ١٩٣٧ توترت العلاقات بين الدولتين وتحت الضغط الدولى استؤنفت المفاوضات بينهما بشأن الحدود أسفرت عن بعض التنازلات العراقية وأهمها الموافقة على أن خط الحدود يمر بمنتصف النهر بطول ٧,٢٥ كم من شط العرب أمام عيدان مع السماح للسفن الحربية للبلدين من الدولتين بالدخول والخروج عبر مصب شط العرب إلى موانيهما كما تم توقيع ثلاث إتفاقيات للحدود عام ١٩٣٧ وكذا معاهدة اصداقةلتسوية المنازعات بينهما .

وفى غام ١٩٥٥ أنشىء حلف بغداد الذى ضم العراق وإيران وتركيا وباكستان ولكن لم تمض سوى ثلاث سنوات على هذا الحلف حتى ساءت العلاقات بين الدولتين عام ١٩٥٨ بعد قيام ثورة العراق وإنتهاء الحكم الملكى بها . وبعد عام واحد من الثورة (عام ١٩٥٩) أعلن شاه إيران رفضه لإتفاقية عام ١٩٣٧ وأعلن إلغاءها عام ١٩٦٩ من جانب واحد وطالب بأن يكون خط منتصف النهر هو الحدود بين البلدين فى منطقة شط العرب . ولم تكن الحدود فى شط العرب هى الخلاف الوحيد بين الدولتين بل أثار العراق مشكلة كرمنشاه حيث استولت إيران على ثلاث قرى عراقية بحجة أنها أراضى إيرانية (وهى زين القوس ، والشكره ، وبئر على) .

وزاد التوتر حدة بإستيلاء إيران عام ١٩٧١ على ثلاث جزر فى مدخل الخليج هى طنب الصغرى وأبو موسى وطنب الكبرى . ونجحت إيران فى توقيع إتفاقية مع سلطنة عمان تخول لها السيطرة على مدخل الخليج فى مقابل إراسال قوات إيرانية للإشتراك فى القتال ضد الثوار فى أقليم ظفار . وادى كل ذلك إلى قيام العراق فى ديسمبر ١٩٧١ بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع إيران . وبدأ الصدام بين إيران والعراق عام ١٩٧٢ ، وتصاعدت حدة الإشتباكات على الحدود ، كما إزداد نشاط الأكراد فى شمال العراق . وتدخلت جهود الوساطة العربية والدولية إلى أن تم توقيع إتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ تم فيها إعتبار خط منتصف النهر فى شط العرب هو خط الحدود بين الدولتين . ومع ذلك لم تخف حدة التوتر

بين البلدين وتصاعدت الإشتباكات من جديد بين البلدين إلى أن حدثت ثورة الخومينى وسقط الشاه عام ١٩٧٩ ، واستمر التوتر سائداً إلى أن أعلنت العراق الحرب على إيران فى سبتمبر ١٩٨٠ .

ورغم ما أذيع من أسباب دفعت العراق لإعلان الحرب على إيران فإن المحللين السياسيين والعسكريين أجمعوا على أن النظام العراقى بحكم طبيعته ومصالحه وجد الفرصة سانحة ليرث دور رجل الشرطة فى الخليج بعد إنهيار حكم الشاه وإعتقاده أن القوة العسكرية الإيرانية قد اهتزت بالإجراءات التى اتخذها النظام الخومينى تجاه القوات المسلحة الإيرانية من تصفية للقادة ، إلى جانب أن النظام العراقى وجد فى ذلك فرصة سانحة لنقض إتفاقية ١٩٧٥ واستعادة شط العرب ليدرأ صدام حسين عن نفسه شبهة التنازل عن حقوق وطنه العراق للعدو التقليدى إيران . كما اعتقد صدام أنه سيحقق نصراً سهلاً على إيران وبذلك يدعم مكانته ويحقق حلمه فى أن يكون أكبر زعيم فى منطقة الخليج العربى ويتربع بذلك مركز القيادة لمنطقة الخليج إن لم تكن الأمة العربية بزعم أنه يحمى الأمة العربية من الخطر الفارسى . هذا إلى جانب العداء الشخصى بين صدام حسين والخومينى ومحاولة صدام الإستفادة من الظروف الصعبة التى تعانى منها إيران من تمزق سياسى واقتصادى وتدهور فى علاقاتها الدبلوماسية مع العديد من دول العالم وفى مقدمتها القوتين الأعظم آنذاك ــ الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتى . واعتقد أن صدام حسين وجد فى كل ذلك فرصة تاريخية له لن تتكرر لتحقيق أحلامه فزج بالعراق فى تلك الحرب .

وعند دراسة أى حرب فإن أول ما يجب أن يتعرض له أى محلل عسكرى هو دراسة مقارنة لقدرات الجانبين عسكرياً عندما تنشب الحرب ، وكذا إستعراض ما قام به كل طرف من إعداد سياسى واقتصادى ومعنوى وعسكرى لدخوله الحرب .

فإذا تعرضنا للعراق وماذا قام به فى هذا المجال سيتضح بما لا يدع مجال لشك أن صدام حسين قد بدأ يفكر عندما سقط الشاه ومع بدء قيام الثورة الخومينية عام ١٩٧٩ فى شن الحرب ضد إيران ، ويبدو أنه بدأ فعلاً يعد العدة لذلك فعلى المستوى الداخلى تخلص صدام حسين من كل مراكز المعارضة السياسية المنظمة والتى قد تعارض حربه ضد إيران وقام بتصفية عدد كبير من رفاقه البعثيين لينفرد بالقرار كما عمل على تهدئة الأقليات وكبح جماح زعمائهم (الأكراد والشيعة) . وعلى المستوى العربى عمل على تدعيم علاقاته بدول الخليج

وخاصة المملكة العربية السعودية ليضمن مساعدته مالياً واقتصادياً فى هذه الحرب ، ومع الأردن باعتباره عمق إستراتيجى للعراق .

وعلى المستوى الدولى عمل صدام على تدعيم علاقاته بالغرب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وهو ما ظهر من قيام دول غربية كثيرة فى تدعيم الصناعة الحربية العراقية واستغلال توتر العلاقات الأمريكية الإيرانية بأنبدىأمام الرأى العام الغربى أنه يقف فى وجه المد الثورى الخومينى ومنعه من تهديد المصالح الغربية والأمريكية فى منطقة الخليج . وفى نفس الوقت استمرت علاقته مع الإتحاد السوفيتى فى أحسن حالاتها وتمكن من الحصول على كل إحتياجاته لتدعيم القوة العسكرية العراقية .

وبانفراد صدام بالسلطة المطلقة عمل على إستغلال موارد البترول والدعم المادى الذى حصل عليه بالإبتزاز من دول الخليج فى تنفيذ خطة طموحة فى مجال تدعيم القوات المسلحة وتنفيذ الكثير من المشروعات الطموحة لبناء بنية أساسية ضخمة وصناعات عسكرية كبيرة .

ولإقناع الشعب العراقى بمشروعية حربه المقبلة بدأ حملة إعلامية مركزة ومنظمة لإستثارة الوطنية العراقية وتذكيرها بالحقوق التاريخية للعراق فى شط العرب وعربستان وبعض المناطق الأخرى ، والتهويل من الخطر الفارسى على العراق والأمة العربية مستغلاً فى ذلك اغتصاب إيران لجزر طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى ، والتعاون الإيرانى الإسرائيلى العسكرى وأن إيران تسعى إلى إنشاء إمبراطورية شيعية لا سيما وهى فارسية أصلاً على حساب الأمة العربية .

وعمل صدام بجهد كبير على تزويد القوات المسلحة العراقية بحجم كبير من الأسلحة والمعدات الحديثة معظمها أساساً من الإتحاد السوفيتى والبعض منها من الغرب . ولم يجد صعوبة فى ذلك لتوفر التمويل الذى إستخدم فيه موارد العراق البترولية والدعم الخليجى الكبير الذى قدمته تلك الدول وفى مقدمتها المملكة العربية السعودية والكويت . كما أنه استعان بعدد من الخبراء السوفيت والباكستانين والفرنسيين فى تدريب القوات العراقية وفى مجال الصيانة والإصلاح للأسلحة والمعدات .

ومن كل ذلك يتضح أن صدام حسين كان يستعد للحرب التى قرر شنها على إيران بعد سقوط الشاه ومع بداية الثورة الخومينية أوائل عام ١٩٧٩ .

وعلى الجانب الآخر أحدثت ثورة الخومينى فى إيران وإستيلائه على مقاليد الأمور بإيران خللاً فى التوازن الإقليمى ، ونادت الثورة الخومينية بالفكرة الجامعة الإسلامية بديلاً للقومية العربية التى نادى بها الرئيس الراحل عبد الناصر . وبدا على السطح أن إيران تحاول تصدير ثورتها إلى دول الخليج العربى رغم ما تعانيه إيران من مشاكل أهمها القوميات المختلفة وتراجع التأييد الشعبى للثورة بين العديد من طبقات الشعب بسبب الصراع على السلطة وإنتشار البطالة وتردى الموقف الإقتصادى . كما أن الموقف السياسى الإيرانى كانت تواجهه صعوبات جمة وخاصة مع الغرب وتخوف الإتحاد السوفيتى من إنتشار عدوى الثورة الخومينية إلى الجمهوريات الإسلامية الجنوبية بالإتحاد السوفيتى . وارتكبت الثورة الخومينية خطأ كبيراً تجاه القوات المسلحة الإيرانية إذ أخذت فى تصفية القيادات ذات الخبرة بحجة ولائها للشاه السابق فحاكمت وأعدمت العديد من الضباط وأحالت المئات منهم إلى التقاعد إعتباراً من رتبة العقيد والعميد . وبدأ مستوى التدريب وصيانة المعدات يتردى بمعدل عال وأصبح واضحاً أن القوات المسلحة الإيرانية أصبحت فى أسوأ حالة حالها وهو ما أغرى صدام حسين بأنه سيحقق نصراً سهلاً عليها . كما أن الثورة لجأت إلى تشكيل قوات جديدة لتحل محل القوات النظامية أطلق عليها الحرس الثورى الأمر الذى كان له تأثير كبير على الروح القتالية للجيش وعلى الإنضباط العسكرى . هذا إلى جانب توقف الولايات المتحدة الأمريكية عن إمداد إيران بقطع الغيار والذخائر للأسلحة الأمريكية الكثيرة التى كان قد اشتراها شاه إيران لعدة سنوات عديدة قبل الثورة . فساءت أحوال القوات الجوية بشكل ملحوظ وانخفض عدد الطائرات ف ــ ١٤ والفانتوم الصالحة ، وساء موقف البحرية الإيرانية وكل أسلحة القوات المسلحة .

وعلى الصعيد السياسى الداخلى دار صراع عنيف داخل الحزب الجمهورى الإسلامى أكبر التنظيمات السياسية فى إيران والذى تربع على رأسه وعلى قمة الدولة الإمام الخومينى . وكان هذا التنافس بين الجناح الدينى والجناح المدنى داخل الحزب قد إنتهى بانتصار الجناح الدينى الذى لم تكن له أية خبرة فى إدارة الأزمات . وعندما بدأت الحرب العراقية الإيرانية ظهرت بوادر تمرد بين الأقليات بصورة شكلت خطورة على الجبهة الداخلية الإيرانية .

وعلى المستوى العربى ثارت مخاوف الدوائر الحاكمة فى دول الخليج من إحتمالات تصدير الثورة الخومينية إليها خاصة وأن حجماً كبيراً من مواطنى تلك الدول يدين بالمذهب الشيعى الأمر الذى دفع هذه الدول إلى تقديم الدعم المالى بلا حدود لصدام حسين.وتردى الموقف

الإقتصادى الإيرانى بعد الثورة إذ تم قطع إمدادات البترول إلى الولايات المتحدة الأمريكية وإمداد الغاز إلى الإتحاد السوفيتى بسبب غزوة لأفغانستان ، وانخفض إنتاج البترول الإيرانى إلى أقل من النصف ، كما أن الإيرانيين لم ينجحوا فى الإستغلال الإقتصادى للثروات الطبيعية الأخرى . وتسبب ذلك فى إلغاء العديد من عقود توريد الأسلحة والمعدات التى وصل حجمها إلى أكثر من تسعة مليارات دولار .

وتسبب بطش الثورة الخومينية بالعديد من فئات الشعب الإيرانى إلى إنخفاض الروح المعنوية للقوات المسلحة ، وزاد من حدة ذلك الصراع الدائر على السلطة داخل النظام الإيرانى .

من كل هذا يتضح أن الموقف الإيرانى عندما نشبت الحرب كان سيئاً إلى حد كبير ، واعتقد أن هذا الموقف هو الذى دفع بصدام حسين إلى مغامرته الفاشلة بشن الحرب على إيران .

عوامل مختلفة أثرت على سير الحرب

كانت هناك عدة عوامل إستراتيجية وعسكرية لعبت دوراً حيوياً فى تحديد مسار القتال عندما بدأت الحرب . هذه العوامل هى نقاط القوة والضعف فى الجانبين ، والقوة الإقتصادية النسبية للطرفين ، وقدرة كل دولة على الحصول على الأسلحة ، وقدرة كل دولة على تعبئة القوة البشرية المتاحة له ، وفى النهاية البناء الإبتدائى لقواته المسلحة وقدراتها .

وسنبدأ الحديث عن نقاط القوة والضعف فى الجانبين :

لقد بدأت العراق وإيران الحرب ولكل منهما مزايا وعيوب حددت طريقة كل منهما فى إدارة الحرب ، وأدت إلى أسلوب محدد لكل منهما فى الإقتراب من التكتيك والتكنولوجيا وساعدت على تحديد اسلوبها فى إدارة الحرب .

مجموعة المزايا والعيوب الإيرانية :

على الرغم من عدم الإستقرار السياسى والعسكرى فإن إيران دخلت الحرب ولديها عدة مزايا اشتملت على :

- العمق الإستراتيجى فالمدن الرئيسية والإيرانية ومعظم المنشآت البترولية الهامة تقع على مسافات بعيدة من خط الحدود بين العراق وإيران .
- وجود جيش نظامى كبير كان قد أعده الشاه قبل الثورة ، وامتلاكها لبعض نظم التسليح الأمريكى المتطور وكذا تسليح غربى متطور إلى جانب حجم كبير من الإحتياجات . وفى الوقت الذى تأثرت فيها الكفاءة القتالية للقوات النظامية نتيجة تعرضها لتصفية من جانب الثورة بعد الشاه إلا أن وجود أسلحة كثيرة فى المخازن ووجود كوادر مدربة كانت عاملاً رئيسياً فى الدفاع عن نفسها .
- وجود قوة مسلحة نامية جديدة نصف مدربة من الميلشيات التى كانت تنتمى إلى العديد من التنظيمات السرية مثل حزب الله وغيرها ، والحرس الثورى . لقد نجحت هذه العناصر فى تأمين الثورة .

- الروح الثورية التى بثها النظام الخومينى فى الشعب الإيرانى رفعت من الروح المعنوية للقوات .

وفى نفس الوقت واجهت القوات المسلحة الإيرانية وخاصة النظامية (الجيش والبحرية والطيران والدفاع الجوى) عديد من نقاط الضعف فى بداية الحرب اشتملت على :

- توقف الولايات المتحدة المورد الرئيسى للسلاح لإيران عن توريد أى أسلحة أو ذخائر أو قطع غيار . كما أن الإيديولوجية العدائية وشن الهجوم الإسلامى على القوى العظمى وعلى الدول العربية عزلت إيران عن العالم ودفعت تلك الدول إلى تأييد العراق قبل وخلال الحرب .
- التدخل الإيديولوجي والسياسى المستمر فى شئون القوات المسلحة النظامية بما فى ذلك إنشاء طبقة جديدة من القادة الدينيين لهذه القوات . وبمجرد نشوب الحرب زاد التدخل على كل المستويات الأمر الذى كثيراً ما أدى إلى أخطاء تكتيكية وتعبوية وإستراتيجية .
- التنافس المستمر على كل المستويات بين القوات النظامية ، وقوات الحرس الثورى الجديدة ، والمتصارعين على النفوذ حول الخومينى .
- النقص الشديد فى كوادر الضباط وضباط الصف بعد أن تم القضاء على حوالى ١٢٠٠٠ منهم بعد سقوط الشاه الأمر الذى أدى إلى ضعف فى سلسلة القيادة والسيطرة .
- نظام إدارى ضعيف أدى إلى حرمان القوات المسلحة الإيرانية من إستخدام ما لديها من مخزون من المعدات والأسلحة وقطع الغيار . وكان كل إعتماد القوات الإيرانية فى هذا المجال على مجموعات تكلف بالبحث والتنقيب عن المخازن وما بها من أسلحة ومعدات وقطع غيار فوجدت صعوبات بالغة لعدم وجود سجلات لهذه المواد وكان العمل يتم عشوائياً .
- إعتماد القوات الإيرانية قبل الحرب على أجانب فى مسائل التأمين الفنى فى كثير من الأمور الحيوية مثل الصيانة والإصلاح والتدريب والتخطيط لذلك ... إلخ والذين تركوا إيران بمجرد نشوب الثورة وسقوط الشاه الأمر الذى أثر كثيراً على الكفاءة الفنية والقتالية للقوات المسلحة .
- إنخفاض مستوى الإحتراف بالنسبة للمهارات العسكرية بعد إنهيار الكليات والمعاهد

العسكرية التى كان قد أنشأها الشاه ليحل محلها نظام أيديولوجى بحت .

- إرتفاع أعداد الهاربين من الخدمة العسكرية الذى وصل إلى حوالى ٦٠٪ من حجم الأفراد قبل يوليو ١٩٨٠ رغم تمكن النظام الخومينى من تجنيد أعداد كبيرة لتحل محل الفارين .
- إستمرار مشاكل الأمن الداخلى وخاصة بالنسبة للأقليات المختلفة والتنظيمات السرية الأمر الذى خلق الكثير من الصعوبات أمام نظام الحكم الخومينى .

المزايا والعيوب لدى العراق :

تماماً كما هو الحال بالنسبة لإيران يوجد لدى العراق مجموعة من المزايا والعيوب التى كان لها تأثير على سير العمليات . وأهم المزايا هى :

- إستقرار سياسى وعسكرى أحسن من إيران بالنسبة لفترة ما قبل الحرب . كما أن القوات المسلحة العراقية كانت تخضع لسيطرة رجل واحد هو صدام حسين . ورغم ما أشيع من وجود بعض الصراعات الداخلية إلا أنها لم تصل إلى الحد الذى كانت عليه الصراعات الداخلية فى إيران بعد سقوط الشاه .
- علاقات جيدة وحميدة مع جيرانها والتى بدأت فى التحسن بصورة كبيرة فى السبعينات لما توقفت العراق عن محاول قلب نظم الحكم فى الدول المجاورة لها ، كما تطورت مجالات التجارة الخارجية العراقية مع غرب أوروبا . ولقد تمكنت العراق من المحافظة على هذه العلاقات طوال الحرب .
- تنوع مصادر السلاح بالنسبة للعراق فكانت تستورد السلاح من أوروبا الغربية والإتحاد السوفيتى وكوريا الشمالية والصين الشعبية رغم ما قد يسبب ذلك من مشاكل فى التأمين الفنى والتدريب ولكنها مشاكل يسهل التغلب عليها .
- كان إعتماد العراق على الخبرة الأجنبية أقل من إعتماد إيران عليها ، كما كانت للعراق قاعدة إدارية لتأمين القوات أكفأ مما كان لدى إيران .
- احتياطيات مالية كبيرة وأرصدة مميزة فى بداية الحرب .
- مستوى معيشة مرتفع نسبياً وخطة تطوير إقتصادية جيدة ونجاح كبير فى تطوير البنية

الأساسية وشبكات الطرق .

- دعم مالى ومادى من دول الخليج ودعم عسكرى محدود من بعض الدول العربية الأخرى .

ومثلها مثل إيران كانت لديها بعض العيوب التى أثرت على عدم نجاح هجومها الإستراتيجى الإبتدائى فى الحرب وعلى أدائها الدفاعى لصد الهجوم المضاد الإستراتيجى الإيرانى . هذه العيوب هى :

- سيطرت على القيادة العراقية أوهام إستراتيجية خاطئة وطموحات يستحيل تحقيقها . فلقد رأوا فى إيران الدولة الضعيفة الممزقة واعتقدوا أنها ستنهزم أمام قوتهم المبالغ فيها . كما اعتقدوا أن الإيرانيين العرب سيثورون ضد الخمينى ويقفون إلى جانب العراق . واعتقدوا أن الحرب هى أسرع وسيلة لإحتلال مكان القيادة فى الخليج العربى والأمة العربية .

- تفتقر العراق إلى العمق الإستراتيجى ، فكل صادراتها من البترول تعتمد على منفذ ضيق على الخليج وعلى خط أنابيب يمر خلال سوريا وتركيا وهما هدفان للتأثير السياسى ولأعمال التخريب والتدمير .

- الدور السياسى الداخلى للقوات المسلحة العراقية جعلها عرضة لتصفية القادة والضباط الأكفاء بحجة الأمن وعدم الإنتماء للرئيس صدام حسين ولأسباب أخرى كثيرة . كما لوحظ أن أعداد البعثات التعليمية والتدريبية من الضباط العراقيين للخارج كانت محدودة للغاية الأمر الذى حرم القوات المسلحة من الإطلاع على العقائد العسكرية وأساليب التدريب الحديثة بالدول المتقدمة . ويبدو أن الخوف من تأثر الضباط الذين يوفدون فى بعثات بما يشاهدونه أو يتعلموه فيمثلون خطراً على النظام العراقى وعلى الرئيس صدام . ولذلك حتى من تم إرساله فى بعثة بالخارج وعاد إلى الوطن لم يستفد منه فى نقل ما اكتسبه من خبرة إلى آخرين بالقوات المسلحة ، ودائماً ما كان يتم التخلص منه ومن أمثاله . وهذا الاسلوب الأمنى والبوليسى الذى مارسه النظام العراقى داخل القوات المسلحة قتل روح القيادة والمبادأة لدى الضباط والقادة ، وهو ما يفسر كثرة التغييرات التى حدثت فى مراحل القتال المختلفة فى القيادات على جميع المستويات . فلقد قيل أن أكثر من ٣٠٠ ضابط برتبة كبيرة تم إعفاؤهم من مناصبهم فى أوائل الحرب بتهمة

التراخى فى أداء الواجب وعدم الكفاءة ؛ وتم إعدام ١٥ قائداً بتهمة الخيانة العظمى . ويقول بعض المحللين أن صدام فعل ذلك ليلقى باللوم على هؤلاء الضباط للفشل الذى حدث فى تحقيق الأهداف من هذه الحرب .

- كان معظم القادة من السنيين من الموصل وتكريت وعدد كبير من الجنود كانوا من الشيعة . ورغم أن ذلك لم يؤثر على الأداء القتالى للقوات إلا أنه يوضح سياسة القيادة العراقية فى وضع الطائفية والسياسة قبل الكفاءة العسكرية فى إختيار القادة .

- افتقرت القوات العراقية للتدريب الجيد المناسب والقاعدة الفنية التى تحقق كفاءة فنية عالية . لقد كانت العراق تمتلك أسلحة متطورة ولكنها افتقرت لنظام قيادة وسيطرة متطور فى الوقت الذى أصبحت فيه النظم الحديثة الآلية للقيادة والسيطرة عنصر هام فى إدارة الحروب والعمليات وفى التدريب والتأمين الفنى والإدارى .

- فى بداية الحرب كانت العراق قد بدأت فى التحول من التسليح الشرقى إلى التسليح الغربى الأمر الذى أثر إلى حد ما على تدريب القوات والتأمين الفنى لها .

- كان نظام الإستخبارات والإستطلاع العراقى ضعيفاً وغير متطور وكان يعتمد أساساً على العنصر البشرى.. كما افتقرت القوات المسلحة لنظام إستطلاع لاسلكى متطور ، كما أن وسائل التصوير الجوى التى كانت متاحة كانت متخلفة نسبياً ، وكانت تستغل أساساً داخلياً بدلاً من إستغلالها للحصول على المعلومات عن العدو .

- كانت وسائل الإنذار المبكر لدى العراق ضعيفة ، كما أن إسلوب التعاون بين القوات الجوية ووسائل الدفاع الجوى كان بدائياً غير كفء .

- رغم إمتلاك العراق لعدد كبير من وسائل الدفاع الجوى إلا أن مستوى التدريب كان منخفضاً ، وظهر ذلك بوضوح أثناء عملية تدمير المفاعل النووى العراقى بواسطة القوات الجوية الإسرائيلية التى نفذت مهمتها دون أن تتعرض لها أى وسيلة من وسائل الدفاع الجوى أو القوات الجوية .

- التوتر القائم بين الطوائف العراقية المختلفة (سنة وشيعة وأكراد) .

تأثير الإقتصاد على الحرب

كانت قدرات كل من العراق وإيران على تعبئة الإقتصاد والثروة البترولية عامل رئيسى فى سير الحرب . ونورد جدولاً يبين الإقتصاد العسكرى للدولتين نشرته بعض المراجع الأجنبية لتوضيح الصورة . ورغم أن هذه الأرقام لا يمكن القطع بصحتها إلا أنها توضح أن الفوضى التى صاحبت قيام الثورة الخومينية أعطت العراق ميزة إقتصادية ، كما أن الدعم الإقتصادى الذى قدمته الدول العربية للعراق لعب دوراً حاسماً فى دفع الدماء فى الإقتصاد العراق ليستمر فى دعم المجهود الحربى طوال الحرب .

إن معدلات الإتفاق العسكرى لكل من العراق وإيران فى الفترة ما بين عام ١٩٧٣ وعام ١٩٨٨ بأسعار عام ١٩٨٤ تعد مؤشراً هاماً . فالأرقام توضح أن العراق كانت قادرة على تغيير النسبة فى الإتفاق العسكرى التى كانت لصالح إيران بنسبة ٣ إلى ١ عامى ١٩٧٣ ، ١٩٧٤ (فترة ما قبل إتفاقية الجزائر ١٩٧٥ مباشرة) لتكون فى صالح العراق بعد سقوط الشاه مباشرة . كما يتضح أن العراق تمكنت من المحافظة على هذا التفوق فى الإتفاق العسكرى طوال الحرب . ويرجع ذلك إلى المعونات العربية الكبيرة التى قدمتها دول الخليج للعراق وليست للتخطيط العراقى . ويوضح الجدول رقم (٢) أن العراق كانت معرضة لهجوم إيران على منشآتها البترولية فى الخليج كما أن سوريا كانت على إستعداد لمنع مرور البترول العراقى فى خط الأنابيب المار بأراضيها .

وثبت من سير أحداث الحرب فى الفترة ما بين ١٩٨٠ وعام ١٩٨٣ أنه لولا الدعم المالى الضخم الذى قدمته لها دول الخليج ولو لم تكن القدرات العسكرية والإقتصادية الإيرانية فى حالة سيئة ، ولو لم تكن إيران ترغب فى تحسين علاقاتها مع الإتحاد السوفيتى والغرب لحققت إيران نصراً على العراق . فإن بقاء العراق وإستمرارها فى المقاومة كان يعتمد إعتماداً تاماً على الكويت والمملكة العربية السعودية والدول الصديقة الأخرى العربية أكثر من إعتمادها على قوتها العسكرية ، كما أن تفوقها العسكرى فى الجبهة إعتمد على حصولها على حوالى ٤٥ مليار دولار معونات وقروض .

ورغم ذلك فإن بعض المحللين يقول أن إيران أنفقت على المجهود الحربى أكثر بكثير مما

الجدول رقم (١)

حجم الأسلحة المستوردة				الإنفاق العسكرى				القوة البشرية بالألف			ملاحظات
سنة الأساس عام ١٩٨٤ بالمليون		الجارى بالمليون		سنة الأساس عام ١٩٨٤ بالمليون		الجارى بالمليون					
إيران	العراق	إيران	العراق	إيران	العراق	إيران	العراق	إيران	العراق		
—	—	٥٢٥	٦٢٥	—	—	٣١١٢	١٤٨٨	٣٨٥	١٠٥	١٩٧٣	١ ـــ لم يذكر فى الجدول قوات الحرس الثورى
—	—	١٠٠٠	٦٢٥	—	—	٨٩٥٥	٣٠٩٧	٣١٠	١١٠	١٩٧٤	
—	—	١٢٠٠	٧٥٠	٢٤٤١٠	٥٩٦٩	١٣٤٤٠	٣٢٨٦	٣٨٥	١٥٥	١٩٧٥	
—	—	٢٠٠٠	١٠٠٠	٢٥١٤٠	٦٦٢١	١٤٧٢٠	٣٨٧٦	٤٢٠	١٩٠	١٩٧٦	
٤١٤٣	٣٠٢٨	٢٦٠٠	١٩٠٠	١٩٠٥٠	٧٥٨٣	١١٩١٠	٤٧٣٦	٣٥٠	١٤٠	١٩٧٧	
٣٢٥٨	٣٥٥٢	٢٢٠٠	٢٤٠٠	٢١٦١٠	٩١٦٨	١٤٤٨٠	٦١٤٥	٣٥٠	٣٦٢	١٩٧٨	
٢٠٥٠	٤١٠٠	١٥٠٠	٣٠٠٠	١٢٤٧٠	٩٥٥٣	٩٠٥٨	٦٩٦٧	٤١٥	٤٤٤	١٩٧٩	
٥١١	٣١١٨	٤١٠	٢٥٠٠	٩٧٠٨	١٥٢٨٠	٧٧٢٥	١٢١٦٠	٣٠٥	٤٣٠	١٩٨٠	
١١٥٢	٤٩٠٥	١٠٠٠	٤٣٠٠	٩٧٦٨	١٧٣٧٠	٨٥١٩	١٥١٠٠	٢٦٠	٣٩٢	١٩٨١	
١٧٢٥	٦٩٠٠	١٦٠٠	٦٤٠٠	١٠٣٣٠	١٦٧٥٠	٩٥٩٣	١٥٣٨٠	٢٤٠	٤٠٤	١٩٨٢	
٩٥٦	٧٠٢٥	٩٢٥	٦٨٠٠	٨٦٨٨	١٥٧٣٠	٨٣٧٦	١٥١٦٠	٢٤٠	٤٣٤	١٩٨٣	
٢٤٠٠	٩٥٠٠	٢٤٠٠	٩٥٠٠	١١٦٩٠	١٥٩٢٠	١١٦٩٠	١٥٩٢٠	٣٣٥	٧٨٨	١٩٨٤	
١٦٤٥	٣٨٥٠	١٧٠٠	٤٠٠٠	—	—	١٤٠٩١	١٢٦٦٦	٣٤٥	٧٨٨	١٩٨٥	
١٦٩٥	٤٦١٤	١٨٠٠	٤٩٠٠	—	—	٦١١٠	١١٥٧٩	٧٠٥	٨٤٥	١٩٨٦	
—	—	—	—	—	—	٥٩٠٠	١٣٩٩٠	٦٥٤	١٠٠٠	١٩٨٧	

جـــدول رقـم (٢)

المتوسط السنوى لتصدير البترول بالمليوم برميل / يوم		الأسلحة المستوردة كنسبة مئوية من التصدير الكلى		الإنفاق العسكرى كنسبة مئوية من الموازنة		الإنفاق العسكرى كنسبة مئوية من الدخل القومى		السنة
إيران	العراق	إيران	العراق	إيران	العراق	إيران	العراق	
٥,٨	٢,٠٢	١٥,٤	٦٩,٩	٣٠,٢	٥٧,٧	٨,٣	٢٥,٥	١٩٧٣
٦,٠	١,٧٩	١٨,٤	٢٦,٣	٣٣,٩	٤٥,١	١٣,٨	٢١,٦	١٩٧٤
٥,٣	٢,٢٦	١١,٦	١٧,٨	٣١,٩	٢٩,٨	١٧,٦	١٧,٤	١٩٧٥
٥,٨	٢,٤٢	١٥,٥	٢٨,٨	٣٧,١	٣٧,٥	١٥,٦	١٧,٢	١٩٧٦
٥,٦	٢,٣٥	١٧,٨	٤٨,٧	٢٦,٥	٤٠,٦	١١,٩	٦٨,١	١٩٧٧
٥,٢	٢,٥٨	١٦,٢	٥٧,–	٣٧,٤	٢٨,–	١٦,٦	١٩,٢	١٩٧٨
٣,١٠	٣,٤٨	١٥,٤	٤١,٨	٢٥,١	٢٤,٩	٨,٢	١٤,٩	١٩٧٩
١,٦	٢,٥١	٣,٣	١٧,٩	١٩,٧	٢٥,٩	٦,٦	٢٢,٥	١٩٨٠
١,٣٥	٠,٩٩	٨,–	٢٠,٧	٢٠,٧	٤٣,٩	٦,٨	٤٥,١	١٩٨١
٢,٢٨	٠,٩٧	١٣,٤	٢٩,٧	٢١,٧	٣٠,٨	٦,٧	٤٤,٨	١٩٨٢
٢,٤٠	٠,٩٢	٥,–	٥٥,٩	١٨,٦	غير متيسر	٥,٢	٤٤,٣	١٩٨٣
٢,١	١,٢٠	١٥,٦	٨٥,٨	٢٩,٩	غير متيسر	٧,٢	٤٢,٥	١٩٨٤
٢,٢	١,٤٤	١٤,٦	٣٧,٩	—	—	—	—	١٩٨٥
١,٩٣	١,٧٣	١٧,٤	٥٢,٧	—	—	—	—	١٩٨٦
٢,٤٠	٢,٠٨	—	—	—	—	—	—	١٩٨٧
٢,٢	٢,٥٠	—	—	—	—	—	—	١٩٨٨

أنفقته العراق . ومع ذلك فإن الأرقام تحدد أن إيران واجهت صعوبات كبيرة فى تعبئة إقتصادها كما توضح الإنفاق العسكرى قبل الحرب وخلال الحرب . كما يتضح من البيانات أن كلا الدولتين أرهقتا تماماً فى الإنفاق العسكرى ، كما أن حرب البترول التى نشبت بين الطرفين للتأثير على قدراتهما فى تصدير البترول ، وإنخفاض الأسعار فى سوق البترول ، كل ذلك أثر على القدرات الإقتصادية للطرفين . وعلى الرغم من أن كلا من العراق وإيران لا يزالا قادرتين على تمويل الإستمرار فى القتال إلا أنهما واجهتا ضغطا متزايداً على إقتصادياتهما واضطرتا للتضحية بالكثير لمواجهة الإنفاق العسكرى أو كما يقال التضحية برغيف العيش فى سبيل المدفع .

تأثير إستيراد الأسلحة والتكنولوجيا

لقد استفادت العراق من ميزة قدرتها المتميزة على إستيراد الأسلحة والتكنولوجيا المتطورة من الغرب والشرق قبل وخلال الحرب . وإذا ما استعرضنا فترة السنوات الخمس فيما بين ١٩٧٤ ، ١٩٧٨ نجد أن إيران قامت باستيراد معدات وأسلحة بما قيمته ٨,٧ مليار دولار من بينها معدات وأسلحة أمريكية بما قيمته ٦,٧ مليار دولار وكلها أسلحة ومعدات متطورة ، والباق وهو معدات وأسلحة بما قيمته ٥٠٠ مليون دولار من دول تصدر أسلحة ومعدات أقل تطوراً . وفى المقابل قامت العراق بإستيراد معدات وأسلحة بما قيمته ٥,٣ مليار دولار من بينها ما قيمته ٨٠٠ مليون دولار فقط معدات وأسلحة من دول تصدر معدات وأسلحة متطورة ومتقدمة . ثم تغير هذا الموقف بصورة أخرى بعد سقوط الشاه . ففى منتصف السبعينات كان الشاه ينفق ما بين ٥٠ ، ١٠٠٪ زيادة عما تنفقه العراق فى إستيراد الأسلحة والمعدات سنوياً .

وفى عام ١٩٧٨ تساوت العراق مع إيران فى هذا المجال ، ثم فى عام ١٩٧٩ كانت العراق تنفق ضعف ما تنفقه إيران على الأسلحة والمعدات . وفى عام ١٩٨٠ وعام ١٩٨١ وصلت النسبة إلى ٥ : ١ لصالح العراق رغم أن الإتحاد السوفيتى أوقف معظم شحنات الأسلحة والمعدات إلى العراق . كما أن العراق تمكنت من الحصول على حوالى نصف إحتياجاتها من الأسلحة والمعدات من خارج الكتلة السوفيتية ، وحوالى الثلث معدات متطوره من غرب أوروبا . واستمر هذا التفوق العراقى فى الإنفاق العسكرى والحصول على تكنولوجيا متطورة طوال الحرب (يوضح الجدول رقم ٣ واردات السلاح العراقية والإيرانية) .

وعليه ففى الفترة من عام ١٩٨٠ وحتى عام ١٩٨٧ أنفقت العراق وإيران ٦٤ مليار دولار على شراء أسلحة ومعدات جديدة وهو ما يساوى خمس مبيعات السلاح فى التجارة الدولية . وكان نصيب الإتحاد السوفيتى من هذا الحجم من المبيعات ٢٩٪ ودول الكتلة الشيوعية الأخرى ١٢٪ ، والدول الغير شيوعية ١٦٪ ، والدول الغربية بدون الولايات المتحدة الأمريكية ٣١٪ وباقى الدول ١١٪ .

جـــدول رقــم (٣)
واردات الأسلحة والمعدات لكل من العراق وإيران بالمليار دولار
فيما بين ١٩٨٠ ، ١٩٨٧

الدولة المـــوردة	العـــراق			إيـــران		
	١٩٨٠_١٩٨٣	١٩٨٤_١٩٨٧	١٩٨٠_١٩٨٧	١٩٨٠_١٩٨٣	١٩٨٤_١٩٨٧	١٩٨٠_١٩٨٧
الإتحـاد السـوفيتى	٨,٨٢٠	١١,٤٥٠	٢٠,٢٧٠	٠٠,٦١٥	٥	٦,٢
الصـــين	١,٦١٠	١,٥٧٥	٤,١٨٥	٠,٢٢٥	١,٥٩٠	١,٨١٥
دول شـيوعية أخـرى	٢,٩٨٠	٢,٦٥٠	٥,٦٧٠	١,٣٣٠	٢,٥٦٥	٣,٨٩٥
إجمالى الكتلة الشـيوعية	١٣,٤١٠	١٦,٧١٥	٣٠,١٢٥	٢,١٧٠	٤,١٦٠	٦,٣٣٠
دول أوروبيـة غير شـيوعية	٥,٧١٠	٤,٥٨٠	١٠,٢٩٠	٠,٥٩٠	٢,٩٩٥	٣,٥٨٥
الـولايات المتحـدة الأمريكية	صـــفر	صـــفر	صـــفر	صـــفر	صـــفر	صـــفر
دول أخرى غير شـيوعية	١,١٩٥	١,٩١٥	٣,١١٠	٠,٥٩٠	٢,٩٩٥	٣,٥٩٥
إجمالى الدول الغير شيوعية	٦,٩٠٥	٦,٤٩٥	١٣,٤٠٠	١,٧١٠	٣,٧٧٠	٣,٤٩٠
المجموع الكلى	٢٠,٣١٥	٢٣,٢١٠	٤٣,٥٢٥	٣,٨٨٠	٧,٩٣٠	١١,٨١٠
نســبة العـراق إلى إيـران	٥٢٤٪	٢٩٣٪	٣٦٩٪	—	—	—
نســبة إيـران إلى العـراق	—	—	—	١٩٪	٣٤٪	٢٧٪

ملحوظة : لم يشمل هذا الجدول مبيعات الولايات المتحدة الأمريكية

وفى الفترة ما بين عام ١٩٨٠ وعام ١٩٨٧ كانت ٣٧٪ من مشتروات العراق من الأسلحة والمعدات من الإتحاد السوفيتى فى مقابل ١٠٪ من الصين ، ١٢٪ من الدول الشيوعية الأخرى ، ٣٧٪ من الدول الأوروبية الغير شيوعية ، وباق الدول ١٢٪ . وكانت لفرنسا النصيب الأكبر بين الدول الأوروبية .

وفى الفترة نفسها توزعت نسب المشتروات الإيرانية كالآتى : ٢١٪ من الصين الشعبية ، ٢٪ من الإتحاد السوفيتى ، ٣١٪ من دول شيوعية أخرى .

كان حجم المشتروات من السلاح والمعدات التى حصلت عليها إيران والعراق فى الفترة من عام ١٩٨٠ وحتى عام ١٩٨٧ أكثر من ٥٥ مليار دولار وهو ما يعادل أكثر من ثلث مشتروات العالم الثالث كله من السلاح .

تأثير القوة البشـرية على الحـرب

بنشوب الحرب عبأت كل من العراق وإيران قوتها البشرية وهو أمر حيوى يعادل تماماً تعبئة الإقتصاد لدعم المجهود العسكرى . ومرة أخرى فازت العراق فى هذا المجال سواء قبل الحرب أو أثناءها . ويرجع سبب فوز العراق فى هذا الموضوع إلى الفوضى التى أحدثتها الثورة الخومينية داخل إيران وخاصة داخل القوات المسلحة .

وحسب كل المعدلات الديموغرافية كانت لإيران ميزة كبيرة فى مجال القوة البشرية على العراق (يوضح الجدول رقم ٤ تقديرات القوة البشرية فى كل من العراق وإيران) .

ورغم أن هذه البيانات تقريبية إلا أنها قريبة من الحقيقة . ويتضح منها أن العراق توفرت لها القدرة على إستيراد عمالة أجنبية (معظمها من المصريين) سواء للقوات المسلحة أو للقوى العاملة ولقد ساعدها ذلك كثيراً فى حربها مع العراق . هذه البيانات نشرت فى الصحافة والمراجع الغربية ، ولكن الواقع أن عدد المهاجرين والعاملين المصريين بالعراق فى بداية وأثناء الحرب وصل إلى ما يقرب من الثلاثة ملايين حسب بعض الإحصائيات . ولقد أجبرت العراق أعداداً كبيرة منهم على التجنيد وصل إلى حوالى ٣٠ ألف حسب بعض البيانات ، كما أن الباقى وهو ما يزيد على المليونين ساعد على توفير نفس الحجم من القوة البشرية للعمل فى المجال العسكرى سواء داخل القوات المسلحة أو فى المجهود الحربى (من العراقيين) . ومع ذلك فلقد أثبتت الحرب العراقية الإيرانية أن العامل الحاسم هو التنظيم العسكرى (أى القوات المسلحة وليس تعداد السكان (أى إجمالى القوة البشرية) .

لقد بدأت العراق الحرب ولديها ميزة فى مجال القوة البشرية بسبب الفوضى التى كانت سائدة داخل إيران التى تعرضت لها قواتها المسلحة . وفقدت العراق هذه الميزة فيما بين عام ١٩٨١ وعام ١٩٨٤ بسبب حمى الثورة التى سادت إيران والتى مكنتها من زيادة القوة البشرية العاملة بالقوات المسلحة والحرس الثورى . ولكن بعد ذلك أخذت العراق فى التوسع فى التجنيد وفى زيادة حجم قواتها المسلحة وقوات الدفاع الشعبى وتمكنت من موازنة التفوق فى القوة البشرية الإيرانية .

هذا ولقد افتقرت إيران إلى نظام الأسلحة المشتركة ونظام جيد للتأثير الفنى والإدارى الذى يمكن من الإستخدام الأمثل للقوة البشرية . فلقد اضطرت إيران إلى الإعتماد على

جدول رقم (٤)

بيان	في عام ١٩٨٠			في أوائل عام ١٩٨٨		
	إيران (بالمليون)	العراق (بالمليون)	نسبة إيران إلى العراق	إيران (بالمليون)	العراق (بالمليون)	نسبة إيران إلى العراق
إجمالي السكان	٣٩,١	١٣,٦	١ : ,٩	٥٠,٤	١٧	١ : ٣
معدل الزيادة السنوية	٢,٩ ٪	٣,٥ ٪	٠,٨٢٪	٣,٣ ٪	٣,٦ ٪	٠,٩١٪
التقسيم الطائفي :						
فرس	٦٣٪	—	—	٦٣٪	—	—
إيرانيون ليسوا فرسا	١٣٪	—	—	١٣٪	—	—
عرب وفئات أخرى :						
سياميون	١٪	٧٠,٩٪	—	٣٪	٧٥٪	—
أكراد	٣٪	١٨,٣٪	—	٣٪	١٥–٢٠٪	—
آشوريون	—	٢,٤ ٪	—	—	—	—
تركمانيون	١٨٪	٤,٤ ٪	—	١٨٪	—	—
تركمان وآشوريون وآخرون	—	—	—	—	٥–١٠٪	—
حسب المذهب والعقيدة :						
شيعه	٩٦٪	٥٠٪	—	٩٣٪	٦٠–٦٥٪	—
سنة	٢٪	٤٠٪	—	٥٪	٣٢–٣٧٪	—
مسيحيون	—	٨٪	—	—	—	—
آخرون	٣٪	٢٪	—	٢٪	٣٪	—
القوة العاملة :						
من أهل الدولة	١٢	٣,١	١ : ٣,٩	١٤,٩	٤,٤	١ : ٣,٥
أجانب	؟	؟	—	؟	١	—
إجمالي	١٢	٣,١	١ : ٣,٩	١٤,٩	٥,٤	١ : ٢,٩
القوة البشرية العسكرية :						
رجال سن من ١٥ إلى ٤٩	٨,٦	٣	١ : ٢,٩	١١,٥	٣,٨	١ : ٣
صالحون للجندية	٥,١	١,٧	١ : ٣	٦,٨	٢,٢	١ : ٢,١
الوعاء التجنيدي السنوي	٠,٣٨٣	٠,١٤٦	١ : ١,٦	٠,٥٤	٠,١٨	١ : ٢,٧

تدريب هذه القوة البشرية كأفراد مشاه خفيفة أساساً . وحتى عندما دعت إيران الشعب للتطوع لتوفير القوة البشرية اللازمة لشن الهجوم لم تتمكن من الحصول على أعداد ضخمة لسوء الموقف الداخلى إدارياً . وواجهت إيران صعوبات كبيرة فى إستخدام المتطوعين ولم تتمكن من تحقيق النجاحات المطلوبة فى هجماتها والتى كانت نجاحات محدودة للغاية . فمن المعروف أن أى هجوم ناجح يتطلب الحركة وقوة النيران وكانت إيران تحتاج إلى أعداد أخرى كبيرة من الدبابات وقطع المدفعية ... إلخ أكثر مما كان لديها ليمكنها الإستفادة من تفوقها فى القوة البشرية . لقد تكبدت إيران خسائر بشرية عالية فى قوات الحرس الثورى الضعيفة التدريب الفقيرة التسليح . ولقد نلاحظ أن سوء مستوى الخدمات الطبية الإيرانية زاد من معدلات الوفيات إلى الجرحى . كل هذا وغيره أثر تأثيراً سيئاً على قدرة إيران على إمتصاص احتياطياتها البشرية وإستخدامها بفاعلية .

ومع مرور الوقت أثناء القتال خسرت القوات الإيرانية العديد من الضباط وضباط الصف المحترفين والمدربين ولم تتمكن وسائل التدريب والمنشآت التعليمية والتدريبية من إستعواض هذه الأعداد لأسباب كثيرة أهمها ما أصابها من تدمير بفعل الثورة .

إن هذا المزيج من المشاكل الإقتصادية والبشرية والنقص فى التسليح هو الذى يوضح لماذا لم تتمكن إيران من شن أكثر من هجومين رئيسيين فى الوقت الواحد رغم أن ميزة التفوق العددى تحتم شن الهجوم فى إتجاهات كثيرة وفى قطاعات متعددة فى آن واحد لأن ذلك سيحرم عدوك من دعم الدفاعات أو حسن إستخدام الإحتياطيات والإتساق الثانية خاصة إذا كان عدوك قد تحول إلى الدفاع الغير نشط .

ولم تواجه إيران وحدها مشاكل فى القوة البشرية فالعراق كذلك واجهت مشاكل فى ذلك . لقد بدأت العراق الحرب بتعبئة جزئية ثم اضطرت بعد ذلك إلى التعبئة الشاملة وكان ذلك على حساب القوة المنتجة بالدولة الأمر الذى كانت له آثاره على الإنتاج وبالتالى على إقتصاد الدولة . وزاد من حدة هذه المشكلة أن العراق كان عليها أن تواجه المشكلة الكردية فى شمال العراق الأمر الذى امتص حجماً كبيراً من قوتها البشرية العسكرية للسيطرة على هذه المشكلة .

التغيرات فى تكوين وقدرات القوات المسلحة للطرفين :

يوضح الجدول (٥) الإتجاهات العامة للقوات المسلحة العراقية والإيرانية فيما بين

إتفاقية الجزائر وبداية الحرب العراقية الإيرانية : وتعكس تلك الإتجاهات بوضوح حجم سباق التسلح على كلا الجانبين خلال السنوات الخمس ما بين إتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ وبداية الحرب عام ١٩٨٠ . وتوضح كذلك إتجاه إيران إلى الكيف فى الوقت الذى اتجهت فيه العراق إلى الكم ومن الطبيعى أن السبب فى ذلك كان واضحاً فحتى إلى ما قبل ثورة الخومينى كان الشاه على علاقة طيبة بالغرب الأمر الذى مكنه من الحصول على أسلحة ومعدات متقدمة فى حين كان المصدر الرئيسى للسلاح بالنسبة للعراق هو الكتلة الشرقية التى أمدت العراق بأسلحة ومعدات أقل تطوراً . ومن المهم أن نذكر أن تقدير حجم التسليح الذى كان لدى الطرفين قبل الحرب مباشرة لم يكن يعطى دلالة واضحة على إحتمال نشوب الحرب .

ولذلك يجب أن ندرك أن كل من الطرفين عندما بدأت الحرب كان يعانى من مشاكل تحد من استخدامه لقواته بفاعلية كبيرة . بعض هذه القيود تعتبر نسبية وتقدم درساً حيوياً وهاماً هو أن المعلومات عن القوات المسلحة فى العالم الثالث يمكن أن تكون محدودة لأسباب كثيرة وخاصة بالنسبة للحجم وتشكيل القتال ولذلك يجب أن ننظر إلى البيانات الواردة بشيء من الحذر رغم أنها دقيقة إلى حد ما لأننا حصلنا عليها من بيانات تصدرها معاهد الدراسات الإستراتيجية المختلفة ، وهى وإن كانت تحصل عليها من أجهزة متخصصة فى الدول التابعة لها ، إلا أنها تخضع لكثير من الأمور والإتجاهات السياسية التى تجعلها تنشر ما يتفق وهذه الإتجاهات ، وأحياناً تبالغ فى قوة طرف وتقلل من قوة طرف آخر لهدف محدد ترمى إليه . ولكن هذه الإختلافات عادة ما تكون محدودة لا تؤثر على الإستنتاجات التى نخرج بها من هذه البيانات .

ولقد اتضح أن كل من العراق وإيران كان يفتقر إلى تركيب قيادى جيد على قمة القوات المسلحة . ففى إيران كان للشاه الرأى الأول والأخير وكثيراً ما غير من قرارات القيادة العسكرية العليا ، وكثيرا ما تخلص من قادة شعر بأنهم يخالفونه الرأى ، كما أنه أحاط نفسه بمن أحس أنهم مخلصون له بالغض عن كفايتهم .

وعندما نشبت الحرب كان هنالك صراع على السلطة دائر داخل إيران قبل الصراع الذى دار بين بنى صدر والقادةالدينيين مثل رافسانجانى . وما من شك أن هذا الصراع أحدث آثاراً ضارة على القيادة العليا للقوات المسلحة فى السنة الأولى للحرب ، كما دار صراع بين الجيش النظامى والحرس الثورى .

جـــدول (٥)
الإتجاهات العامة فى القوات المسـلحة العراقية والإيرانية
(١٩٧٤ ــ ١٩٨٠)

القـــــوة	١٩٧٥/١٩٧٤		١٩٨٠/١٩٧٩	
	إيـــران	العـــراق	إيـــران	العـــراق
إجمالى القوات المسلحة :				
القوة البشرية المناسبة للقتال	٢٣٨٠٠٠	١١٢٥٠٠	٢٤٠٠٠٠	٥٥٥٠٠٠
قـوات بريـة :				
قـوات نظاميـة :				
عاملة	١٧٥٠٠٠	١٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠
احتيـاط	٣٠٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠	٢٥٦٠٠٠
الحرس النـووى	—	—	٣٠٠٠٠	—
الجيش الشعبى (بعثى)	—	—	٧٥٠٠٠	٦٥٠٠٠٠
حزب الله (حرس وطنى)	—	—	؟	—
متطـوعون حـرب	—	—	—	٦٠٠٠
جنـد زمـة	٧٠٠٠٠	—	؟	—
حـرس وطنى	—	٥٠٠٠	—	—
القوات بالفرق (فرق/آل)				
فـرق مدرعـة	٣	٢	١/٣	٣/١٢
فـرق ميكانيكيـة	—	—	—	٤
مشـاه وجبليـة	٢/٢	١/٣	١/٣	٤
قوات خاصة / ابرار جوى	ـ/٢	ـ/٢	ـ/٢	—
مبليشـيا شـعبية	—	—	—	—
المعدات الرئيسـية للقتـال :				
دبابـة قتال رئيسـية	١١٦٠	١٣٩٠	١٧٣٥	٢٧٥٠
	٤٠٠ م ــ ٤٧ ٤٥٠ م ٦٠ أ١ ٣٠٠ شـتيفين	١٣٠٠ ت٥٤،٥٥،٦٥ ٩٠ ت ــ ٣٤	٤٠٠ م ٤٧،٤٨ ٤٦٠ م ٦٠ أ١ ٨٧٥ شـتيفين	٥٠ ت٧٢ ١٠٠ آم اكس ٣٠ ٢٥٠٠ ت٥٤ ، ٥٥ ١٠٠ ت٣٤
مـدرعـات أخـرى				
عربـة قتال مدرعة	٢٠٠٠	١٣٠٠	١٠٧٥	٢٥٠٠
قطع مدفعية رئيسية	٦٦٤	٧٠٠	١٠٠٠	١٠٤٠

تابع جدول (٥)
الإتجاهات العامة فى القوات المسلحة العراقية والإيرانية
(١٩٧٤ ــ ١٩٨٠)

القـــوة	١٩٧٤/١٩٧٥		١٩٧٩/١٩٨٠	
	إيـــران	العـــراق	إيـــران	العـــراق
قوات جوية :				
قوة بشرية	٥٠٠٠٠	١٠٥٠٠	٧٠٠٠٠	٣٨٠٠٠
طائرات قتال	٢١٦	٢١٨	٤٤٥	٣٣٢
	٣٢ ف ــ ٤ د	٨ ق يو ١٦	١٨٨ ف ــ ٤ د	١٢ تى يو
	٦٤ ف ــ ٤ إى	٦٠ سوفوى ٧	١٦٦ ف ــ ٤ ف	١٠ اليوسف
	١٠٠ ف ــ ٥أ	٢٠ هنـد	٧٧ ف ١٤أ	٨٠ ميج ٢٣
	٤ آراف ــ ٤ إى	١٠٠ ميج ٢١	١٤ سـطو	٤٠ سوفوى
				٦٠ سوفوى
هليكوبترات هجومية	صفـر	صفـر	٢٠٥ AH-15	٤١ مى ٢٤
إجمالى الهليكوبترات	٢٦٤	١٠١	٧٤٤	٢٨٠
قوات صواريخ أرض ــ جو	هـوك	سام ٢ ، سام ٣ ، سـام ٦	هـوك ، رابيـر تايجـاركات	سام ٢ ، سام ٣ ، سـام ٦
البحـرية :				
القوة البشرية	١٣٠٠٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠٠	٤٢٥٠
مدمـرات	٣	صفـر	٣	صفـر
فرقاطات	٤	صفـر	٤	١
فرقاطات كوزفيت/قابضات	٤	٣	٤	صفـر
غواصات				
لنشات صواريخ	صفـر	٣	٩	١٢
لنشات أخـرى	٧	صفـر	٧	—
سفن حرب الألغام	٦	٢	٥	٥
هوفر كرافت	١٠	صفـر	١٤	صفـر
سفن أبـرار	٤ ــ ٧	٦	٤	١٧
طائرات بحرية	صفـر	صفـر	٦ P-3F	صفـر

وكان الموقف فى العراق شبيهاً بالموقف فى إيران فلقد تعرضت القيادة العليا للقوات المسلحة العراقية لتغيرات كثيرة إعتباراً من عام ١٩٧٧ وحتى بداية الحرب . وكانت القيادة الفعلية فى يد صدام حسين ومؤيديه السياسيين وهو رجل يفتقر إلى الخبرة العسكرية كما أن المحيطين به وكلهم عديمو الخبرة العسكرية . وكان أعضاء القيادة العامة العراقية ممثلين لصدام حسين وعليهم أن يستلهموا منه كل شيء وينتظرون التعليمات من القائد صدام حسين . وكان صدام حسين ينظر إلى القادة والضباط نظرة إستهزاء وكثيراً ما كان يقول عنهم « العسكر » بإسلوب تهكمى وإنه هو الذى وضع خطة تحرير الفاو مثلاً . إن القيادة العامة العراقية مارست مهمة إبلاغ الموقف للرئيس صدام ولم تمارس القيادة الفعلية للقوات .

وكانت الإستخبارات فى كل من الطرفين (إيران والعراق) تخضع لعوامل أيديولوجية بعيدة عن المراقبة الهادفة والتبليغ والتحليل . فلقد أدى الصراع السياسى بين إيران والعراق والخصائص السياسية لكل نظام إلى خلق إدارات (أو أفرع) فى المخابرات والإستطلاع ركزت كل جهودها على الأمن الداخلى وليس الأمن الخارجى وجمع المعلومات عن العدو .

كما لم يركز أى منهما أى إهتمام على الوسائل التكنولوجية الحديثة أو على مهمة الإستخبارات والإستطلاع العسكرية وإكتشاف الأهداف . وتسابقت أفرع المخابرات المختلفة فى إثبات ولائها وتجاوبت مع التحيز والأفكار الأيديولوجية لقادة الدولتين بدلاً من دراسة وتحليل الموقف العسكرى اللازم لإدارة الحرب الحديثة .

ولم يكن لأى من الدولتين إستراتيجية عليا أو تفهم لمخاطر وتكلفة الحرب . ففى الوقت الذى كان الخومينى وصدام حسين لهم خلافاتهم وأفكار اعتقد كل نظام أن النصر حليفه وأنه مضمون ، فلم يحددوا أهدافاً محددة وغايات يجب تحقيقها عندما بدأوا مغامرتهم . ويبدو أن كلا النظامين لم يكن يدرك تكاليف الحرب وما هى نقاط الضعف الإقتصادية والسياسية العسكرية التى يمكن أن تؤثر فى مسار الحرب .

وأمر آخر هو أن الطرفين لم يكن لأى منهما فكرة واضحة عن العمليات التى يقبل عليها . بل حتى قبل سقوط الشاه عندما قامت إيران بتطوير قواتها المسلحة لم يكن لدى إيران فكرة واضحة عن إسلوب إستخدام هذه القوات فى أى حرب . نعم كانت لدى القيادة الإيرانية فكرة واضحة نسبياً وخططاً خاصة بالعمليات البحرية ضد قوة بحرية

سوفيتية الطراز أو غربية الطراز ، ولكن لم يكن لديها خطط واضحة للهجوم على القوات البحرية العراقية . وكانت القوات الإيرانية تتحول إلى قوات تحتوى على قوات مدرعة على درجة عالية من الحركة وبها هليكوبترات مسلحة هجومية ولكنها افتقرت إلى التدريب والخبرة على إستخدام هذه القوات ولم تكن حتى لديها خطط واضحة للتدريب وإجراء المشروعات التدريبية المشتركة التى تكسب القوات خبرة فى إدارة الأعمال القتالية والتعاون بين الأسلحة والأفرع المختلفة .

وكان تنظيم القوات العراقية قد تم حسب العقيدة السوفيتية أو على نفس الخط ولكنها لم تتدرب على نفس الخط السوفيتى . ولم يكن لدى القوات العراقية أفكار واضحة عن العمليات البحرية ، كما أنها تعاقدت على قطع بحرية غربية وكان عليها لو تم إستلامها أن تعمل على إستيعابها وتنسيق أعمالها مع ما لديها من قطع بحرية شرقية وهو ما لم يحدث . وكانت القوات العراقية منظمة أساساً على أسس دفاعية وافتقرت إلى التدريب المشترك الجيد . لقد كان كل تركيز القوات العراقية على قوة النيران وحشدها دون أى إهتمام بالمناورة وإستغلال النجاح ، ولم تكن لديها خبرة قتالية إلا خبرة القتال ضد الأكراد وهى خبرة محدودة وفقيرة . وبالنسبة للقوات الجوية العراقية فكانت رغم وجود أنواع لا بأس من الطائرات قليلو الخبرة منخفضة المستوى التدريبى ولم تكن لدى القيادة العراقية والقوات العراقية بوجه عام أفكار واضحة فى إدارة العمليات الهجومية ، كما لم تكن لديها أفكار عن عمليات الأسلحة المشتركة .

خلاصة القول أن كلا الطرفين لم يكن يتقن إدارة عمليات الأسلحة المشتركة الحديثة التى تعتبر أساس الحرب الحديثة وهو ما ظهرت آثاره بوضوح فى سير الحوادث بالحرب التى كانت أقرب ما تكون إلى إسلوب الحرب العالمية الأولى أو الحرب الثابتة .

القـوات الإيرانيـــة :

يكمن الإختلاف الرئيسى بين القوات الإيرانية والقوات العراقية قبل الحرب فى أن الثورة الإيرانية كلفت القوات المسلحة الإيرانية الكثير ، وأن القدرة على إستخدام التسليح الضخم الذى حصل عليه شاه إيران فى السنتين السابقتين للثورة لم يستخدم ، وأن كل الخبرة التى اكتسبتها هذه القوات لم تتعد إشتراكها مع قوات سلطة عمان فى إخماد الثوار فى ظفار وكانوا فقيرى التسليح ، كما أن الدور الرئيسى فى هذا القتال وقع على عاتق قوات عمان

والقوات البريطانية . وفى أوائل عام ١٩٧٩ وقبل أن يواجه الشاه مقاومة سياسية عنيفة كان لإيران حوالى ٤١٥ ألف جندى تحت السلاحَ رغم أن ثلث هذه القوات فقط هى التى يمكن القول بأنها تلقت تدريباً عسكرياً بالمعنى المفهوم لذلك . وكان بالجيش الإيرانى ٢٨٥٠٠٠ ولكن معظمهم لم يتلق تدريباً كافياً على إستخدام المعدات الحديثة . وكان يوجد فقط فرقة مدرعة واحدة من بين ثلاث فرق مدرعة وفرقتان مشاه من بين ثلاث فرق مشاه هى التى يمكن إعتبارها قادرة على القتال نسبياً تنظيماً وتسليحاً وكان لدى إيران عشرة فرق متماثلة فى التنظيم والحجم ولكن عدداً كبيراً منها كان ذو كفاءة قتالية محدودة جداً .

وكانت القوات المسلحة الإيرانية تمتلك ١٧٣٥ دبابة قتال رئيسية منها ٨٧٥ دبابة شتيفتين ، ٤٠٠ دبابة م ــ ٤٧ / م ــ ٤٨ ، ٤٦٠ دباب م ٦٠أ١ . كما كان الجيش الإيرانى لديه ٢٥٠ دبابة خفيفة سكوربيون ، ٨٢٥ مركبة قتال مشاة مدرعة من بينها ٥٠٠ ب ت ر ــ ٥٠/٦٠ سوفيتية ، ٣٢٥ عربة مدرعة أمريكية م ــ ١١٣ . وكان لدى الجيش حوالى ٧٠٠ قطعة مدفعية ميدان (٧٥ م هادنزر ، ٣٣٠ م ــ ١ عيار ١٣٠ م روسى مجرور ، ١٥٥ مم هاوتوز مجرور ، ٣٨ م ــ ١٠٧ ذاتى الحركة عيار ١٥٥ مم ، ١٤ هاوتز ٢٠٣ مم ذاتى الحركة) ، إلى جانب ٧٢ قاذف صاروخى ب م ــ ٢١ . وكان لديه مخزون كبير من قواذف الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات تاو ، ودرراجون ، ١ س ١ س ــ ١١ وانتاك . أما وسائل الدفاع الجوى بالجيش الإيرانى فكانت ١٨٠٠ مدفع مضاد للطائرات (١٠٠ مدفع ٢٣ م رباعى ذاتى الحركة ، ٢٠ مم ، ٣٧ مم ، ٤٠ م ، ٨٥ مم) . أما النظام الصاروخى المضاد للطائرات الرئيسى فكان الهوك الأمريكى .

وكانت قوة سلاح الطيران الإيرانى حوالى مائة ألف رجل ، ٤٤٧ طائرة قتال (من بينها ١٠ أسراب مقاتلات معاونة للقوات بها ١٩٠ طائرة ف ــ ٤ د / ب ، وثمانية أسراب مقاتلات هجومية بها ١٦٦ طائرة ف ــ ٥ ، وأربع أسراب طائرات اعتراضية بها ٧٧ طائرة ف ١٤ وسرب واحد استطلاع به ١٤ طائرة RF-4E) ومزودة بصواريخ جو جو يوجد سربان إمداد وقود جواً ونقل عام .

جانب أكثر من ٢٠٠ هليكوبتر مسلحة وعدد من الهيليكوبترات نقل وخدمة عامة . وكان يوجد سربان إمداد وقود جواً ونقل عام .

وكانت البحرية الإيرانية ذات قدرات متوسطة فلقد كانت تمتلك غواصة تانج واحدة ،

٣ مدمرات مزودة بصواريخ سطح / سطح ، ٤ فرقاطات سارام مزودة بصواريخ سيلك كيلِ إت وسى كات ، ٤ فرقاطات كورفيت ، ٦ لنشات صواريخ كامان مزودة بالهاربون ، ٧ لنشات مرور ، ٥ سفن ألغام صغيرة ، وعدد من سفن المعاونة . وكان للبحرية قواعد بحرية حديثة فى بندر عباس ، وبو شاهر ، وجزيرة خرج ، وخورمشهر ، وشاه باهار وبندر بهلوى . كما كان بالبحرية ٧٠٠٠ جندرمة وعدد من الطائرات سسنا والهليكوبترات أ ب ٢٠٦ ، ٣٢ سفينة مرور .

طبيعة مسرح العمليات

يمكن تقسيم الإتجاهات الإستراتيجية فى مسرح العمليات بالنسبة لإيران إلى أربع إتجاهات :

- الأتجاه الإستراتيجى الشمالى مع الأتحاد السوفيتى (سابقا) وهو إتجاه دفاعى فى المقام الأول نظراً للتهديد السوفيتى لإيران الذى كان معروفا للجميع فى السبعينات والثمانينات .
- الأتجاه الإستراتيجى الشرقى والجنوبى الشرقى . مع أفغانستان وباكستان ولم يكن يمثل تهديداً لإيران نظراً لعلاقات الصداقة بين إيران وباكستان ولم يكن يمثل تهديداً فى الجزء منه مع أفغانستان نتيجة الغزو السوفيتى لأفغانستان .ويمكن أعتباره إتجاه دفاعى فى المقام الأول .
- الأتجاه الإستراتيجى الغربى مع العراق وهو يمثل التهديد الرئيسى لإيران .
- الأتجاه الإستراتيجى الجنوبى الغربى . فى إتجاه دول الخليج وفى واقع الأمر يمثل إتجاها لأطماع توسيعية وسيطرة بالنسبة لإيران .

ويمكن تقسيم الأتجاه الإستراتيجى الغربى مع العراق من حيث طبيعته الطبوغرافية إلى ثلاث قطاعات رئيسية :

- القطاع الجنوبى الممتد من خورمشهر على رأس الخليج العربى حتى دهلران ، وهو وادى تصب فيه المياه التى تسقط فوق جبال زاجروس الإيرانية حيث تتجمع فيه عدة أنهار أهمها نهر كارون الذى يصب فى شط العرب ونهر الكوفة . وتعتبر مدينة الأهواز مركز هذا القطاع بصفتها عاصمة أقليم خورستان . وتتفرع من مدينة الأهواز عدة طرق إلى مدن كثيرة مثل عيدان وخورمشهر وديزفول وغيرها .

وتتميز طبيعة التربة فى أنها أرض رملية هشة تنقلب إلى طينية عند هطول الأمراض ، وتوجد بها عدة مستنقعات ومصارف ولذلك تتحدد التحركات بالطرق إذ يستحيل

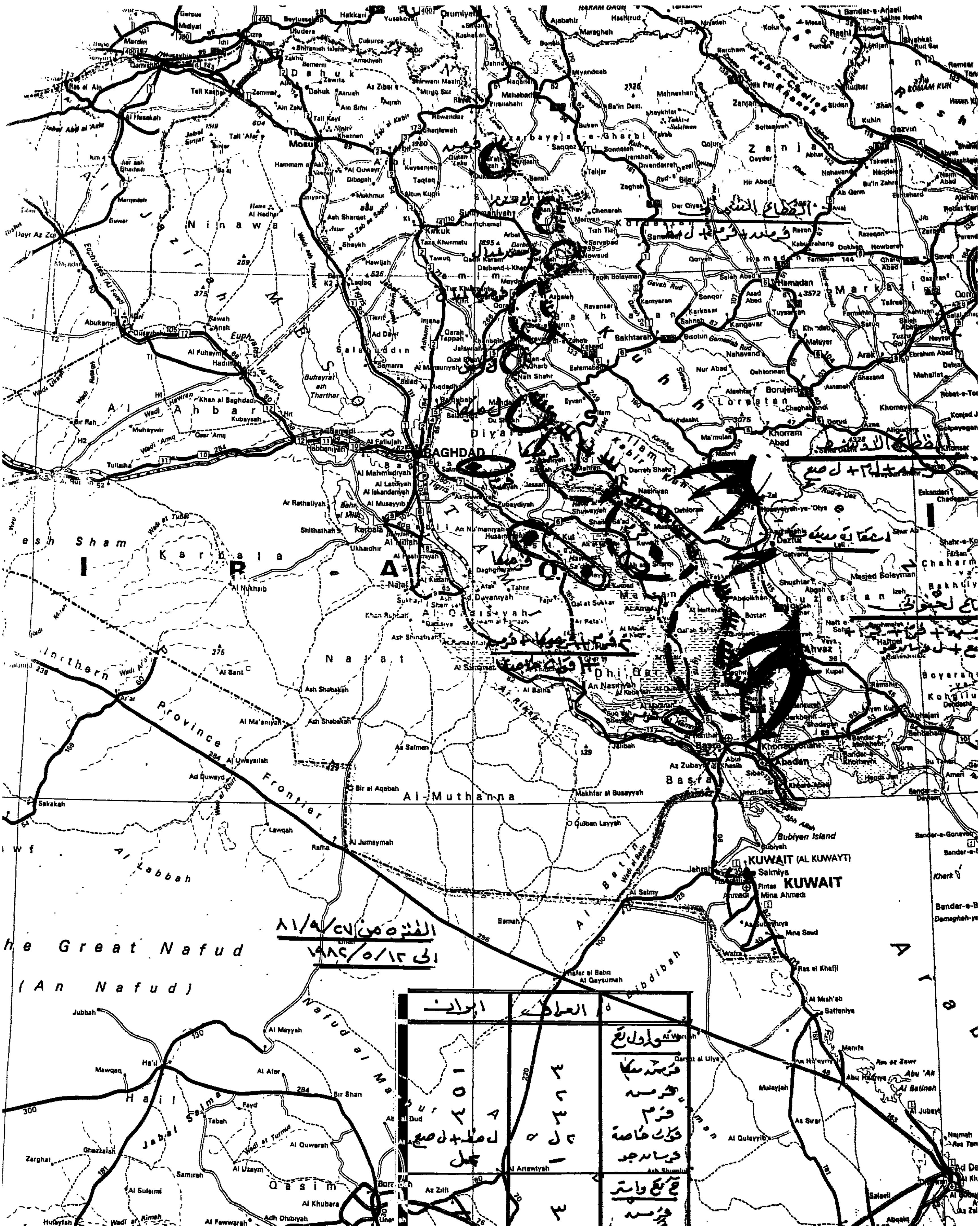
التحرك خارجها فى كثير من المناطق . ويوجد عدد من الكبارى التى تعتبر حيوية للتحركات . وأهم هذه الطرق طريق الأهواز الذى يؤدى إلى خورمشهر ثم البصرة (بالعراق) وطريق من ديزفول إلى العمارة . وفى داخل العراق يوجد طريق البصرة بغداد مارا بالعمارة ومن أهم مميزات هذا القطاع أفتقاره إلى الهيئات الحيوية الحاكمة مع وجود موانع كثيرة (الترع والمصارف والمستنقعات) التى تعوق تحرك القوات الميكانيكية وتساعد على تنظيم الدفاعات فيه علاوة على وجود غابات من النخيل فى شط العرب وأنتشار التجمعات السكانية الأمر الذى يزيد من صعوبة تطوير الأعمال القتالية .

القطـاع الأوسـط :

تجرى فى هذا القطاع الحدود الدولية بين إيران والعراق على الحد الفاصل بين الأراضى الجبلية داخل إيران والأراضى المفتوحة المنبسطة داخل العراق . والتربة فى هذه المنطقة متماسكة ولذلك فهى صالحة لأدارة الأعمال القتالية بمختلف أنواع القوات . وتتميز بالميول الطبوغرافية الحادة داخل الأراضى الإيرانية وقلة الطرق الصالحة . وتقع فى هذه المنطقة عدة مدن إيرانية هامة هى مهران وقصر شيرين وكرمنشاه ومدن عراقية هى الكوفة وبغداد . وأهم الطرق فى هذه المنطقة هى طريق ايلام ــ ومهران ، وإيلام ــ يعقوبة ، وشاه أباد ــ كرمنشاه ، قصر سيرين ثم إلى بغداد . وطريق العقبة ــ الكوفة ، بغداد ، وإمتداد طريق الأهواز ــ ديزفول ــ كرمنشاه . ويوجد فى الجزء الشرق من هذا القطاع سلسلة من الهيئات الحيوية الحاكمة والتى تشرف وتسيطر على الأراضى العراقية مثل جبل كلك وجبل كحكو ... وتعتبر هذه الهيئات مانعا حيويا ضد تقدم أى قوات من الغرب ، إلا أن الجزء العراقى من القطاع صالحة لتحرك جميع أنواع الحملات .

القطـاع الشمالـى :

يعتبر أمتداد للأرض الجبلية الإيرانية وتقطنه الأقلية الكردية . ويعتبر غير صالح لإدارة أعمال قتال رئيسية نظراً لطبيعته الجبلية . وأهم المدن الإيرانية بها مهاباد والعراقية السليمانية . ويوجد به طريقان : طريق مهاباد ــ أربيل ، وطريق بغداد ــ السليمانية ــ كركوك .



الفترة من ٢٧/٩/٨١
الى ١٣/٥/١٩٨٢
العراق
ايران
BAGHDAD
KUWAIT
KUWAIT (AL KUWAYT)
I R A Q
The Great Nafud
(An Nafud)
Northern Province Frontier
Al Muthanna
Basra
Dhi Qar
Al Qadisiyah
Karbala
Ninawa
Al Jazirah
Al Anbar
Diyala
Salahuddin
Tamim
Maysan
Wasit
Babil
Najaf
Al Batin
Qasim
Hail
Jabal Salma
Dahuk
Arbil
Mosul
Kirkuk
Sulaymaniyah
Khuzestan
Lorestan
Bakhtaran
Hamadan
Markazi
Kurdestan
Zanjan
Abadan
Khorramshahr
Ahvaz
Dezful
Bubiyan Island

الهدف السياسى العسكرى العراق من الحرب

عندما شن صدام حربه على إيران كان يهدف إلى إستعادة شط العرب الذى أعتبره جزء من الأراضى العراقية مع تأمين الحدود السياسية مع كل من سوريا وتركيا . وكان الهدف من العملية الهجومية الإستراتيجية العراقية هو هزيمة التجميع الرئيسى للقوات الإيرانية الموجودة على الحدود المشتركة وإسعادة شط العرب والإستيلاء على وتأمين مصادر الثروة فى أقليم عربستان ، وفرض الأرادة على النظام الخومينى فى إيران أو اسقاطه وتحقيق الأمن القومى العراق .

ولتنفيذ ذلك تقوم القوات المسلحة العراقية بتوجيه ضربة أستراتيجية رئيسية ضد القوات الإيرانية فى الإتجاه الإستراتيجى الشرقى وهزيمتها والإستيلاء على الخط عيدان ـــ الأهواز ـــ شرق نهر قارون كمهمة مباشرة وذلك بنهاية يوم ى ٥/ى ٦ عمليات ، ثم تطور الهجوم وتستكمل هزيمة وتدمير القوات الإيرانية والإستيلاء على أقليم عربستان كمهمة نهائية وذلك بنهاية اليوم العاشر عمليات ، مركزة المجهود الرئيسى فى الأتجاه التعبوى الجنوبى مع أتخاذ الدفاع على الحدود مع كل من سوريا وتركيا ، مع ضمان استمرار السيطرة على الموقف فى شمال العراق .

ولتنفيذ هذه المهمة قسمت الجبهة إلى ثلاث مناطق عسكرية وهى :

- المنطقة العسكرية الشمالية وقيادتها فى كركوك وتجميعها أربع فرق (فرقة مدرعة وفرقة مشاة ميكانيكية وفرقتان مشاه وفرقة مشاه جبلى) .
- المنطقة العسكرية الوسطى مركز قيادتها فى بغداد وتجميعها ثلاث فرق (فرقة مشاة وأثنين فرقة مدرعة) ولواء حرس جمهورى .
- المنطقة الجنوبية وقيادتها فى الناصرية وتجميعها ثلاث فرق (فرقتان مشاه ميكانيكية وفرقة مدرعة واحدة) .

وتلخصت فكرة العملية الهجومية الإستراتيجية العراقية فى توجيه ضربة رئيسية فى إتجاه المحور الجنوبى وضربة أخرى فى أتجاه الأهواز مع تثبيت باقى القوات الإيرانية فى ديزفول .

الحجم العام للقوات المسلحة للطرفين عام ١٩٧٩

بيــــان	العـدد		المقارنـة	
	العـراق	إيـران	العـراق	إيـران
قوات برية :				
فرقة مشاة أو ميكانيكية	٧	٥		
فرقة مدرعة	٤	٤		
فرقة فرسان جو		١		
لواءات قوات خاصة	٣	١		
لواءات مظللين	—	٢		
دبابات	١٧٤٠	١٦٧٥		
عربة مدرعة	٣٢٦٠	١٠٨٠		
قطعة مدفعية	١١٧٦	١٣٤٨		
قوات جوية :				
طائرة مقاتلة	٣٦٧	٣٣٢		
طائرة هليكوبتر	١٨٩	٦١٠		
طائرة نقل		٩٤		
قوات دفاع جوى :				
بطارية صواريخ أرض جو	٥٠	١٣		
قوات بحرية :				
قطع بحرية مختلفة	٦٦	٤٨		

وبنجاح الضربة يتم تطوير وأستغلال النجاح فى إتجاه الشرق والشمال الشرق على محور الأهواز ـــ ديزفول لاستكمال الإستيلاء على أبار البترول وأقليم عربستان بمواجهة ٢٨٠ كم وعمق حتى ٩٠ كم .

وكان تشكيل القتال فى نسق واحد واحتياطى :

ـــ فى النسق الأول الإستراتيجى

- ٢ فرقة مشاه ، وفرقة مدرعة ولواء قوات خاصة على المحور الجنوبى .
- فرقة مدرعة على المحور الأوسط .
- فرقة مشاه وفرقة مدرعة ولواء مشاه ميكانيكى على المحور الشمالى .

ـــ فى الأحتياطى

فرقة مدرعة وفرقة مشاه ميكانيكى ولواء قوات خاصة .

ـــ مع تأمين الحدود مع سوريا بواسطة قوات الأمن الداخلى .

ومن فكرة العملية يتضح مدى قلق النظام العراق من الجهة السورية ويوضح وجود عداء حقيقى بين سوريا والعراق رغم عدم وجود توتر على الحدود ورغم كونهما دولتان عربيتان عضوتان فى جامعة الدول العربية .

وعلى الجانب الآخر كانت إيران بعد الثورة التى اكتسبت رصيدا كبيرا داخل إيران وفى الدول المجاورة ، وسيطر رجال الدين الشيعة على مجريات الأمور والقرار السياسى والإستراتيجى ونادوا بفكرة الإسلامية بديلا للقومية العربية . وكما سبق وذكرت قام النظام الإيرانى الجديد بانشاء تنظيم عسكرى جديد سمى الحرس الثورى مع تخفيض فى القوات المسلحة الإيرانية إلى أقل من النصف وتخلص من عدد ضخم من ضباط القوات المسلحة خوفا من أستمرار ولائهم للشاه المعزول . كما ألغت عقوداً كثيرة لاستيّراد أسلحة أمريكية الأمر الذى أضعف القوة العسكرية الإيرانية . وجاء فى كثير من الأحاديث وخطب الأمام الخومينى أن الهدف هو الأتحاد مع الدول الإسلامية . وعليه فان الهدف السياسى الإيرانى هو أعتبار الإسلام إطار للتجمع الصحيح لمحاربة الأستعمار والشيوعية والصهيونية وأن تكون إيران القوة المهيمنة فى الخليج وإبعاد القوتين الأعظم عن المنطقة . أما الهدف السياسى العسكرى فكان تأمين القوة الإيرانية فى الداخل وحماية نظام الحكم الخومينى ونشر الفكر

الإسلامية الجامعة فى دول المنطقة وتأمين الحدود السياسية ومصادر الثروة .

ولما كانت الأوضاع السياسية والعسكرية الإيرانية ليست على ما يرام فلقد كانت الإستراتيجية الإيرانية دفاعية . وكان هدف العملية الدفاعية الإستراتيجية الإيرانية ضد التهديد الرئيسى لها وهو العراق هو أستنزاف وهزيمة القوات العراقية التى نجحت فى أختراق حدودها وإيقاف تقدمها ومنع أنتشارها وتهيئة الظروف المناسبة للقيام بضربة إستراتيجية مضادة لأستعادة الأوضاع وتأمين مصادر الثروة الأقتصادية وتهديد الأهداف الإستراتيجية العراقية .

وخصصت المهمة للقوات المسلحة الإيرانية التى يمكن تلخيصها فيما يلى :

صد النسق الأول الإستراتيجى العراق والتمسك بالأوضاع الدفاعية ثم القيام بهجوم أستراتيجى مضاد لتدمير القوات العراقية التى نجحت فى الاختراق ومنع الأحتياطى الأستراتيجى العراق من التدخل وإستعادة الأوضاع على الحدود الدولية وتأمينها .

وللقيام بهذه المهمة قسمت القوات الإيرانية إلى قسمين رئيسين :

ـ الأول لتأمين الحدود :

- فرقة مشاة + فرقة مدرعة — لتأمين الحدود مع الأتحاد السوفيتى
- فرقة فرسان جو + لواء — لتأمين الحدود مع افغانستان
- فرقة مدرعة — لتأمين الحدود مع باكستان

ـ الثانى فى مواجهة العراق كمجهود رئيسى

- فرقتان مشاه ميكانيكيتان — فى القطاع الشمالى (قطاع كردستان)
- فرقة مشاة + لواء فرسان جو — فى القطاع الأوسط (قطاع كرمان خان) .
- فرقة مدرعة + لواء فرسان جو

الحرب فيما بين عام ١٩٨٠ وعام ١٩٨٢

من دراسة لسير الأحداث فى هذه الفترة يمكن تقسيمها إلى خمس مراحل مميزة :

— المرحلة الأولى وهى مرحلة العمليات التعرضية الرئيسية للعراق من منتصف شهر أغسطس ١٩٨٠ إلى منتصف نوفمبر ١٩٨٠

— المرحلة الثانية حرب الإستنزاف من منتصف نوفمبر ١٩٨٠ وحتى آخر أغسطس ١٩٨٠

— المرحلة الثالثة أنتقال المبادأة إلى إيران وقيامها بالهجمات والضربات المضادة من آخر أغسطس ١٩٨١ وحتى منتصف مارس ١٩٨٢

— المرحلة الرابعة من منتصف مارس ٨٢ وحتى منتصف يوليو ٨٢ التى أستعادت فيها إيران ما خسرته من أراضى

— المرحلة الخامسة مرحلة تحول إيران للهجوم الشامل على العراق أعتبارا من منتصف يوليو ٨٢ .

١ — العمليات أعتبارا من ١٦ / ٩ /٨٠ حتى ١٦ / ١١/ ٨٠

فى السادس عشر من أغسطس ١٩٨٠ دفعت العراق فرقة مشاة مدرعة فى إتجاه الحدود المتنازع عليها نجحت فى الإستيلاء على الخط زين القوى — السكرة — بئر على فى منطقة شيرين بالقطاع الشمالى . كما قامت القوات الجوية العراقية فى اليوم التالى بتوجيه ضربة جوية ضد المنشأت الأقتصادية والأهداف العسكرية فى مدن قصر شيرين وكارمنشاه ومهران وديزفول والأهواز وطهران وتبريز وأصفهان وشيراز . وتحت ستر هذه الضربة أخترقت قوات برية عراقية بحجم ٤ فرق (فرقة مشاة ، وفرقة ميكانيكية وفرقتان مدرعتان) الحدود موجهة ضربة رئيسية فى القطاع الجنوبى بقوة فرقة مشاه وفرقة مدرعة ولواء قوات خاصة ، وضربتين ثانويتين فى إتجاه القطاع الأوسط بقوة مشاة ميكانيكية .

وفى القطاع الشمالى تم تطوير الهجوم بدفع فرقة مدرعة .

ونجحت القوات العراقية فى الإستيلاء على مدينتى سومار وقصر شيرين فى الشمال وعلى مدينة مهران وجيلان فى القطاع الأوسط ، أما فى القطاع الجنوبى فنجحت فى الإستيلاء

على مدينة خورمشهر بعد حصار لمدة يومين كما احتلت مدينة سومانجرد ولكنها فشلت فى الإستيلاء على ميناء عبدان لسرعة تدعيم القيادة الإيرانية للميناء بالقوات .

وبذلك تكون القوات العراقية قد سيطرت على شريط يمتد من خورمشهر جنوبا حتى قصر شيرين شمالا بمواجهة ٨٠٠ كيلو متر وعمق يتراوح بين عشرين وستين كيلو متر ، وفشلت فى إحتلال عيدان الأمر الذى كان له آثار خطيرة فى سير إحداث الحرب بعد ذلك .

ويمكن توجيه النقد للخطة العراقية فى هذه المرحلة بالأتى :

- سوء التخطيط إذ لم يراعى فى الخطة الأستفادة من طبيعة الأرض فى أختيار إتجاه المجهود الرئيسى إذ دفعت قوات مدرعة فى القطاع الشمالى الجبلى رغم أن المجهود الرئيسى كان فى القطاع الجنوبى الأمر الذى أدى إلى فشل القوات العراقية فى الإستيلاء على أهم الأهداف وهى مدينة عيدان .
- تضمنت الخطة الإستيلاء على المدن فى هذه المرحلة رغم ما تشكله كثافة السكان من عبء إلى جانب تكبد القوات العراقية خسائر جسيمة نتيجة ذلك .
- لم يتم تجهيز مسرح العمليات باسلوب سليم وخاصة فى القطاع الجنوبى قبل بداية الهجوم الأمر الذى أضطرت معه لاستخدام المدرعات فى الأراضى الجبلية التى لا تناسب طبيعة قتال المدرعات .
- الهجوم على جبهة واسعة (٨٠٠ كم) الأمر الذى لم يحقق مبدأ الحشد وكان الأجدر أن يتم أختيار قطاعات أختراق مناسبة تدفع منها القوات وتستغل تفوقها فى المدرعات فى أعمال التطويق بدلا من الأختراق بالمواجهة .
- وقفت القوات العراقية بعد تنفيذ المهمة على خطوط لا تستند على هيئات طبيعية حاكمة توفر لها دفاعا قويا لصد أى هجمات أو ضربات مضادة إيرانية .
- رغم أن التفوق الجوى كما ونوعا كان من نصيب القوات العراقية إلا أن التخطيط للعمليات كان سيئا وغير موفق ، فلقد كلفت فى بداية العمليات بتوجيه ضربة جوية شاملة لجميع المطارات التى كان معظمها خارج المدى بالنسبة للطائرات كما أن القصف الجوى لم يكن ناجحا بسبب ضعف مستوى الطيارين أو لخوفهم من الدفاع الجوى فكانوا يهاجمون الأهداف من أرتفاعات عالية خفضت من نسبة الإصابة فلم تكن

الضربة الجوية مؤثرة أو كان تأثيرها محدود للغاية .

ورغم أن الهدف من العملية الإستراتيجية كان محدودا فإن القوات الجوية لم تستخدم لخدمة هدف العملية وكان الأجدى أن تركز الضربة الجوية لمعاونة القوات في تنفيذ المهمة ولضرب الأحتياطيات ومنع وصول أى إمدادات إلى عبدان وعزل مسرح العملية وهو ما يتمشى مع الإمكانيات القتالية والفنية للطائرات .

— ثبت الضعف الواضح لوسائل الدفاع الجوى العراقى سواء عن الدولة أو عن القوات ، فعلى الرغم من قلة عدد الطائرات التى تمتلكها إيران ورغم التفوق الجوى العراقى عدديا تمكنت القوات الجوية الإيرانية من قصف أهداف فى عمق الأراضى العراقية دون أن تتعرض لها القوات الجوية العراقية أو تسقطها وسائل الدفاع الجوى العراقى .

— لم تستخدم القوات العراقية أى إمكانيات ابرار جوى فى العملية بأى صورة من الصور رغم توفر الأمكانيات وكان فى مقدورها ابرار قوات لعزل عبدان أو أى أهداف أخرى خاصة وأن عمق العملية كان محدودا وكان فى مقدور القوات البرية أن تخترق وتتصل بأى قوة ابرار تبر فى أى مكان بهذف عزل هدف ما أو تنفيذ مهمة منع وصول أمدادات أو دفع إحتياطيات .

— لم تشترك القوات البحرية العراقية فى العملية رغم أن عبدان ميناء كان هدفا رئيسيا للعملية ، بل قبعت القطع البحرية العراقية فى ميناء البصرة ولم يتم خروج أىَ قطعة بحرية إلى عرض البحر أو معاونة القوات البرية فى تأمين جانبها وفى تنفيذ مهمتها فى الإستيلاء على مدينة عبدان .

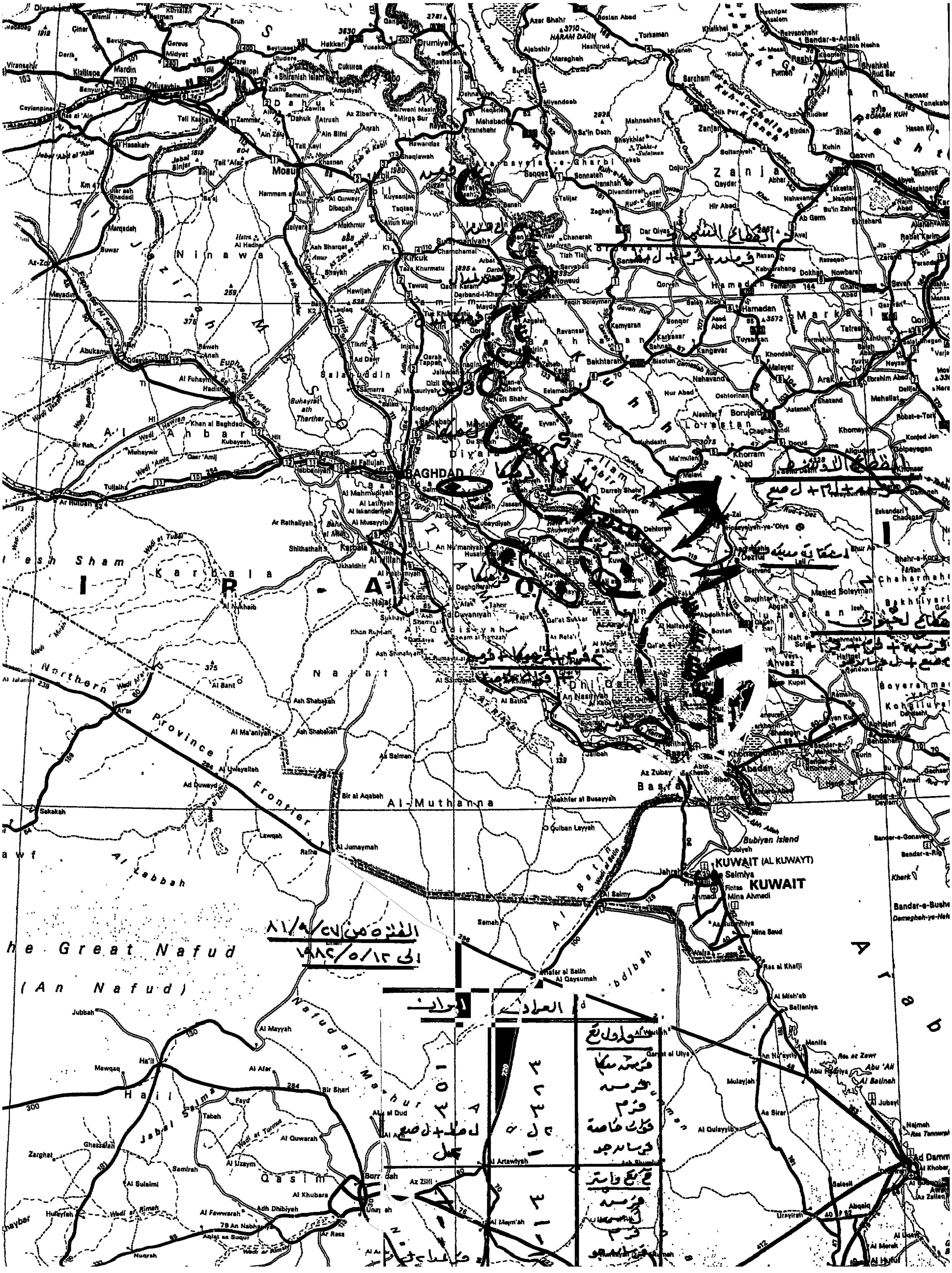
— وخلاصة القول أن العملية الإستراتيجية لم تكن عملية أسلحة مشتركة الأمر الذى قلل من فاعليتها ومن نجاحها . فالمدرعات تعتمد على خفة الحركة والمرونة وقوة الصدمة وقوة النيران ولكن القوات العراقية أستخدمتها أسوأ أستخدام فدفعتها فى أراضى جبلية ولم تستخدمها فى الأختراق والتطويق وهو ما خلقت له .

أما بالنسبة لإيران فقد أتضح ما يلى :

— ضعف القوات الإيرانية وخاصة أعمال قتال القوات البرية وبطء رد الفعل وذلك لعدم توفر خفة الحركة والمرونة لهذه القوات .

- عدم حشد قوات كافية فى توقيت حاسم لصد الهجوم العراقى أو لشن هجمات أو ضربات مضادة ضد القوات العراقية . كما ظهر سوء تنظيم قوات المقاومة الشعبية وإنعدام السيطرة عليها فكانت مقاومتها للقوات العراقية التى هاجمت المدن مقاومة ضعيفة أدت إلى سقوط عدد من المدن بسهولة وبسرعة رغم ما هو معروف عن عنف وصعوبة القتال فى المدن . وقد يكون ذلك نتيجة المفاجأة وضعف وسائل الإنذار لدى القوات الإيرانية . ولكن على الجانب الآخر تمكنت قوات الحرس الثورى من أزعاج وإيقاف الهجمات العراقية فى مناطق عديدة . ولم يكن ذلك بسبب حسن التسليح والتنظيم وإنما لما أيدوه من فدائية فى القتال .
- نتيجة نقاط الضعف السابق ذكرها فى أعمال القوات العراقية تمكنت القوات الإيرانية من إعادة التنظيم والحشد وإستعادة الأتزان نسبيا وتمكنت بذلك من إيقاف تقدم القوات العراقية .
- تميزت الهليكوبترات المسلحة الإيرانية طرز كوبرا من القتال بكفاءة عالية فى بداية العمليات ولكنها لم تتمكن من الأستمرار لأسباب تتعلق بالأصلاح والصيانة والكفاءة الفنية .
- رغم أن شاه إيران ترك للبحرية الإيرانية قوة لا يستهان بها كان يهدف منها إلى فرض سيطرته على الخليج وأن تكون البحرية الإيرانية لها تواجد قوى فى المحيط الهندى وبحر العرب إلا أن إيران الثورة لم تستخدم بحريتها فى حربها مع العراق فلم تعمل مثلا على قفل خليج هرمز لمنع وصول أى أسلحة للعراق أو محاولة لفرض الإرادة فى البحر مما يؤثر على المجهود الحربى العراق رغم توفر الأمكانات لذلك . ورغم أن ذلك قد يكون بسبب التخوف من الوجود البحرى الأمريكى أساسا والغربى بوجه عام فى المنطقة الأمر الذى قد يؤدى إلى تدخلها إذا ما عرقلت البحرية الإيرانية الملاحة فى الخليج إلا أنها أيضا لم تستخدمها فى أى أعمال قتالية ضد العراق .

وخلاصة القول أن المرحلة الأولى من الحرب العراقية الإيرانية لم تكن صورة من صور الحرب الحديثة من الطرفين ، تلك الحرب التى تعتمد على معركة الأسلحة المشتركة والتى تستخدم فيها أفرع وأسلحة القوات المسلحة فى تناسق دقيق بل كانت عمليات تقوم بها تشكيلات برية لعمق محدود دون ما أستخدام سليم لأى سلاح من الأسلحة ، فلم نر أى صورة من صور التطويق والألتفات والمناورة بالقوات .... الخ



BAGHDAD
Mosul
Kirkuk
Karbala
An Najaf
Basra
Abadan
KUWAIT (AL KUWAYT)
KUWAIT
Bubiyan Island
Hamadan
Zanjan
Sulaymaniyah
Northern Province Frontier
Al-Muthanna
The Great Nafud
(An Nafud)
Nafud al Mazhur
Ha'il
Qasim
Al Anbar
Ninawa
Salahuddin
Diyala
Al Qadisiyah
Dhi Qar
Karbala
Markazi
Lorestan
Bakhtiyari
Chaharmahal
I R A Q

وإنما هجمات بالمواجهة حتى أنه كما سيرد فى وصف المراحل التالية.ضورها الخبراء العسكريون بصور الحرب العالمية الأولى وقال عنها البعض أنها حرب حدودية محدودة .

٢ ـــ العمليات من منتصف نوفمبر إلى آخر أغسطس ٩١ .

بدأت هذه المرحلة اعتبارا من منتصف نوفمبر ١٩٨٠ وأستمرت حتى آخر أغسطس ١٩٨١ . وتميزت هذه المرحلة بأنها كانت حرب أستنزاف لأن ما دار بها لم يكن سوى تبادل قصف جوى ومدفعى بين الطرفين ونجحت القوات العراقية خلالها فى التمسك بالشريط من الأرض الذى أستولت عليه فى المرحلة الأولى إذ فشلت الهجمات والضربات المضادة التى شنتها القوات الإيرانية على القوات العراقية . وحدثت بعض العمليات الصغيرة فى هذه الفترة منها قيام القوات العراقية باسقاط قوات مظليين على المشارف الشرقية لجبال زاجروس بالقطاع الشمالى فى أول ديسمبر ١٩٨٠ ، كما أستكملت القوات العراقية أحتلال منطقة الشوش فى ديسمبر ٨٠ . وفى مارس ١٩٨١ كان أول أستخدام للصواريخ أرض أرض العراقية من طراز سكود وذلك بإطلاقها على مدينتى ديزفول والأهواز . وكان القصف بأعداد محدودة من الصواريخ الأمر الذى يؤكد إنخفاض تأثيرها خاصة وأن درجة دقة هذه الصواريخ منخفضة (الخطأ المحتمل ٣ كم) . وفى مايو ١٩٨٠ قامت قوة عراقية من القوات الخاصة باغارة على مدينة دهران بالقطاع الأوسط . وفى ٢٦ نوفمبر ١٩٨٠ دفعت إيران الفرقة ٣٧ مشاة فى محاولة لفك الحصار عن مدينة عبدان ومحاولة أسترداد مدينة خورمشهر .

كما قامت قوة ابرار إيرانية باحتلال ميناء البكر العراقى ولكنها لم تنجح فى التمسك به إذا تمكنت القوات العراقية من طرد القوة الإيرانية بعد ٢٤ ساعة فقط من الأبرار .

وفى القطاع الجنوبى شنت إيران هجوما مضادا فى إتجاه سوسنجود والأهواز فى منتصف يناير ٨١ ولكنه فشل ولم يحقق أى نجاح .

وفى هذه المرحلة كانت مقارنة القوات بين الطرفين كالأتى :

م	بيـــان	العراق	إيران	النسبـة
١	فرقة مشاة	٣	٥ عدا لواء	١ : ٠,٦
٢	فرقة مشاة ميكانيكية	٢	—	—
٣	فرقة مدرعة	٢	٢	١ : ١
٤	لواء مشاه مستقل	١	—	—
٥	لواء قوات خاصة	٣	٢	ق ١ : ١
٦	فرسان جو	—	٢	—
٧	الإحتياطى (تعبوى واستراتيجى)			
	أ — فرقة مشاة	٣	—	—
	ب — فرقة مشاةميكانيكى	١	—	—
	ج — لواء مشاة مستقل	—	١	—
	ء — فرقة مدرعة	٢	٢	١ : ١
	هـ — لواء قوات خاصة	—	١	—
	و — لواء ابرار جوى	—	٢	—

ويتضح من جدول المقارنة أن العراق كان لديه التفوق فى القوات البرية وكان لديه أحتياطى تعبوى وأستراتيجى قوى ومع ذلك لم يستغل أى منه فى المرحلة الثانية فى استغلال النجاح . وكان فى إمكان القيادة العراقية أن تقوم بحشد قوة كبيرة يمكنها التطوير فى إتجاه أو أكثر والإستيلاء على هيئات حاكمة ، ولو حدث ذلك لكان قد أثر بصورة كبيرة على مسارات الحرب .

أستمرت القوات العراقية فى التمسك بالشريط من الأرض الذى أستولت عليه ولم تحاول تعديل أوضاعها أو الإستيلاء على هيئات حاكمة تساعدها فى صد أى هجمات أو ضربات مضادة إيرانية ، كما لوحظ أستمرار المدرعات فى الخطوط الأمامية ومعظم قوات الجيش النظامية ولم تحاول القيادة العراقية إعادة تجميع هذه القوات لبناء قدرات هجومية مضادة إذا ما قامت القوات الإيرانية بالهجوم .

ومن المظاهر الملفتة للنظر أستمرار توزيع مجهود المدفعية العراقية على طول هذه المواجهة

الواسعة وكان من المفضل حشدها فى القطاعات الهامة التى تؤثر على ثبات الدفاع وتساعد على صد أى هجوم إيرانى متوقع . ومعنى هذا أن القوات العراقية أرادت أن تكون قوية فى كل مكان فأصبحت ضعيفة فى كل مكان .

وأستمر حصار مدينة عيدان ولم تبذل أى محاولة لاقتحامها أو الإستيلاء عليها رغم توفر ثغرات فى الدفاعات الإيرانية عن المدينة . وبذلك بقيت عبدان صامدة تمثل خطراً على القوات العراقية بصورة أو بأخرى .

وعليه إذا كانت القوات العراقية قد تحولت إلى الدفاع فأنها لم تحاول إعادة تجميع قواتها بالصورة التى تحقق لها ثبات الدفاع وإمكانية التحول للهجوم فى الوقت المناسب ، أو حتى توجيه هجمات وضربات مضادة ضد أى إختراق تنجح القوات الإيرانية فى تحقيقه .

وركزت القيادة العراقية مجهود قواتها الجوية فى مهمة الدفاع الجوى ولم تكلفها فى هذه الفترة رغم التفوق الجوى العراقى فى تنفيذ مهام إيجابية وضربات جوية ضد القوات الإيرانية أو حتى فى توجيه ضربات جوية مركزة ضد المدن الإيرانية التى لم تتمكن من دخولها تمهيداً للإستيلاء عليها .

وعلى الجانب الآخر أستغلت إيران هذه المرحلة فى إعادة تنظيم قواتها المسلحة وإعداد الدولة للحرب التى فوجئت بها وركزت على :

- إعادة تنظيم القوات ورفع كفاءتها القتالية والمعنوية ودعم قواتها بعناصر من الحرس الثورى .
- إعادة توزيع وتمركز قواتها على الجبهة والمناورة بالقوات من جبهات أخرى كما أفرجت عن عدد كبير من القادة العسكريين لما لهم من خبرة جيدة فى العمليات العسكرية .
- وعلى المستوى الداخلى أستغلت القيادة الإيرانية تجمد الموقف على الجبهة فى إعادة الأستقرار الداخلى بعد أن أستقرت الأمور لرجال الدين وأنفردوا بالسلطة وبذلك أصبحت القرارات فى يد سلطة واحدة هى الأمام الخومينى .
- وأسرعت إيران فى شراء وإستيراد معدات عسكرية وذخائر وقطع غيار لرفع كفاءة قواتها المسلحة .
- أتسمت هذه الفترة بقيام القوات المسلحة الإيرانية ببعض الأعمال التعرضية المحدودة مع أستمرار القصف النيرانى على طول خط الجبهة ، والتخطيط والأعداد لشن هجوم عام



I R A Q
KUWAIT (AL KUWAYT)
KUWAIT
Mosul
Kirkuk
Ninawa
Al Anbar
Salahuddin
Karbala
Al Muthanna
Kordestan
Northern Frontier Province
The Great Nafud
(An Nafud)
Ad Dibdibah
Qasim
Bubiyan Island
Ad Dammam

لاستعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل الحرب .

٣ ـ العمليات من آخر أغسطس ٨١ إلى منتصف مارس ١٩٨٢

يمكن القول دون ما خطأ أن هذه المرحلة بدأت من آخر أغسطس ١٩٨١ وأستمرت حتى منتصف مارس ١٩٨٢ . وتميزت هذه الفترة بأنتقال المبادأة إلى الجانب الإيرانى فشن عددا من الهجمات المضادة فى محاولة لأسترداد الأرض التى أستولت عليها العراق . ففى القطاع الشمالى شنت إيران هجوما محدودا يوم ٢ ينار ١٩٨١ نجح فى أختراق الحدود العراقية فى منطقة نوسود ووصلت إلى عمق محدود لم يتعدى ٥ ـ ٦ كيلو مترات . ولأستغلال النجاح دفعت أحتياطياتها بالقطاع لتطوير الهجوم ونجحت فى ٤ يناير من أستعادة الأرض التى أستولت عليها القوات العراقية فى هذا القطاع .

وفى القطاع الأوسط قامت مجموعة عمليات إيرانية بقوة لواء مدرع ولواء مشاه وحوالى عشرة آلاف جندى من الحرس الثورى بشن هجوم مضاد فى منطقة سوما يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٨١ ونجحت فى استرداد مدينة بستان وعدد من القرى المجاورة ولكن القوات العراقية نجحت فى تطويق القوة الإيرانية وشنت عدة هجمات مضادة بهدف إسترداد مدينة بستان ولكنها فشلت فى تحقيق المهمة . وأستمرت القوات العراقية فى حصار المجموعة الإيرانية حتى نهاية هذه المرحلة دون أن تحاول القوات العراقية فى شن هجمات مضادة بالإحتياطيات لتدمير القوات المحاصرة بلا سبب معقول .

وفى القطاع الجنوبى الهام شنت القوات الإيرانية ضربة مضادة يوم ٢٧ أغسطس بقوة فرقة مشاة مدعمة بلواء مدرع وعشرة آلاف جندى من الحرس الثورى تمكنت به من فك حصار مدينة عيدان وأجبرت القوات العراقية على الأنسحاب إلى ما خلف نهر قارون فى إتجاه خورمشهر .

وعليه ففى هذه المرحلة أنتقلت المبادأة إلى الجانب الإيرانى وقام فعلا بتوجيه عدة هجمات مضادة تمكن بها من استرداد جزء كبير من الأراضى التى أستولت عليها القوات العراقية فى المرحلة الأولى من الحرب . وظهر تطور فى الأداء القتالى للقوات الإيرانية بصورة لا بأس بها . فقامت التشكيلات الإيرانية بتعديل أوضاعها بما يتمشى مع طبيعة الأرض وطبيعة المهام المكلفة بها الأمر الذى حقق لها مرونة جيدة فى تنفيذ أعمالها القتالية . وتميزت هذه الفترة باشتراك حجم كبير من قوات الحرس الثورى الذى أنشأته الثورة الخومينية (٦٠

ألف جندى) مع القوات النظامية . وكان تسليح هذه القوات لا يتعدى الأسلحة الصغيرة ومع ذلك تميز أداؤها عن قوات الجيش بالروح المعنوية العالية والتضحية لأنها تقاتل على أساس عقائدى . وفى هذه المعارك المحدودة طبقت القوات الإيرانية مبادىء الحرب ونفذت كثيراً من الأعمال والهجمات الليلية الأمر الذى ساعد على نجاحها . وللمرة الأولى ظهر أستخدام المدفعية الإيرانية بصورة مؤثرة وبحشد فلقد دعمت كل ضربة مضادة بعدد كبير من كتائب المدفعية الذى وصل إلى ٣٠ و ٤٠ كتيبة مدفعية مع كفاءة فى إدارة النيران الأمر الذى حقق لقوات الضربة اسكات جيد للمواقع العراقية . ومع ذلك لم يلاحظ إستخدام للمدرعات بالقدر الكافى وإنما أعتمدت الهجمات على الفرد وكفاءته فى القتال الليلى .

أما القوات الجوية الإيرانية فكان أداؤها سيئا بسبب النقص فى قطع الغيار وإنخفاض الكفاءة الفنية . فوصلت الطلعات اليومية إلى ٣٠ ـــ ٤٠ طلعة طائرة / يوم وهو رقم منخفض غير مؤثر ، كما نلاحظ سوء تنظيم التعاون بين القوات الجوية والقوات البرية الأمر الذى جعلها غير مؤثرة على أعمال القتال الرئيسية .

وظهر فى هذه المرحلة كذلك بداية أهتمام الجانب الإيرانى بقوات الدفاع الجوى ، وقد يكون بسبب التفوق الجوى العراق . فقامت إيران بشراء كتيبتين صواريخ أرض جو من سوريا خصصتها للدفاع عن العاصمة طهران ، كما قامت بشراء أسلحة مضادة للطائرات من دول أخرى عديدة (الأتحاد السوفيتى وكوريا الشمالية وليبيا) وحصلت على صواريخ دفاع جوى سام ٦ من ليبيا . ومع ذلك لم يتمكن الدفاع الجوى الإيرانى من الحد من قدرات القوات الجوية العراقية ، وقد يكون السبب الرئيسى لذلك هو إنخفاض مستوى التدريب وإنخفاض مستوى وسائل الأنذار والأستطلاع .

وعلى الجانب الآخر أستمرت القيادة العراقية فى الأحتفاظ بالتجميع الرئيسى لقواتها على الحد الأمامى ، ولم تنظم دفاعتها بعمق ، كما لم تحتفظ باحتياطيات مناسبة فى الخلف لشن الهجمات والضربات المضادة ، وكان ذلك هو السبب الرئيسى فى نجاح القوات الإيرانية فى أسترداد أجزاء من الأراضى التى أستولت عليها القوات العراقية . وعلى الرغم من تفوق القوات العراقية فى المدرعات فإنها لم تستغل ذلك فى إحباط الهجمات المضادة الإيرانية وأستخدمتها كقطع مدفعية ثابتة فى خنادق تطلق نيران مدافعها على المشاة الإيرانية المهاجمة . فى الوقت الذى نجحت فيه قوات المشاة الإيرانية فى الأختراق فى قطاع ضيق والنفاذ إلى العمق ثم الأنتشار للاجناب وأسترداد ما نجحت فى أسترداده من أراضى .

ولم تستغل القوات العراقية مرحلة الإستنزاف فى تعديل أوضاعها وسحب التجميع الرئيسى لقواتها لتكوين أحتياطيات وإنساق ثانية قوية لشن الهجمات والضربات المضادة ، وإعادة تنظيم دفاعاتها بتركيزها على خطوط وهيئات حيوية ، إلى جانب أستمرار القوات العراقية الأحتفاظ ببعض القطاعات التى يصعب الدفاع عنها . كل ذلك كان سببا لنجاح الهجمات والضربات المضادة الإيرانية .

نلاحظ سوء أستخدام المدفعية العراقية فى هذه المرحلة ، فبدلا من توزيع المدفعية على طول المواجهة كان الأحرى بها أن تستخدمها بأسلوب مرن يمكنها من المناورة بالوحدات والنيران فى إتجاهات المجهود الرئيسى للقوات الإيرانية ، ولصد الأختراق .

ورغم التفوق الواضح للقوات العراقية إلا أنها فشلت فى إكتشاف نوايا القوات الإيرانية وأكتشاف حشدها وأتخاذها أوضاع الهجوم بل ولم تتدخل فى تحركات القوات الإيرانية العرضية التى قامت بها لشن هجومها وضرباتها المضادة . ومن المؤكد أنها لو كانت قد نجحت فى ذلك وقامت بتوجيه ضربات جوية لهذه القوات فى مناطق تجمعها ومناطق أتخاذها لتشكيل الهجوم لأدى ذلك إلى أحداث خسائر مؤثرة فيها بل وكان من الممكن أحباط هذه الضربات والهجمات المضادة . وكل ما قامت به القوات الجوية العراقية هو مهاجمتها للقطاعات التى حدثت بها أختراقات ولم يكن لذلك تأثير يذكر لتشابك قوات الجانبين فى هذه القطاعات ، ولسوء ضعف تنظيم التعاون بين القوات الجوية والقوات البرية العراقية . بل أستغرب كل المحللين العسكريين من عدم أستخدام القوات الجوية العراقية المتفوقة فى إسكات المدفعية الإيرانية التى نجحت فى تنفيذ تمهيد نيرانى جيد ومعاونة القوات الإيرانية المهاجمة بحشود نيرانية مؤثرة .

وتلاحظ كذلك فشل قوات الدفاع الجوى العراقية فى منع القوات الجوية الإيرانية المحدودة من تنفيذ مهامها وتركت المهمة للقوات الجوية العراقية .

وخلاصة القول كان التعاون بين أفرع وأسلحة القوات المسلحة العراقية ضعيفا وسيئا الأمر الذى أدى إلى نجاح القوات الإيرانية فى تنفيذ المهام المحدودة التى كلفت بها .

٤ ــ العمليات من نصف مارس ٨٢ إلى نصف يوليو ٨٢

أشتملت هذه المرحلة على ثلاث عمليات هجومية مضادة رئيسية قامت بها القوات الإيرانية فى الفترة ما بين منتصف مارس ١٩٨٢ ومنتصف يوليو ١٩٨٢ لأستعادة إيران كل

الأراضى التى أستولت عليها القوات العراقية .

١ ـــ العملية « فاطمة الزهراء » :

أطلقت إيران على الهجوم المضاد الثانوى الذى نفذته بقوة لواء مشاه مدعم بعناصر من الحرس الثورى فى منطقة جنوب الشوش بالقطاع الأوسط الأسم الرمزى « فاطمة الزهراء » . وتم هذا الهجوم المضاد لخداع القوات العراقية عن إتجاه الضربة المضادة الرئيسية .

٢ ـــ العملية (فتح) :

تمت الضربة الرئيسية الإيرانية « فتح » فى القطاع الأوسط فى إتجاه ديزفول ـــ الشوش بقوة فرقتين (فرقة مدرعة وفرقة مشاة) مدعمة بلواء مظلات وكتيبة صاعقة ، ٢٠٠٠٠ جندى حرس ثورى . ونجحت هذه الضربة فى إسترداد قطاع بمواجهة حوالى مائة كيلو متر وعمق ٢٠ كم . وتمت هذه الضربة فى ٢٢ مارس ١٩٨٢ .

وأضطرت القوات العراقية فى القطاع الأوسط (الفيلق الرابع) نتيجة الخسائر الجسيمة التى تكبدتها إلى الإرتداد وتعديل أوضاعها إلى خطوط جديدة رؤى أنها مناسبة للدفاع .

٣ ـــ العملية « بيت المقدس » :

بنجاح الضربات والهجمات المضادة فى القطاع الأوسط قررت القيادة الإيرانية توجيه ضربة مضادة رئيسية فى القطاع الجنوبى أطلقت عليها الأسم الرمزى « بيت المقدس » وذلك فى ٣٠ أبريل ١٩٨٢ .

أشتملت هذه العملية على ضربة رئيسية وضربتين ثانويتين :

- الضربة الرئيسية على طول الطريق المؤدى من الأهـواز فى أتجاه خورمشهر بقوة فرقتين (فرقة مدرعة وفرقة مشاه) ولواء إبرار جوى وأعداد كبيرة من قوات الحرس الثورى .
- ضربة ثانوية بقوة فرقة مشاة مدعمة بقوات من الحرس الثورى فى إتجاه نهر قارون فى منطقة الطاهرى مع عبور النهر والتقدم فى إتجاه خورمشهر للأتصال بقوات الضربة الرئيسية .
- ضربة ثانوية بقوة مدرعة وقوات من الحرس الثورى بهدف تدمير الأحتياطيات العراقية فى مدينة سوسانجرد فى إتجاه الحويزة عبر نهر الكرخة الأعمى .

ولكن تمكنت القوات العراقية لأول مرة فى المراحل الأولى من القتال من صد الهجوم الإيرانى وإيقافه وتدمير الجسور والكبارى التى أقيمت على نهر قارون والكرخة وتمكنت من محاصرة القوات التى نجحت فى العبور . كما أدى أستخدام القيادة العراقية للطيران والمدفعية بكثافة إلى تكبيد القوات الإيرانية خسائر جسيمة . ورغم ذلك قامت القوات الإيرانية بدفع قوات جديدة فى الثغرات التى أمكن تأمينها فى عمليات ليلية وتابعت الضغط على القوات العراقية الأمر الذى أضطرت معه القيادة العراقية باصدار أوامر بسحب قواتها يوم ٨ مايو إلى مواقع جديدة والأستعداد لشن هجمات وضربات مضادة ضد القوات الإيرانية بعد صد الأختراق فى هذا القطاع أو تدعيم الدفاعات حول ميناء خورمشهر لمنع القوات الإيرانية من الإستيلاء عليه .

وساد هدوء نسبى أعمال القتال بالقطاع الجنوبى وأنخفضت معدلات أعمال القتال بعد أن نجحت القوات الإيرانية فى التمسك ببعض المناطق التى أستولت عليها .

وبعد هذا الهدوء النسبى قامت القوات الإيرانية بمعاودة الضغط على القوات العراقية فى إتجاه الجنوب وتمكنت من إستعادة أقليم خوزستان وتحرير مدينة خورمشهر وفى ٢٤ مايو ٨٢ تمكنت من الوصول إلى الحدود الدولية فى هذا القطاع وأصبحت أوضاع القوات العراقية هى أحتلالها لشريط من الأرض على طول الحدود شمال خورمشهر حتى قصر شيرين بطول حوالى ٧٠٠ كم وبعمق يتراوح بين ٢٠ كم ، ٤٠ كم مع استمرار أحتلالها لمدن شيرين وسومار ومهران وسوسانجرد . ثم عاد الموقف إلى الهدوء النسبى مع تبادل فى القصف المدفعى لبعض الأهداف والمنشآت العسكرية والمدنية وكذا غارات جوية بالطائرات من الجانبين .

وفى أوائل شهر يونيو ١٩٨٢ أعلن الرئيس صدام حسين أستعداد بلاده للأنسحاب من الأراضى الإيرانية واللجوء إلى التحكيم للوصول إلى حل للنزاع بين البلدين . وفى ٢٠ يونيو ٨٢ قرر مجلس قيادة الثورة العراقية سحب القوات العراقية من الأراضى الإيرانية خلال عشرة أيام ، وتم ذلك فعلا ومع ذلك رفضت إيران المبادرة العراقية وحددت شروطها التى بتنفيذها توقف القتال وهى :

- الإنسحاب الكامل للقوات العراقية من الأراضى الإيرانية .
- محاكمة الرئيس صدام حسين أمام هيئة دولية باعتباره المسئول عن نشوب هذه الحرب .

- دفع تعويضات لإيران قدرها ١٥٠ مليار دولار .
- إعادة العراقيين الذين طردوا من العراق إلى ديارهم .
- إعادة كل الأسرى الإيرانيين .
- اعطاء الحق للقوات الإيرانية فى العبور من خلال العراق للأشتراك فى القتال فى لبنان .

٥ ــ تحول إيران للهجوم العام على العراق

أستغلت إيران فترة الركود فى القتال الذى حدث بنهاية المرحلة الرابعة من الحرب فى الأعداد والتحضير للتحول للهجوم العام وقامت بحشد قواتها وإستكمال المستويات الإدارية وإجراء تدريب القوات على أعمال العبور . وفى نفس الوقت أستغلت العراق تلك الفترة فى إستكمال وتجهيز دفاعاتها على طول المواجهة مع التركيز على الدفاعات حول مدينة البصرة لأنها توقعت أنها ستكون أهم الأهداف التى ستسعى إيران إلى الإستيلاء عليها .

ووضعت القيادة الإيرانية خطة هجوم عام تشمل ثلاث عمليات رئيسية أطلق عليها الأسماء الرمزية « العملية رمضان » ، والعملية « مسلم بن عقيل » ، « والعملية « فجر النصر » .

١ــ العمليـة رمضــــان :

كان الهدف من هذه العملية هو الإستيلاء على مدينة البصرة بصفتها عاصمة الأقليم الجنوبى العراقى الشيعى ، كما أن الإستيلاء عليها معناه عزل العراق كلية عن الخليج العربى واحتلال منطقة بترولية هامة .

وخططت إيران تنفيذ العملية على ثلاثة مراحل ، الأولى الأختراق من إتجاه الشمال الشرق وشرق البصرة إلى عمق مناسب داخل خطوط الدفاع العراقية ، والمرحلة الثانية الأختراق من منطقة الشلاحجة باتجاه التفوق والوصول إلى شط العرب شمال البصرة . أما المرحلة الثالثة فعبور شط العرب ومحاصرة مدينة البصرة واحتلالها .

وتمت العملية فى شكل موجات بشرية هجومية متتالية من أكثر من أتجاه ليلا مع الأحتفاظ باحتياطيات يتم دفعها فى إتجاه النجاح للوصول إلى العمق المطلوب ثم تحويل إتجاه الهجوم لتطويق الدفاعات وتدميرها .

سير العمليـة :

- في الساعة ٢٢١٥ يوم ١٣ يوليو قامت مجموعة عمليات من فرقتين مدرعتين ولواء مشاه وحوالى ٣٠ ألف جندى حرس ثورى بالهجوم الذى أستمر حتى الساعة العاشرة صباح اليوم التالى ونجح فى الأختراق فى إتجاه البصرة لعمق حوالى ١٥ كيلو متر ولكن فى الساعة ١٠٣٠ من نفس اليوم شنت القوات العراقية ضربة مضادة من ثلاث إتجاهات كل بقوة لواء مشاه مدعم بكتيبة دبابات وطائرات هليكوبير مسلحة ضد قطاع الأختراق . ونجحت الضربة فى تدمير جزء من القوات الإيرانية وأجبرت باقى القوات على الإرتداد لمسافة عشرة كيلو مترات .
- وفى المساء دفعت القوات الإيرانية قوات جديدة فى نفس القطاع (لواء مدرع ، ٢ لواء مشاة ، عشرة آلاف جندى حرس ثورى) تمكنت من الأختراق لمسافة خمسة كيلو مترات . وفى أول ضوء من اليوم التالى شنت القوات العراقية هجوما مضادا جديدا ذو شعبتين ضد قطاع الأختراق نجح فى تدمير جزء من هذه القوات الإيرانية وأجبرت الجزء الباقى على الإرتداد للخلف .
- وفى ليلة ٢١ / ٢٢ يوليو ٨٢ شنت القوات الإيرانية هجوما آخر بقوة فرقة مدرعة ولوائين مشاه مدعمة بعشرة آلاف جندى حرس ثورى شرق بحيرة الأسماك نجحت فى تحقيق أختراق محدود ولكن القوات العراقية نجحت فى إيقاف الهجوم وشنت هجوما مضادا فى أول ضوء يوم ٢٢ يوليو أستعادت به الأوضاع فى هذا القطاع إلى ما كانت عليه .
- وفى حوالى منتصف ليلة ٢٣ / ٢٤ يوليو شنت القوات الإيرانية هجوما آخر بقوة فرقة مشاة مدعمة بعشرة آلاف جندى حرس ثورى على نطاق فرقة مشاة عراقية فى منطقة الشلاحجة لم يحقق أى نجاح فى إختراق دفاعات الفرقة العراقية التى نجحت فى صد الهجوم وتكبيد القوات المهاجمة خسائر جسيمة .
- وفى الثامنة مساءا يوم ٢٨ يوليو قامت القوات الإيرانية بشن هجوم آخر بقوة فرقة مشاة ، ٢ لواء مدرع وعشرة آلاف جندى حرس ثورى فى إتجاه البصرة (فى نفس الأتجاه الذى سبق شن الهجوم فيه ليلة ١٣ / ١٤ وليلة ١٦ / ١٧ يوليو) تمكن من الأختراق إلى عمق حوالى عشرة كيلو مترات . وتمكنت القوات العراقية من إيقاف

الهجوم ثم قامت عدة هجمات وضربات مضادة يومى ٢٩ ، ٣٠ تمكنت بها من القضاء على ثغرة الأختراق وأستعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه تقريبا .

- وكانت كل هذه الهجمات تتم فى صورة موجات متلاحقة من القوات لا أصفها بأنها انساق كما قال بعض المعلقين (الهجوم بعدد من الأنساق) الثلاث موجات الأولى كانت من قوات الحرس الثورى وهى قوات شبه نظامية شكلتها الثورة أساسا لحمايتها فى الداخل كانت أشبه بموجات أنتحارية تعمل فى مجموعات كل مجموعة من حوالى ٢٠ ــ٣٠ فرد تدفع مترجلة أو راكبة أحيانا (عربات خاصة وعربات نصف نقل وموتوسيكلات) بعدها يتم دفع قوات الجيش النظامى . وكان الهجوم يتم عادة ليلا للحد من تأثير نيران المدفعية العراقية والطيران العراقى ، كما أن كثيراً من الدبابات العراقية فى الدفاع كانت غير مزودة بأجهزة رؤية ليلية الأمر الذى حد من قدراتها فى القتال ليلا .

وكانت الهجمات تشن من عدة إتجاهات وفى قطاعات عديدة من الدفاعات العراقية بهدف البحث عن أنسب وأضعف القطاعات للأختراق . وبمجرد إكتشاف القطاع المناسب تدفع تشكيلات الجيش فيه .

ورغم كل ذلك ورغم حشد القوات من المدرعات ومن المشاه فى قطاع أختراق محدود تم أختياره فلم يتحقق الأختراق العميق الذى يتمكن من أستغلال النجاح وتطويره ، فلم يزد فى أحسن الحالات عن بضع كيلو مترات الأمر الذى مكن القوات العراقية من صد هذا الأختراق وشن هجمات مصادرة لتدميره وإستعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه .

وكانت الدفاعات العراقية جيدة التجهيز هندسيا فلقد أشتملت على موانع من الألغام والأسلاك الشائكة والخنادق المختلفة بما فى ذلك الخنادق المضادة للدبابات والسواتر وخنادق مغمورة بالمياه والدشم الحصينة .... الخ الأمر الذى ساعد على إيقاف الأختراقات وصدها وتدمير المهاجم أمام الحد الأمامى للدفاعات . ونجحت هذه الدفاعات فى تقليل عمق الأختراق الذى حققته القوات الإيرانية فى هجمات المناورة وتوفير الظروف المناسبة للقوات العراقية لتوجيه هجمات مضادة ناجحة .

- لقد كان عمق الأعمال القتالية فى هذه العمليات على الجانبين ومن الجانبين عمقا ضحلا

إذ لم يتعد ١٠ ــ ١٥ كم ولذلك لم تتسم أى من هذه العمليات بالمناورة والحسم بل كانت أشبه بمعارك المواقع الثابتة تعتمد على قوة النيران والقوة البشرية .

٢ ــ العملية « مسلم بن عقيل » :

بعد فشل العملية « رمضان » كما أوضحت قامت القوات الإيرانية بإعادة تجميع قواتها على طول الجبهة للتحضير والتجهيز لإدارة عملية جديدة . ومن العجيب أن تترك القوات العراقية للجانب الإيرانى حرية مطلقة فى تحريك القوات وإعادة التجميع دون تدخل من جانبها رغم أمتلاكها للوسائل من طيران ومدفعية وقوات مدرعة متفوقة .

وفى أول أكتوبر ٨٢ بدأت القوات الإيرانية فى تنفيذ العملية الهجومية التى أعطيت الأسم « مسلم بن عقيل » .

وكان الهدف من هذه العملية الإستيلاء على سلسلة من الهيئات الحيوية التى تسيطر على منطقة مندلى الأستراتيجية . ومندلى تسيطر على شبكة الطرق الرئيسية إلى عبدان والقطاعين الجنوبى والشمالى .

وعلى الرغم من أن تعبير العملية يطلق على الأعمال القتالية التى تدار بتشكيل تعبوى (جيش أو أكثر مثلا) وعلى الرغم من أن حجم القوة الإيرانية التى أشتركت فى الهجوم كان لواء مدرع ولواء مشاة ومعهم عشرون ألف جندى حرس ثورى لا تصل إلى ما يمكن أن يقال أنه تشكيل تعبوى خاصة وأن مواجهة الهجوم لم تتعد خمسة عشر كيلو مترا إلا أن المحللين أطلقوا عليها تعبير العملية .

فى الساعة ١٠٠ من صباح أول أكتوبر ٨٢ شنت هذه القوة هجوما على مواجهة ١٥ كم فى القطاع الأوسط متخذة مدينة سومار قاعدة للهجوم فى إتجاه مدينة مندلى التى تقع على مسافة ١٢٠ كيلو مترا شرقى بغداد وتمكنت من الإستيلاء على بعض المرتفعات شرق مندلى وحققت اختراقا محدودا لم يتعد ٢ كم داخل الأراضى العراقية . وفى صباح نفس اليوم حاولت تطوير الهجوم للوصول إلى مندلى ولكنها فشلت وتوقف الهجوم أمام المقاومة العنيفة للقوات العراقية .

وبتوقف الهجوم قامت القوات العراقية بشن هجمات مضادة ناجحة أجبرت القوات الإيرانية على الإرتداد داخل الأراضى الإيرانية . ولم تحاول القوات العراقية أستغلال نجاح

الهجمات المضادة أو القيام بأى أعمال مطاردة بل أكتفت باستعادة أراضيها وأستعادة الأوضاع والتمسك بالدفاعات .

وأستمرت الأعمال القتالية بين الطرفين على مدى خمسة أيام فى محاولات جديدة إيرانية لأختراق الحدود ونجاح الجانب العراقى فى صد الهجوم .

وكانت الحصيلة النهائية لهذه العملية هى أسترداد القوات الإيرانية لبعض المرتفعات على الحدود التى كانت تحتلها القوات العراقية ، وفشلت القوات الإيرانية فى الأختراق أو الإستيلاء على أى أراضى عراقية .

وأدى نجاح القوات العراقية فى صد الهجمات الإيرانية المتكررة إلى أرتفاع الروح المعنوية نسبيا ، كما أتضحت كفاءة التجهيزات الهندسية العراقية وكفاءتها فى إدارة العملية الدفاعية وحسن توقع القيادة لأتجاهات الهجمات الإيرانية .

ولقد ساعد القوات العراقية فى نجاحها صعوبة المناورة فى هذا القطاع لكثرة المستنقعات والمناطق السبخية وقلة المحاور المناسبة للمناورة بالمدرعات وإدارة أعمال قتالية متحركة .

ومع ذلك يعيب الجانب العراقى سلبيته فى أستغلال النجاح إذ لم يحاول أن يستفيد من نجاحه فى صد الهجوم وأحتوائه ونجاح هجماته وضرباته المضادة وأستغلال التفوق الجوى الذى كان إلى جانبه فى تدمير القوات الإيرانية التى أرتدت بعد فشل هجومها .

كما نلاحظ أن الجانب الإيرانى كان يناور ويحشد قواته من مكان إلى آخر دون تدخل من الجانب العراقى الذى أهمل مبدأ من مبادىء الحرب وهو منع العدو من الحشد .

٣ ـــ العملية « فجر النصر » :

بعد عملية « مسلم بن عقيل » دارت أعمال أستنزاف بين الجانبين بتبادل القصف الجوى وبنيران المدفعية على طول المواجهة مع إدارة بعض الأعمال القتالية المحدودة ، وفى خلال تلك الفترة قامت القيادة الإيرانية بتحريك أحدى الفرق المدرعة فى إتجاه منطقة سومار بالقطاع الأوسط وعدد من اللواءات المشاة من القطاع الجنوبى إلى غرب مدينة ديزفول . وكان واضحا أن القيادة الإيرانية تقوم باعادة تجميع للقوات لهدف ما ولكن القوات العراقية لم تتدخل فى هذه التحركات . وفى الوقت ذاته نفذت القوات الإيرانية سلسلة من الأعمال لأزعاج القوات العراقية المدافعة لأرهاقها . وكان كل ذلك اعداد

وتجهيز للعملية « نصر الفجر » التى خططت لتنفيذها فى أوائل شهر فبراير ١٩٨٣ فى القطاع الجنوبى فى إتجاه قرية الشبيب ــ مدينة العمارة وذلك بهدف إختراق الدفاعات العراقية والوصول إلى خط مناسب يمكن منه تهديد مدينة العمارة والسيطرة على طريق بغداد ــ البصرة وعزل مدينة البصرة عن باقى الأراضى العراقية تمهيدا للاستيلاء عليها . وحشدت القيادة الإيرانية لتنفيذ هذه العملية : ٢ فرقة مشاة ، فرقتين مدرعتين ، ٢ لواء مشاة ، ٣ أفواج حرس حدود ، مجموعة فرسان جو ، ولواء متطوعين ، ومجموعتين مدفعية .

وشكلت هذه القوات فى نسقين :

فى **النسق الأول** : فرقة مدرعة وفرقتين مشاة ، ٢ مجموعة مدفعية .

فى **النسق الثانى** : باقى القوات السابق ذكرها .

وكان الفليق الرابع العراقى هو الذى يدافع فى القطاع الجنوبى وكان يتكون من فرقتين مشاة ، وفرقة مشاة ميكانيكية ، وفرقتين مدرعتين .

وأختارت القيادة الإيرانية تركيز المجهود الرئيسى للهجوم فى قطاع الفرقة المشاة الميكانيكية .

وكانت طبيعة الأرض التى تمت فيها العملية أرض صحراوية مفتوحة حتى قرية الشبيب التى يؤدى إليها محوران رئيسيان ، ثم تأتى بعد ذلك منطقة سبخات وأنهار حتى مدينة العمارة تعتبر مانعا طبيعيا ضد تقدم القوات .

وتبعد قرية الشبيب عن الحدود مسافة ٣٠ كيلو متر فى حين تبعد مدينة العمارة حوالى ٦٠ كيلو متر .

وكانت إيران قد قامت بعملية هجومية محدودة تمكنت فيها من تحقيق نجاح محدود إذ نجحت فى إختراق الدفاعات العراقية لعمق حتى سبعة كيلو مترات وتوقف الهجوم لنجاح القوات العراقية فى صده ، ولكن القوات العراقية لم تشن هجوما مضادا لاستعادة الأوضاع وتركت القوات الإيرانية تعيد تجميع قواتها وحشدها غرب ديزفول فى القطاع الجنوبى ولم تتدخل العراق فى هذا العمل رغم أنه كان يوحى بالإستعداد لعملية هجومية رئيسية جديدة .

وفى فجر يوم السابع من فبراير بدأت عملية « فجر النصر » بتوجيه هجوم من اتجاهين بهدف تطويق الفرقة الأولى الميكانيكية العراقية طبقا للخطة السابق الحديث عنها والوصول إلى قرية الشبيب كمهمة مباشرة ولكن القوات العراقية تمكنت من إيقاف تقدم القوات الإيرانية بفضل تفوق القوات الجوية العراقية والتى منعت الطيران الإيرانى من معاونة الهجوم . وبعد إيقاف الهجوم شنت القوات العراقية هجوما مضادا لم ينجح فى تدمير الأختراق وتحولت الأعمال القتالية إلى تبادل للقصف المدفعى من الجانبين فى قطاع الهجوم وقطاعات أخرى متفرقة ، كما تعرضت عدة مدن لنيران المدفعية (البصرة ومندلى وخانقين) ومع ذلك نجحت القوات الإيرانية فى فتح عدة ثغرات فى حقول الألغام وإنشاء كوبرى إقتحام ومعديات على الخنادق المضاد للدبابات .

وأتسمت هذه المعركة بالعنف فى القتال رغم عدم نجاح أى من الطرفين فى حسم الموقف لصالحه . ورغم أن القوات العراقية تمكنت من صد الأختراق بفضل التجهيزات الدفاعية الهندسية الجيدة وتوقع الهجوم الإيرانى وتوفر الأحتياطيات بالحجم المناسب وفى المكان المناسب وأستخدامها لتوجيه هجوم مضاد فى الوقت المناسب إلا أنها لم تتمكن من تدمير وطرد القوات الإيرانية .

وأستمر الجانبان كل فى تدعيم قواته فى القطاع أستعدادا لتطوير الهجوم . وخلال يومى ٨ ، ٩ فبراير تمكنت القوات العراقية من صد وإيقاف هجوم جديد شنته القوات الإيرانية فى نفس القطاع ويبدو أن ذلك كان بدفع جزء من النسق الثانى لاستغلال النجاح إلا أنه فشل .

وتحول القتال إلى تبادل لنيران بالمدفعية وبعض أعمال القوات الجوية إلى أن تمكنت بعض الوحدات الفرعية الإيرانية ليلة ٩ / ١٠ بالتسلسل خلف الساتر الترابى الذى كانت القوات العراقية قد أنشأته ، ولاستغلال هذا النجاح دفعت القوات الإيرانية ٢ لواء مدرع ولواء حرس ثورى لأختراق الدفاعات ونجحت فعلا فى الأختراق لعمق حتى ٨ كم داخل الدفاعات . وفى أول ضوء يوم ١٠ فبراير شنت القوات العراقية هجوما مضاد ضد القوات المخترقة تمكنت به من طردها وحصار وتدمير جزء منها .

وفى ١٦ فبراير شنت القوات الإيرانية مرة أخرى هجوما محدودا فى نفس الأتجاه بهدف المحافظة على الثغرات التى نجحت فى فتحها خلال هجماتها السابقة إلا أنها فشلت ونجحت

القوات العراقية فى صدها وتكبيدها خسائر جسيمة . فقررت القيادة الإيرانية سحب قواتها للخلف بعد هذا الفشل وذلك لاستعادة كفاءتها القتالية . ولم تحاول القوات العراقية أستغلال هذا النجاح وأستخدام أحتياطياتها فى أى أعمال مطاردة أو التحول للهجوم لتدمير القوات الإيرانية فى المواجهة .

وأستمر تبادل نيران المدفعية طول الأيام التالية مع قيام البحرية العراقية لأول مرة باغارة على ميناء خور موسى على رأس الخليج العربى تمكنت فيها من إصابة قطعة بحرية إيرانية رأسية بالميناء ، كما أغارت الطائرات العراقية على المواقع والتجمعات الإيرانية بالقطاع الجنوبى من الجبهة وكان هذا أول صورة من صور أحباط الهجوم تتم فى هذه الحرب . ولو قامت القوات الجوية العراقية والمدفعية العراقية باجراء تمهيد مضاد أو ضربات احباط أثناء حشد وتجميع وفتح القوات الإيرانية للهجوم فى العمليات التى تحدثنا عنها لتغيير مجرى الأحداث وهو ما لم يحدث إذ كانت القوات العراقية تترك للقيادة الإيرانية حرية تحريك وإعادة تجميع قواتها من قطاع لأخر دون تدخل أو أى أعمال أحباط من أى صورة من الصور .

وفى ٢٤ فبراير شنت القوات الإيرانية من جديد عملية محدودة ضد القوات العراقية غرب مهران لم تحرز نجاحا إذ نجحت القوات العراقية فى صد الهجوم ، وتكرر نفس الشيء فلم تحاول القوات العراقية أستغلال ذلك بالتحول للهجوم ولو بهدف محدود وهو تدمير القوات الإيرانية المرتدة .

ومن الظواهر الغريبة أن المعلومات أفادت بأن القوات الإيرانية قامت فى ٢٦ فبراير بعدة تحركات تفيد إعادة التجميع لشن هجوم مفاجىء ضد القوات العراقية فى نفس القطاع ، وتمكنت الإستخبارات العراقية من إكتشاف تحركات وتجمعات لقوة إيرانية بحجم فرقة مدرعة وفرقة مشاة ولواء مدرع ولوائين مشاة مزودة بوسائل عبور وأقتحام للخنادق المضادة للدبابات ومع ذلك لم تحاول القيادة العراقية التدخل فى عرقلة هذا التجميع بتنفيذ ضربة احباط أو تمهيد جوى نيرانى مضاد .

وأستمرت الأعمال القتالية حتى ٢٨ فبراير بين الجانبين مع التركيز فى قطاع العملية فجر النصر ، وأستمرت عملية إعادة تجميع القوات الإيرانية بالقطاع الجنوبى استعدادا لتنفيذ عملية جديدة وأيضا دون تدخل من القوات العراقية .

ويمكن لأى مراقب أو محلل أن يكتشف نمطية الأعمال القتالية الإيرانية والتى كانت تتلخص فى بدء الهجوم ليلا وبموجات متتالية من قوات المشاة أساسا بهدف تحقيق إختراق ولو محدود وفتح ثغرات فى حقوق الألغام والدفاعات العراقية لتدفع من خلالها قوات مدرعة وميكانيكية لأستغلال النجاح والوصول إلى عمق كبير تهدد به الطرق التى تربط بين البصرة وبغداد لعزل مدينة البصرة وتهيئة الظروف للإستيلاء عليها .

وكانت المبادأة فى أيدى الإيرانيين تركتها لهم القيادة العراقية رغم وجود تفوق عراقى فى المقارنة بين القوات وخاصة فى المدرعات والمدفعية والطائرات وبدأ الإيرانيون فى الأهتمام بالإستعدادات لتجنب الخسائر الكبيرة التى لحقت بهم فى الهجمات والعمليات السابقة نتيجة السرعة والرعونة خاصة بعد أن أكتشفوا التجهيزات والتحصينات الدفاعية التى قامت بها القوات العراقية شرق العمارة وفى معظم قطاعات المنطقة الجنوبية . ومع ذلك أستمرت إيران فى شن هجماتها أعتمادا على تفوقها فى القوة البشرية وقبولها للخسائر البشرية الكبيرة فى سبيل تحقيق أهدافها .

ويبدو أن القيادة العراقية قررت أتباع استراتيجية دفاعية بحتة مع التركيز على تكبيد القوات الإيرانية أكبر خسائر ممكنة قد تجبرها على التخلى عن شن عمليات هجومية والتقليل من قدرة إيران على الأستمرار فى القتال والتأثير على معنويات القوات الإيرانية وخاصة الحرس الثورى . كل ذلك على أمل قيام القيادة الإيرانية بإعادة حساباتها بالنسبة للهدف من الحرب وتبدأ التفكير فى السلام .

ولقد أستمر تفوق العراق فى قدراتها على شراء أسلحة من الأسواق المختلفة ، فلقد تمكنت عام ١٩٨١ من إستيراد ما قيمته ٣,٧ مليار دولار ومعدات وأسلحة وفى عام ١٩٨٢ ما قيمته ٤,٣ مليون دولار فى حين لم تتمكن إيران من أستيراد سوى ما قيمته مليار دولار عام ١٩٨١ وما قيمته ١,٥ مليار دولار عام ١٩٨٢ . وهذا معناه أن العراق تمكنت من شراء ما يعادل ثلاثة أمثال ما ابتاعته إيران من معدات وأسلحة فى تلك الفترة . كما أن قضاء الخومينى على حزب توده الشيوعى أنهى كل علاقة ممكنة مع الأتحاد السوفينى وكان ذلك فى صالح العراق . وأعتبارا من سبتمبر عام ١٩٨٢ بدأ الأتحاد السوفيتى فى إمداد العراق باسلحة أكثر تطورا مثل الدبابة ت ٧٢ وكذا طائرات مقاتلة جديدة وصواريخ مضادة للطائرات وقطع مدفعية . ويأتى فى نفس المستوى من الأهمية امداد فرنسا للعراق

عام ١٩٨٢ بطائرات ميراج ف ـــ١ المزودة بالصاروخ جو / جو ماجيك واحد . وكانت ميزة للعراق فى الوقت الذى تأكلت فيه أعداد الطائرات الصالحة للعمليات فى القوات الجوية الإيرانية ، وأصبح للقوات العراقية قدرات أعلى فى القتال الجوى . كما أن الطائرة ميراج ف ـــ١ مزودة بمعدات الكترونية أحسن تساعد على دقة أحسن فى الإصابة بالتسليح جو / أرض تتفوق على كل الطائرات السوفيتية الموجودة . كما حصلت العراق على صواريخ أكسوزيت جو / سطح يمكن أطلاقها من الطائرات الميراج والهليكوبترات سوبر فريلون الفرنسية . وأصبح فى مقدور القوات الجوية العراقية أن تهاجم ناقلات البترول الإيرانية دون إنذار ودون أن تتعرض لأى خطورة وبدأت العراق مرة أخرى فى القصف الإستراتيجى للأهداف داخل إيران ردا على الهجوم الصيفى الذى شنته إيران على العراق . وأعلنت بغداد أنها فعلت ذلك ردا على الهجمات الجوية الإيرانية ضد بغداد ، وكثفت من هذه الهجمات لتجبر إيران على قبول وقف إطلاق النار أو السلام .

وبدأت العراق هذا القصف الإستراتيجى بشن عدد من الضربات الجوية بالمقاتلات والمقاتلات القاذفة والصواريخ أرض أرض فروج ضد المدن الإيرانية .

وعلى سبيل المثال زاد عدد الصواريخ أرض أرض طراز فروج التى أطلقتها العراق على ديزفول والأهواز عن ٦٤ صاروخ . وفى ١٢ أكتوبر ٨٢ أعلنت العراق أن منطقة شمال الخليج منطقة محظورة وبدأت فى قصف جزيرة خرج كما أستخدمت العراق الهليكوبترات المسلحة بالصواريخ جو / سطح أكسوزيت ضد السفن الإيرانية فى شمال الخليج .

وفى ١٩٨٢ أطلقت العراق لأول مرة صواريخ أرض / أرض سكود ـــ ب على إيران مبتدئة بمدينة ديزفول (قتلت ٢١ مدنى وجرحت عشرات) فى أكتوبر ٢٧ ثم مرة أخرى فى ديسمبر ١٨ (أحدثت خسائر وصلت إلى ٣٤٩ فرد) .

وأستمرت العراق فى هجومها على المدينتين والأهداف الأقتصادية الإيرانية خلال ديسمبر ويناير . وفى ٢٨ يناير شنت ما يمكن أن يكون هجوم رئيسى . فلقد أعلنت العراق أنها نفذت ٦٦ غارة جوية قصفت أهدافا فى إيران . وكانت العراق ترسل قاذفاتها دون مقاتلات كافية لحراستها ودون تدريب كافى فى تفادى الدفاع الجوى الإيرانى ، كما يبدو أن بعض هذه الطائرات لم تكن قد نفذت فيها الصيانة والتأمين الفنى المناسب وضد أهداف على مسافات أكبر من مدى الطائرات المخصصة للمهمة . وكان حجم القصف الصاروخى

والضربات الجوية كبيرا حسب المستوى العراق إلا أنها كانت سيئة التخطيط . فكثير من الصواريخ لم يصب الأهداف بدقة الأمر الذى قلل إلى حد كبير من تأثيرها . وبالنسبة للقصف الجوى كان عدد الطائرات المخصص لكل هدف أقل مما كان يجب أن يخصص له لتحقيق النتائج المطلوبة ، كما أنها فشلت فى تكرار القصف للأهداف التى تتطلب ذلك . وعليه فان هذا المجهود العراق لم يحقق أى تأثير إستراتيجى ملموس .

وردت القوات الجوية الإيرانية على الغارات العراقية الأمر الذى أثبت أن القوات الجوية الإيرانية قادرة على أختراق الأجواء العراقية على أرتفاعات منخفضة وتهاجم أهدافها . ومع ذلك لم تقم القوات الجوية الإيرانية بشن هجماتها الجوية بما لا يزيد عن ٢ إلى ٤ طائرات لكل هدف ، كما أن وسائل الدفاع الجوى العراقى نجحت فى تكبيد القوات الجوية الإيرانية خسائر مؤثرة . وفى الوقت الذى بدأ تحسن أداء الطيران الإيرانى فان القوات الجوية العراقية استمرت فى شن هجمات جوية متفرقة بمجموعات متفرقة من الطائرات بدلا من شن ضربات جوية مركزة بأعداد مناسبة وقوية من الطائرات . وطبقا لبعض التقارير خسرت العراق حوالى ٨٠ طائرة فى غاراتها الجوية فى شهر يناير وخسرت إيران ٥٥ طائرة . وحتى تلك المرحلة من الحرب كان لدى العراق حوالى ٣٠٠ طائرة قتال عاملة وعدد كبير من الهليكوبترات المسلحة الهجومية (٩ قاذفة تى يو ٢ ، ٨ اليوش ، ست اسراب بها ٧٠ طائرة سوخوى ٧ وسوخوى ١٧ (٢٠) وعدد ١٢ طائرة هنتر ، ١٤ ميج ٢٥ ، ٤٠ ميج ١٩(أ ف ٦) ، ٧٠ ميج ٢١ (أ ف ٧) وأكثر من ٣٠ طائرة ميراج ف ١ وكانت العراق قادرة رغم الخسائر على تنفيذ ٢٠٠ طلعة /طائرة / يوم .

أستمرار الهجوم الإيرانى لغزو العراق فى أوائل عام ١٩٨٣ :

بدأت إيران قتالها البرى عام ١٩٨٣ بشن أول هجوم « فى الفجر » بدأ فى منطقة سوسيان غرب ديزفول فى ٧ فبراير ١٩٨٣ ، وتم الهجوم شمال المستنقعات عبر الأرض الجافة المفتوحة صوب عمارة . وتم الهجوم بعدد ٦ فرق (رغم تسميتها فرق إلا أن قوة الفرقة لا تعدو لواء مدعم) ، وكان صلب هذه القوات من الحرس الثورى المدعمة ببعض الوحدات الميكانيكية المحدودة ، وكان من بين هذه الفرق فرقة مدرعة . وكان إجمالى القوات الإيرانية القائمة بالهجوم ٥٠٠٠٠ جندى . وكان حجم القوات العراقية المدافعة

يتكون من الجيش الرابع المكون من حوالى ٧ فرق عراقية قوتها حوالى ٥٠٠٠٠ ـــ ٥٥٠٠٠ رجل .

وتم الهجوم ليلا ، وتم الفتح فى تشكيل الهجوم فى وقت ممطر لحرمان الطائرات والهليكوبترات العراقية من الطيران . وتم الهجوم الإيرانى فى عدة إتجاهات كل إتجاه بقوة فرقتين . وهدفت إيران إلى أن يقوم القائد العراقى بدفع كل أحتياطياته مبكرا ضد الأختراقات الأولى ثم بعد ذلك تقوم بدفع إتساقها الثانية لقطع طريق البصرة بغداد . ولكن القائد العراقى احتفظ بالإحتياطيات خلف الخط الدفاعى الأول الذى كان مجهزا تجهيزا جيدا وتمكن من تحويل المنطقة الدفاعية الى منطقة قتل للانساق الأولى الإيرانية والتى كانت معظمها من المشاة والتى فشلت فى إختراق الدفاعات الرئيسية العراقية . وبحلول الصباح نجحت القوات العراقية فى أستخدام هليكوبتراتها المسلحة وطيرانها بكثافة (ومن بينها الميراج ف ـــ ١) وكانت القوات الإيرانية مكشوفة ومعرضة لضربات وهجمات هذه الطائرات التى كانت هجماتها مؤثرة ناجحة كما تمكنت القوات العراقية من إستخدام تفوقها فى المدرعات وفى قوة النيران لشن هجوم مضاد ودفع القوات الإيرانية للخلف . وأعلنت العراق أنها نفذت ١٥٠ طلعة / طائرة/ يوم ويبدو أن هذا كان صحيحا . وفى الوقت نفسه شنت بعض الهجمات الجوية ضد المدن الإيرانية ردا على الهجوم الإيرانى (الأهواز ، وديزفول ، وخورمشهر) .

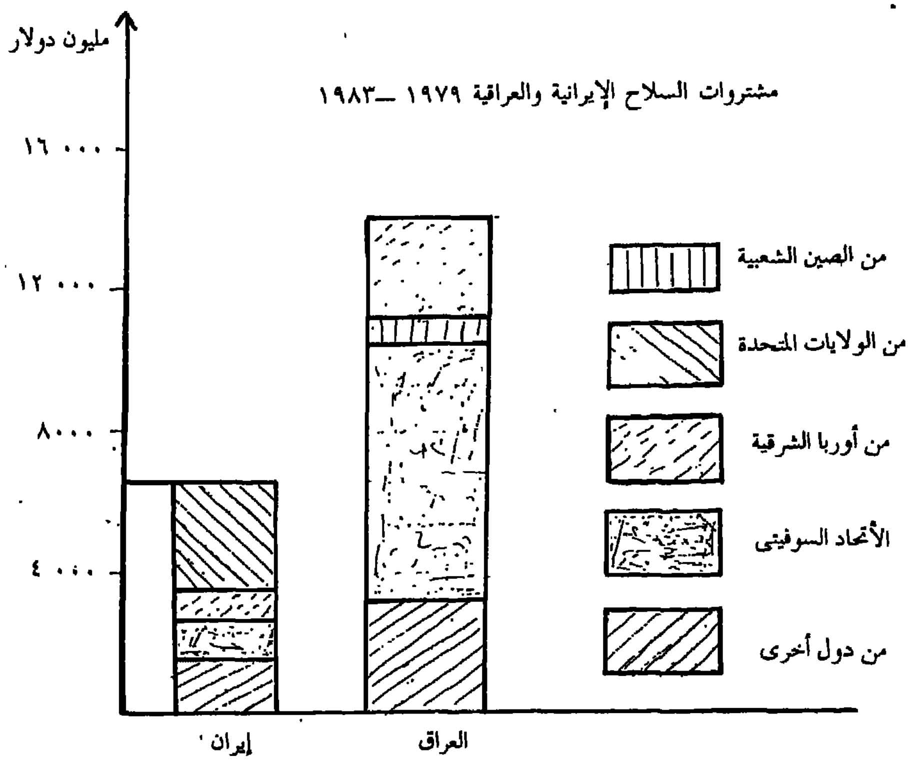
ورغم الخسائر الجسيمة كررت إيران دفع موجات بشرية جديدة فى الهجوم بعد ظهر نفس اليوم (٨ فبراير) . وفى اليوم التالى دفعت إيران الفرقة ٩٢ مدرعة ضد أضعف قطاع فى الدفاعات العراقية . ورغم أن هذه الفرقة لم يكن بها سوى لواءان مدرعان إلا أنها نجحت فى أختراق الدفاعات العراقية ولكنها اصبحت فى أرض مكشوفة ومفتوحة فقامت المدرعات العراقية بشن هجوم مضاد تمكن من محاصرة عناصر منها . وفقدت إيران لواء كاملا وأسر اللواء الثانى . وأنتهى القتال فى ١٠ فبراير ولم تستولى القوات الإيرانية سوى على شريط ضيق فى القطاع الأضعف دفاعا على الحدود وهى قطاع شرق الدفاعات العراقية الرئيسية . وكان إجمالى الخسائر فى الجانبين يتراوح بين عشرة آلاف وخمسة عشر ألف رجل النصف قتلى وكانت نسبة خسائر إيران إلى العراق ٣ إلى واحد .

وقامت العراق بشن هجوم مضاد بالقرب من شاهرانى فى القطاع الأوسط فى أواخر

مارس ١٩٨٣ ولكنه لم يحرز نجاحا . بعد ذلك شنت إيران هجوما جديدا فى منطقة المثنى يوم ١٠ إبريل أستمر حتى ١٧ إبريل كان الهدف منه إعادة الإستيلاء على المرتفعات على مواجهة ٣٠ كم شمالى فوكه . وحقق الهجوم نجاحا جزئيا وتمكنت إيران من أسر ٤٠٠ جندى عراقى . ولكن الهجوم اسفر عن خسائر جسيمة قدرت بسبعة آلاف قتيل وجريح .

وشنت العراق عدة ضربات صاروخية (صواريخ فروج ، واسكود ب) وضربات جوية ضد أهداف بالمدن الإيرانية فى مايو وطالبت بوقف إطلاق النيران لحماية المدنيين . وفشلت العراق فى تحقيق هدنة خلال شهر رمضان . وكانت إيران قد تعرضت لخسائر جسيمة فى القوة البشرية والمعدات ومع ذلك استمرت القيادة الإيرانية فى الرغبة فى غزو العراق .

وأصبحت قدرة الطرفين على إستيراد أسلحة جديدة فى موقف حرج ، فلقد أرتفعت أسعار المعدات والأسلحة . ولكن يمكن ملاحظة أن العراق تمكنت من شراء أسلحة ومعدات حديثة . ورغم أن العراق خسرت حتى الآن أكثر من مائة طائرة وحوالى ٢٠٠٠ دبابة وعربة مدرعة إلا أن أستمرارها فى شراء الأسلحة والمعدات مكنها من استعواض هذه الخسائر .



ونجحت إيران فى الحصول على بعض الأسلحة والمعدات من سوريا وليبيا وإسرائيل كما توجهت إلى دول أخرى خارج المنطقة مثل الصين الشعبية وكوريا الشمالية للحصول على أسلحة ومعدات . ومع ذلك فان خسائر إيران والنقص الشديد فى قطع الغيار أثر على الكفاءة القتالية ، فعلى سبيل المثال إنخفضت صلاحية الطائرات من ٤٠٠ طائرة فى عهد الشاة إلى ٧٠ طائرة بمنتصف ١٩٨٣ . وفشلت إيران فى تحقيق معدلات طلعات جوية مناسبة وأجبرت على الأحتفاظ بما لديها من طائرات لحماية الأهداف الحيوية .

ومع ذلك كان لإيران ميزتان هما أرتفاع دخلها من البترول بالنسبة للعراق الذى ساء موقفها نسبيا ، وقدرتها على تحمل الخسائر البشرية .

الهجمات الإيرانية ضد الأكراد والعملية « فى الفجر ٢ » :

كانت ايران تهدف إلى الضغط على نقطة ضعف العراق وهى قوتها البشرية المحدودة واستغلال تعرض بغداد لحرب الأستنزاف . وفى ٢٣ يونيو ١٩٨٣ شنت إيران هجوما جديدا فى منطقة بيرانشهر فى القطاع الشمالى من الجبهة على مواجهة ٣٠ كم تمتد بين مدينتى كرديتين (سارداشت وبيراتشهر) . وأطلق على هذا الهجوم الأسم الرمزى « فى الفجر ٢ » . وكانت له علاقة بهجوم سابق تم فى منتصف مارس ضد قوات حزب الأكراد الديمقراطى الإيرانى الموالى للعراق (وقائده عبد الرحمن غاسيملاو) . وخلال هذا الهجوم قامت قوات نظامية إيرانية مدعمة بالحرس الثورى بمهاجمة قوات الحزب الكردى محققة تفوقا بنسبة ٤ إلى ١ فى القوة البشرية وتفوقا ساحقا فى القوة النيرانية . وتمكنت القوات الإيرانية من طرد القوات الكردية من مواقعها بالقرب من بكيز وباخان وماهاباد ودعمت نجاحاتها التى حققتها سابقا ضد هذه القوات .

وتضمنت العملية « الفجر ٢ » هجوما على القوات العراقية المدعمة بقوات من الحزب الكردى الديمقراطى . وتمكنت القوات الإيرانية من التسلل خلال المواقع العراقية والكردية فى وادى رواندیز ثم دفعت موجات كبيرة من القوات البشرية . وأستغلت القوات الإيرانية طبيعة الأرض التى حققت لها ساترا جيدا للهجوم ، كما ظهر أن عناصر الأستطلاع وفرت لها معلومات جيدة عن الدفاعات . وبعد قتال أستمر خمسة أيام والنجاح فى صد هجوم عراقى مضاد نجحت القوات الإيرانية فى الوصول إلى عمق حوالى ١٦ كم داخل الأراضى العراقية . ولقد تحقق هذا الأختراق رغم إستخدام القوات العراقية للغازات السامة ضد

بعض القوات الكردية . ونجحت القوات الإيرانية فى الإستيلاء على حامية الحاج عمران (من قوة الفليق الأول) وتقع فوق أهم المرتفعات بالمنطقة وأستولت كذلك على مواقع المدفعية العراقية بالمنطقة وحوالى ٤٣ قرية كردية ، ومركز القيادة الرئيسى للحزب الديمقراطى الكردى الإيرانى المعارض ومعظم معدات قوات هذا الحزب .

ورغم أن المنطقة التى أستولت عليها إيران ليست ذات أهمية إستراتيجية إلا أنها مثلت بداية النهاية لمعظم النشاط الكردى المضاد لإيران ، بل لقد حققت للخومينى الفرصة ليعلن قيام حكومة عراقية فى المنفى تتواجد فى الأراضى العراقية ، وحققت لإيران القدرة على أستخدام الأكراد ضد صدام وكان التنظيم الكردى المضاد لصدام يدعى الأتحاد الوطنى لكردستان وله قوات بقيادة طلبانى . ونتيجة ذلك بدأت مجموعات من الأكراد المعادية للعراق تعمل وتقاتل ضد العراق وتركيا .

وفى واقع الأمر كان أتحاد الوطنين فى كردستان ناجحا إلى حد كبير فى مناطق الحدود بين تركيا وإيران إلى الحد الذى أضطرت معه تركيا لتكليف قوات الجيش الثانى بحراسة خط أنابيب البترول العراق ــ التركى والطريق بمحاذاته . وفى الوقت الذى كان الأكراد الموالون يقومون بحماية هذا الخط بدأت تركيا فى مركزة قوات الجيش بالمنطقة بل وتجبر الكثير من الأكراد على إخلاء بعض القرى . وفى هذا المجال تم توقيع أتفاق مشترك أمنى بين تركيا والعراق فى أواخر إبريل . ولقد حقق هذا الأتفاق توفير قوة بشرية كانت تستخدم لمطاردة ومقاتلة المعارضة الكردية فى شمال العراق ، كما أدت إلى شن تركيا لعدة إغارات رئيسية ضد الأكراد فى مايو وأغسطس وسبتمبر . وكانت هذه الأغارات مؤثرة لدرجة أجبار طلبانى على بدء المفاوضات مع بغداد للوصول إلى حل وسط يقضى بتنازله عن المطالبة بالإستقلال فى مقابل أعطاء الأكراد سلطات حكم ذاتى . وفعلا وقع طلبانى إتفاقية وقف أطلاق النيران مع بغداد فى ديسمبر .

الهجوم الإيرانى « فى الفجر ــ٣ » بالقرب من مهران :

شنت إيران هجومها « فى الفجر ــ٣ » فى ٣٠ يوليو فى منطقة بالقرب من مهران . وكان الهدف من هذا الهجوم تطهير المرتفعات المطلة على مهران ، وكانت العراق قد أخلت المدينة فى أواخر يونيو ولكنها أحتفظت بالمرتفعات المحيطة بالطرق التى تربط دهلوران ومهران وبين ايلام ومهران . ووقع الهجوم على قوات من الفليق العراقى الثانى بالمنطقة على

طول طريق دهلوران ـمهران صوب منطقة الحدود بالقرب سد يدرا ودوراجى فى العراق . وفى هذا الهجوم أستغلت إيران طبيعة الأرض الوعرة على حافة الهضبة الإيرانية التى حققت للقوات الإيرانية حماية وإخفاء أحسن عن منطقة السهول المفتوحة فى الجنوب . وكانت إيران على علم مبكر بالهجوم وحاولت القوات المدرعة بمعاونة الطيران شن ضربة أحباط أثناء تجمع القوات الإيرانية إستعداد للهجوم ، ولكن كانت القوات الإيرانية (٥٠٠٠٠ جندى) فى مواقع دفاعية أمامية جيدة ففشلت ضربة الأحباط العراقية ونتج عنها فقدان إتزان القوات العراقية عندما بدأ الهجوم الإيرانى .

وتطور الأمر إلى قتال عنيف من أجل كل موقع ، وأستمر القتال حتى العاشر من أغسطس . وطبقا لبعض التقارير أستخدمت العراق الهليكوبترات المسلحة والقاذفات المقاتلة فى توجيه ضربات بالغازات السامة ضد القوات الإيرانية . وأفادت بعض المصادر الفرنسية أن الهجوم الإبتدائى فشل لأن العراقيين لم يراعوا إتجاه الريح وظروف الأحوال الجوية الأمر الذى جعل غاز المسترد أن ينتشر على أرتفاع منخفض على أجناب المرتفعات بعيدة عن القوات الإيرانية . ونجحت العراق كذلك فى تدعيم قواتها فى تلك الفترة ولكنها لم تتمكن من شن هجمات مضادة ناجحة ، فلم تتوفر أرض مفتوحة تمكن العراق من أستغلال تفوقها النيرانى وأستخدام مدرعاتها بكفاءة . ونلاحظ أن تأثير المدفعية العراقية والضربات الجوية كان منخفضا بسبب طبيعة الأرض . وأنتهت المعركة بخسائر فى الجانبين وصلت إلى ١٧٠٠٠ قتيل وجريح .

وفى الوقت الذى لم تحقق فيه فى هذه العملية أنتصارا رئيسيا إلا أنها تمكنت من الأختراق لعمق حوالى عشرة كيلو مترات وسيطرة على منطقة مساحتها أكثر من مائة كيلو متر مربع فى المرتفعات الشرقية المطلة على مهران . وأثبتت المعركة أن قوات الحرس الثورى يمكنها بعض النجاحات إذا أختارت الأرض المناسبة ، وأن العراق تعرضت لخسائر بشرية تعادل الخسائر الإيرانية فى هذه العملية .

وفى الوقت الذى أثبتت فيه العملية « فى الفجر ــ ٣ » أنه فى الوقت الذى بدأت فيه إيران تغيير تكتيكاتها فى إستخدام الموجات البشرية فى الهجوم فانها لم تتمكن من التغلب على المشكلات الرئيسية التى واجهتها فى تطوير أى نجاح إبتدائى إلا إذا أرتكب القادة العراقيون أخطاءا خطيرة . لقد حاولت إيران تجنب شن الهجوم بحشود بشرية ضد مواقع دفاعية جيدة التجهيز . وتحولت إلى شن الهجوم بمجموعات صغيرة ضد عدد مختلف من الثغرات على طول

الحدود . ولكن إيران أفتقرت إلى القوة وقدرات القيادة والسيطرة الأمر الذى لم يمكنها إلا من شن هجوم رئيسى واحد فى الوقت الواحد ، كما أن تطور الهجوم الإيرانى كان بطيئا . وكان معنى ذلك إعطاء العراقيين وقتا كافيا لتحريك الإحتياطيات وشن هجمات مضادة قوية ، بل أنه حتى فى حالة تحقيق القوات الإيرانية نجاحا فى المراحل الأولى للهجوم فإنها لم تتمكن من أستغلال النجاح ضد مواقع دفاعية مجهزة . وأصبح لدى العراق مثل هذه المواقع المجهزة جيدا فى مناطق إستراتيجية حيوية .

وواجهت إيران مشاكل متزايدة فى تجهيز قواتها بالمعدات والأسلحة لدى إيران الآن حوالى ٣٠٠ ٠٠٠ جندى نظامى بما فى ذلك المجندون والأحتياط . وكان لديها نفس العدد فى قوات الحرس الثورى . وشكلت هذه القوات فى ثلاث فيالق بها حوالى ٢١ فرقة : ١٢ وحدة مدرعة أو ميكانيكية وعدد من الوحدات الخاصة الإبرار الجوى ـــ الوحدة بحجم لواء . أما الجيش فكان به ثمانى فرق .

ولم تتوفر معلومات دقيقة عن حجم الأسلحة والمعدات الإيرانية ولكن يبدو أنها كانت تمتلك ما يقرب من ألف دبابة رئيسية (حوالى ٣٤٠ دبابة سوفيتية وكورية شمالية من طراز ت ـــ٥٤ ، ت ـــ٥٥ ، ت ٧٢ ، وحوالى ٢٠٠ دبابة شتيفتين وحتى ٣٠٠ دبابة م ٤٧ / ٤٨ / ٦٠ . وكانت لدى إيران رقم يتراوح بين ٥٠٠ ، ١٠٠٠ مركبة مدرعة مختلفة الأنواع من بينها أعداد متزايدة من مركبة القتال المدرعة السوفيتية ب م ب . وكان لديها حوالى ألف قطعة مدفعية رئيسية . وحتى طبقا لمستويات التسليح بالمنطقة كانت هذه المعدات تمثل ثلث المعدات اللازمة لتسليح قوات حجمها ٦٠٠ ٠٠٠ جندى . ورغم أن إيران بدأت تتلقى أسلحة ومعدات من كوريا الشمالية ، كما أنها أستولت على أعداد لا بأس بها من الأسلحة والمعدات العراقية إلا أن خسائرها فى المعدات كانت مرتفعة مثلها فى ذلك مثل خسائرها فى القوة البشرية . كما أستمرت القوات البرية الإيرانية تعانى من نظام الإمداد بالإحتياجات والتأمين الإدارى ، ومن ضعف المعاونة الجوية ، ونقصا فى المدفعية ذاتية الحركة الأمر الذى أثر على قدراتها فى أستغلال النجاح وتطويره .

وعلى العكس من ذلك كانت العراق لديها قوات بحجم حوالى ٥٧٥ ٠٠٠ جندى أى ما يعادل تقريبا حجم القوات الإيرانية . وكان الجيش العراقى مكونا من أربع فيالق أساسية (حوالى ١٥ فرقة من بينها ٦ فرق مدرعة ، ٤ فرق ميكانيكية ، ٦ فرق جبلية ومشاة) وقامت العراق

بتطوير قوات الحرس الجمهورى إبتداء من أوائل عام ١٩٨١ فزادت قوته بحوالى ١٥ لواء إضافى ، كما حسنت من كفاءة قوات الجيش الشعبى الذى أصبحت ١٥ لواء . وكانت لدى العراق حوالى ٢٥٠٠ دبابة قتال رئيسية ، ٣٠٠٠ مركبة قتال مدرعة من بينها عدد كبير ب م ب ، وحوالى ١٥٠٠ قطعة مدفعية . كما أستمرت العراق تتلقى إمدادات مستمرة من الأسلحة والذخائر . وزودت قواتها بحجم كبير من قطع الدفعية المضادة للطائرات لتوفير كثافة نيران عالية ضد المشاة الإيرانية ، ونشرت عددا كبيرا من الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات الغربية هوت وميلان ، وأستمرت فى نشر قواعد صواريخ موجهة مضادة للطائرات سوفيتية وغربية حول القواعد .

وتميزت القوات العراقية بامتلاك قاعدة عريضة من مراكز التدريب والمنشأت التعليمية العسكرية . وتميزت العراق بتطوير دفاعاتها الثابتة وكانت قادرة على إنشاء مناطق إدارية مجهزة هندسيا فى كل مكان من الجبهة .

ويبدو أن الخومينى ومن حوله لم يتفهموا هذا الأتجاهات فى حسابات التوازن أو الأهتمام بها بفرض فهم ذلك . ورغم فشل إيران فى تحقيق أى هدف رئيسى للعلمليات فإنها عادة ما تمكنت من الإستيلاء على بعض الأراضى ، وكانت القوات الإيرانية خلال ذلك تبدو على وشك النجاح فى الأختراق حتى فى أسوأ المواقف التكتيكية . ورغم أن القوات العراقية أظهرت أنها ذات معنويات مرتفعة وأستمر ولاء الشيعة للعراق إلا أن القيادة الإيرانية كانت تعتقد أنها قادرة على شن هجمات ناجحة بمشاتها وبحرسها الثورى على مستوى كبير وأن هذا الأسلوب قادر على تمزيق الدفاعات العراقية إعتمادا على سوء الموقف الإقتصادى العراقى والإنقسامات الداخلية وعدم القدرة على تحمل الخسائر .

وتسببت الخسائر الجسيمة التى تعرضت لها إيران فى الست أشهر الأولى من عام ١٩٨٣ فى أن يأمر الخومينى رجال الملا والمندوبين الدينيين بعدم التدخل فى العمليات على الجبهة . وحاول الخومينى فى الكثير من أحاديثه أن يطمئن الجيش النظامى الإيرانى أنه يحظى بنفس الأهتمام مثله فى ذلك مثل قوات الحرس الثورى . وأستمر قادة الحرس الثورى الإيرانى فى تضخيم نقط الضعف العراقية تماما كما فعل صدام حسين فى بداية الحرب حينما بالغ فى نقاط ضعف إيران . كما أن قادة الحرس الثورى ورجال الدين كانوا من القوة والتأثير بحيث منعوا تكوين قيادة عامة قوية للقوات المسلحة وركزوا على الدافع الدينى للحرب بديلا للإستراتيجية والتكتيك .

الحرب فى الخليج تستمر :

كان للعملية « فى الفجر ــ٣ » أثر إستراتيجى رئيسى اخر على الحرب . فالظروف التى كادت أن تؤدى إلى وقف إطلاق النار فى الخليج منذ أواخر ١٩٨٠ أختفت . فلقد قرر قادة العراق توسيع نطاق الحرب بمهاجمة السفن والناقلات وعرقلة الملاحة فى الخليج من وإلى إيران . وكان العراقيون يريدون بذلك تحقيق أهداف أقتنعوا بها وأدت إلى ما أطلق عليه الخبراء « حرب الناقلات » . فلقد أعتقد القادة العراقيون أن إيران تواجه مشاكل وصعوبات فى تمويل إستيراد الأسلحة والمواد التموينية اللازمة للشعب الإيرانى . وعليه فيضرب الناقلات والمنشأت البترولية بدت لهم أنها ضربة قاصمة للأقتصاد الإيرانى فى الصميم دون المخاطرة باحتمال رد فعل إيران بقصف المدن العراقية . كما أن العراق أعتقدت أنها أقل تعرضا للهجمات الإيرانية على المنشأت البترولية العراقية . ولقد حاولت كل من العراق وإيران أن تصدر بترولها عبر تركيا بعد نشوب الحرب بفترة وجيزة ، وفكرت العراق جديا أن تربط نفسها بخط أنابيب البترول السعودى الممتد إلى ميناء ينبع على شاطىء البحر الأحمر وأن تمد خط أنابيب بترول عبر الإردن إلى معمل تكرير البترول فى عمان للوصول إلى ميناء العقبة الأردنى . ولم تجد إيران الأموال اللازمة لمد خط أنابيب جديد عبر تركيا فى حين تمكنت العراق فيما بعد فى تطوير سعة خط الأنابيب القائم لتصدير مليون برميل يومياً . ووقعت تركيا والعراق أتفاقا لهذا التطوير فى فبراير ١٩٨٣ على أن يكتمل التطوير عام ١٩٨٤ . كما نجحت العراق فى الحصول على موافقة المملكة العربية السعودية فى مرور مليون برميل يوميا عبر خط الأنابيب السعودى وفشل إنشاء خط أنابيب عبر الأردن بسبب رفض الولايات المتحدة ضمان عدم تعرض أسرائيل لهذا الخط . وعليه فلقد كان فى مقدور العراق أن تضع خططها على أساس أنها قادرة على تصدير بترول يساوى ما تصدره إيران فى السنوات التالية القليلة العدد . وفى النهاية أدركت العراق أنها لن تنجح فى الحصول على تأييد دولى لتحقيق السلام دون التوسع فى الحرب . وبدأ بعض المسئولين العراقيين يتهمون علنا القوى العظمى بتشجيع الحرب لأضعاف كل من العراق وإيران فى وقت واحد ، ولكن يبدو أن كلا قادة الدولتين كانت لهما أهداف أخرى يحلمون بها . فالتوسع فى الحرب يعنى إدخال دول الخليج الجنوبية والدول الأوربية المستوردة للبترول فى نطاق الحرب . وكان واضحا كذلك أن رد الفعل الإيرانى سيكون عنيفا وأنها ستلجأ إلى الأرهاب . وثبتت وجهة النظر العراقية وأن حسابات صدام حسين كانت صحيحة وهى عدم قدرة إيران على التعامل مع الدول الأخرى .

التهديد الإيرانى بتهديد الملاحة البترولية :

هدد طارق عزيز فى أول يوليو أن العراق ستهاجم الأهداف الأقتصادية فى إيران إذا لم تتوقف الأخيرة عن الهجوم على العراق . ولقد جاء هذا التهديد بعد التهديدات العديدة بأن العراق ستستخدم أسلحة جديدة فى حرب البترول ، ولكن التهديد الجديد كان جادا ، فلقد حصلت العراق على الصواريخ جو/سطح الفرنسية أكسوزيت ولكنها كانت قادرة على إطلاقها من الهليكوبترات ذات المدى المحدود فقط وهذا معناه عدم القدرة على مهاجمة أى أهداف شرق بندر الخومينى . كما لم تتوفر للعراق وسائل الحمل لأطلاقها ضد الأهداف البحرية أبعد من الموانى الإيرانية . وفى يناير ١٩٨٣ وافقت فرنسا على إمداد العراق بطائرات سوبر انتنذارد . ورغم أن مدى هذه الطائرات كان حوالى ٣٦٠ ــ ٣٨٠ ميل بحرى ولا يمكنها الوصول إلى أهداف بحرية فى جنوب الخليج إلا أنها حققت للعراق القدرة على تهديد صادرات البترول بمهاجمة ناقلات البترول فى المياه القريبة من المنشأت البترولية الإيرانية فى جزيرة خرج . وأعلنت العراق فى ١٢ أغسطس ١٩٨٣ منطقة محرمة ، ثم حذرت السفن الأجنبية من دخول المياة الأقليمية الإيرانية فى شمال الخليج بما فى ذلك المياة حول جزيرة خرج . التى كانت يصدر منها إيران ٢ مليون برميل فى اليوم . فاضطرت إيران إلى الإعلان بأنها ستحمى السفن الأجنبية وأنها ستخصص سفن حراسة لها ، وأنها ستضع سفن حربية مسلحة بصواريخ سطح / سطح عند خرج .

وفى بداية الأمر لم تقم العراق إلا بأعمال قليلة فى مهاجمة السفن ، ثم أعلنت عن قيامها بغارات مكثفة على جزيرة خرج لتخيف السفن الأجنبية من الذهاب إلى الميناء لشحن البترول . ومع ذلك لم يؤثر ذلك على القادة الإيرانيين ولا على معظم أساطيل الناقلات الدولية ، وحاولت إيران الضغط على فرنسا لعدم تسليم الطائرات الجديدة للعراق .

التهديدات والتصاعدات :

أستلمت العراق الطائرات سوبرانتندارد الفرنسية فى أواخر سبتمبر ١٩٨٣ رغم الأحتجاجات الإيرانية ، وأكدت العراق وصول الطائرات فى ٩ أكتوبر . وكما كان متوقعا فى إستخدام الطائرات الفرنسية الجديدة غير بدل تصرفات إيران لصالح العراق . وبدأت العراق فى الأستخدام الفعلى لهذه الطائرات فى مارس ١٩٨٤ . ولم تتمكن من أحداث التدمير الكافى فى ناقلات البترول بما يقنع الإيرانيين بجدية التهديد العراق . فالواقع أنه منذ

تلقى العراق للطائرات إلى أن بدأت العراق فى الأستخدام المكثف للصواريخ والغازات الحربية لم تستخدم العراق قوات كافية فى كل عملياتها لتحويل هذه العمليات من سمة عمليات الإزعاج إلى تأثير إستراتيجى مؤثر . هذا بالإضافة إلى أن صدام حسين وفادته أخطأوا فى إستخدام السلاح الجديد والتكنولوجيا الجديدة بما يجعل عدوهم يواجه قوة مؤثرة جديدة تجبره على قبول وقف إطلاق النار . كما أن العراق أهملت أو لم تفهم التصميم الإيرانى على إستمرار القتال بعنف ، ففشل التصعيد المحدود للعمليات ورد الفعل المتدرج فى تحقيق الهدف . بل إن إيران رأت فى التصعيد المتدرج الذى بدأته العراق ضعفا منها وليس قوة ، وعليه أختفى تأثير السلاح الجديد بسرعة خاصة بعد أن تمت الهجمات بأعداد محدودة من الطائرات وكانت النتائج محدودة جدا .

ومع ذلك كانت العراق مصيبة فى اعتقادها أن حرب الناقلات ستجر دول الخليج الجنوبية والقوى العظمى إلى دائرة الحرب . كما أنها كانت مصيبة فى تصعيد حرب الناقلات رغم الاحتجاجات الشكلية من قبل الأتحاد السوفيتى والغرب . وفى الوقت الذى ظلت فيه اسعار البترول مرتفعة نسبيا فإن إنتاج البترول زاد عن الطلب . كما أن إيران أغضبت الأتحاد السوفيتى وكانت لدى الدول العربية الهامة مصالح إستراتيجية ومالية فى الوقوف خلف العراق . وكانت الولايات المتحدة الأمريكية تخشى أنتصار إيران وتأثير ذلك على الأستقرار فى منطقة الخليج أكثر من خوفها من تأثير العراق على سريان البترول ، كما أن إيران كانت مكروهة جدا داخل الدوائر الرسمية الأمريكية .

وكان لفرنسا مصالح إستراتيجية فى إستمرار النظام العلمانى العراقى بالإضافة إلى مصالح إقتصادية هامة ، فلقد وصلت مبيعات السلاح الفرنسى للعراق إلى ٥,٦ مليار دولار منذ سبتمبر ١٩٨٠ بالإضافة إلى ٤,٧ مليار دولار مبيعات مدنية وعقود تجارية . وتضمنت هذه العقود ٧ مليار قروض فرنسية للعراق على الأقل ، وكان من غير الممكن أن تضحى فرنسا بهذه المصالح ولذلك وقفت إلى جانب العراق .

ولم يكن فى مقدور إيران أن تعمل على توسيع مجال الحرب فتجر إليها دول جنوب الخليج وأن تغلق مضيق هرمز . ولكن رافسا نجانى تمادى فى رد الفعل باستخدام الصواريخ الموجهة المضادة للسفن والمدافع ١٢٠ مم المنصوبة فى الجزر الإيرانية ، والألغام فى أغراق السفن . ودفعت إيران مجموعات صغيرة من الحرس الثورى والفدائيين إلى الجزر الموجودة

فى المضيق ، كما زادت من حجم مدفعيتها ووسائل الدفاع الجوى فى جزر طنب الكبرى والصغرى وغيرها من الجزر .

وردت الولايات المتحدة الأمريكية بتدعيم قواتها البحرية فى الخليج وحذرت من أن واشنطن لن تسمح لإيران باغلاق الخليج . ووافقت فرنسا على الاسراع فى تسليم عقود التسليح للعراق كما زاد الأتحاد السوفيتى من دعمه للعراق .

وأقتنع المخططون الأمريكيون أنهم قادرون على إحباط الجهود الإيرانية لقفل الخليج أو إيقاف سريان البترول فى أيام قليلة . ولقد بنى المخططون الأمريكيون رأيهم هذا على أساس أربع عوامل رئيسية :

- إيران تمتلك قوة جوية صغيرة عاملة .
- معظم الصواريخ المضادة للطائرات والمضادة للسفن الأمريكية الموجودة لدى إيران أصبحت ذات قدرات محدودة .
- يمكن بسهولة وبسرعة إسكات المدفعية الإيرانية القريبة من المضيق .
- المضيق واسع وعميق وبه تيارات قوية ويصعب إغلاقه .

ولكن ما أثبته الواقع بعد ذلك أتضح أن هذه الحسابات الأمريكية لم تضع فى الأعتبار الصواريخ التى تم حصول إيران عليها من دول مختلفة ومدى تعرض الملاحة فى الخليج على نطاق واسع لحرب الألغام والهجمات المضادة للسفن .

العملية « فى الفجر ــ ٤ » :

أثبتت إيران بسرعة أنها لا تنوى التوقف عن هجماتها البرية ردا على حرب الناقلات . وفى منتصف سبتمبر عبرت القوات الإيرانية منطقة ماريفا وشنت هجومها الرابع لعام ١٩٨٣ بالقرب من بانجوين فى ١٩ أكتوبر . وحدث هذا الهجوم فى الجزء الإيرانى من كردستان شرق سليمانية وعلى مواجهة ١٣٠ كم مواجهة بين ماريفان وسارداهست . وقام بالهجوم ٢ ــ٣ فرق إيرانية (بعض قوات العراقية تقول الفرقتين المدرعتين ١٢ ، ٢٤ وبعض عناصر من الحرس الثورى) بالإضافة إلى قوات كردية (تابعة لحزب الأكراد الديمقراطى) ومجموعات أخرى مضادة للعراق .

وكان الهجوم يهدف ممرين جبلين تستخدمها القوات العراقية لامداد الاكرادالمعادية

لإيران ، والمواقع العراقية فى وادى بانجوين والحاميات العراقية فى مدن بانجوين وجارماك وكردستان العراقية . وكانت هذه المواقع تبعد ١٤٤ كم من حقول البترول فى كركوك . ٤٥ كم من السليمانية . وأدعت إيران أنها هدفت لابعاد مدنها ثانية وماريثان عن مدى المدفعية العراقية . وأنها توجه ضربتها ضد إعداء الثورة المؤيدين للعراق وهم الأكراد الإيرانيين .-وأعلنت العراق أن الهجمات كانت موجهة لحقول كركوك ولعزل المناطق الكردية . ووجهت العراق ضربات صاروخية جديدة ضد المدن الإيرانية فى الجنوب (ديزفول ومسجد وبندر خومينى) ، ويبدو أن العراق أستخدمت أيضا الغازات السامة فى ١٢ أكتوبر ، ٢٥ أكتوبر بواسطة الهليكوبترات مى ـــ٨ والمقاتلات السوفيتية لالقاء القنابل وإن كانت هذه المعلومات لم تؤكد .

وقامت القوات الإيرانية كعادتها بالتسلل داخل المواقع الإمامية العراقية وهاجمتها ليلا . وفى هذه المرة شنت إيران أكثر من ١٢ هجوما اساسيا وثانويا على مواجهة كافية لمنع القوات العراقية من سرعة تكثيف دفاعاتها ، وأستغلت طبيعة الأرض الجبلية وأستغلت مشاتها لشن هجماتها ضد أهداف مختارة . وأظهر النجاح الإبتدائى الإيرانى أن الإستخدام السليم للمتطوعين لمهاجمة مواقع الرشاشات أو السير عبر حقول الألغام أسلوب عسكرى صحيح إذا كان موجها ضد أهداف عملية منتقاة ومن الممكن الإستيلاء عليها . وفى الوقت الذى شنت فيه القوات العراقية هجومها المضاد وقامت الطائرات بحوالى ١٢٢ طلعة بواسطة القاذفات المقاتلة والهليكوبترات المسلحة فى اليوم لم تنجح فى إيقاف التقدم الإيرانى ونجحت إيران فى إستخدام الموجات البشرية للتقدم بثبات فى وادى بانجوين لمسافة ١٥ كم فى الفترة من ١٩ أكتوبر وأستولت على خمس معسكرات للاكراد .

وقامت القوات الإيرانية بشن موجة ثانية من الهجمات فى ٢٥ أكتوبر وأجبرت القوات العراقية على الأرتداد إلى مواقع خارج بانجوين . وبحلول ٣١ أكتوبر كانت القوات الإيرانية قد نجحت فى إعادة الإستيلاء على حوالى ١١٠ كيلو متر مربع من الأراضى الإيرانية . وزعمت إيران أنها دمرت عناصر كثيرة من اللواء ٤٩ المدرع العراق وعناصر أخرى من الفليق الأول ، وزعمت أنها قتلت ٢٥٠٠ عراقى فى حين زعمت العراق أنها قتلت ٥٠٠٠ جندى إيرانى .

وفى الرابع من نوفمبر شنت إيران ثالث موجة هجومية ونجحت فى التسلل داخل الجبال

والتلال المشرفة على بانجوين وحاولت الإستيلاء على المدينة . وكانت العراق قد بادرت بدفع تعزيزات إلى المنطقة وفتحت بعض عناصر قوات الحرس الجمهورى إلى بانجوين . وتكبدت القوات الإيرانية خسائر جسيمة عندما حاولت الإستيلاء على المدينة وتوقف القتال بحلول التاسع من نوفمبر . ولكن إيران شنت هجوما جديدا للمحافظة على مكاسبها فى الجبال على الجانب العراقى من الحدود فى ١٩ نوفمبر ، وتمكن الفليق الأول العراقى من أحتلال وتجهيز مواقع دفاعية جديدة .

ويمكن القول بإن إيران فشلت مرة أخرى فى تطوير نجاحها الإبتدائى . فبدلا من الأستمرار فى التسلل والتقدم على مواجهة واسعة وإرهاق القوات العراقية بسلسلة من الضربات المحسوبة حاولت القوات الإيرانية إختراق دفاعات مجهزة حصينة . وكان من نتيجة ذلك تكبد القوات الإيرانية لخسائر جسيمة . ويبدو أن القوات العراقية أستخدمت غازات الحرب فى هذه العملية للمعاونة فى صد بعض الهجمات الإيرانية ويبدو أن العراقيين نجحوا فى إستخدام هذه الغازات أكثر من أى محاولات سابقة . وأعلنت إيران أنها خسرت عدة آلاف بسبب هذه الغازات السامة .

وبنهاية نوفمبر كانت الحصيلة النهائية لأكثر من شهر من القتال هى نجاح إيران فى تحقيق إختراق لعمق ٢٠ ــ ٢٥ كم داخل الجبال العراقية وأستولت على مساحة ١٣٠ ــ ٢٠٠ كيلو متر مربع من الأراضى العراقية ، ووصلت القوات العراقية إلى مسافة ٢ كم من بانجوين وحققت السيطرة على نتوء شيليرى . وبذلك أصبحت القوات الإيرانية على مسافة ١٢٠ ــ ١٣٠ كم من خط أنابيب البترول العراقى المار بتركيا والذى يبدأ من مدينة كركوك . كما أن القوات الإيرانية نجحت فى تدمير حوالى ٤٠٠ دبابة وعربة مدرعة ، ٢٠ قطعة مدفعية ، ٢٠ مدفع مضاد للطائرات وبعض بطاريات الصواريخ المضادة للطائرات ، وكميات كبيرة من الذخائر وحوالى ٣٣٠٠٠ مكتشف الغام وأسرت ١٨٠٠ عراقى . ومع ذلك لم يحقق الهجوم هزيمة رئيسية للقوات العراقية . فالمكاسب الإيرانية لم تحقق قاعدة لهجوم تالى أو إختراق ناجح وإن كانت قد نجحت فى إخماد أعمال قوات الأكراد الإيرانيين ومنعهم من القيام بأى عمليات عسكرية فى الجزء الكردى من إيران . كما أظهرت هذه المعارك عدم قدرة إيران على مواجهة التفوق العراقى فى المدرعات والقوات الجوية خاصة إذا ما وصلت إلى عمق كبير بعيدا عن نقطة البداية ، كما أن إيران خسرت كميات كبيرة من المعدات .

وعموما لم يكن عام ١٩٨٣ عاما جيدا بالنسبة لايران . ودفعت إيران فى هجماتها ثمنا باهظا من قوتها البشرية إذ خسرت حوالى ١٨٠٠٠ جندى فى مقابل ٦٥٠٠ جندى عراقى كقتلى وأضعاف هذه الأرقام جرحى ، ووقوع حوالى ٨٠٠٠ إيرانى فى الأسر فى مقابل ٥٠٠٠ أسير عراقى . كما شهدت هذه المعارك أول أستخدام للغازات بكثافة .

كما أن الهجوم الإيرانى فشل فى أمرين حيويين فإيران لم تحشد من القوات ما يحقق لها التفوق اللازم لنجاح الهجوم ، كما أن إيران منحت العراق الوقت لتتمكن من حشد قواتها فى المكان المناسب .

نعم أن شن الهجمات على مواجهة واسعة خلق صعوبات كثيرة للجانب العراقى فى شن هجماته المضادة ، ولكنها كانت صعوبات أقل بكثير لو تم تركيز الهجوم فى قطاع إختراق محدود بحيث يمكن تتابع الهجمات بقوة وعنف .

كما أن سوء سلسلة الإمداد بالإحتياجات للقوات الإيرانية كان له أثار سلبية على سير العمليات .

وفى المقابل تميزت العراق بتطوير وتحصين دفاعاتها خلال عام ١٩٨٣ وتحسن أسلوب شن الهجمات المضادة العراقية بصورة مطردة من حيث القدرة فى إعادة التجميع وحسن أختيار وقت الهجمة المضادة . ومع ذلك عاب أداء القوات العراقية المبالغة فى الحرص ونادرا ما أستغلوا أخطاء القوات الإيرانية فى شن هجمات مضادة رئيسية أو أستغلال نجاح هذه الهجمات المضادة .

وتميزت العراق على إيران فى حسن تنظيم مراكز القيادة والسيطرة ، وكانت قواتها أكثر خفة حركة وثبات بالمقارنة بالقوات الإيرانية .

ومع ذلك لم تستغل القيادة العراقية قواتها الجوية كما يجب أو ضرباتها الصاروخية . ولم تحسن أختيار الأهداف . وعندما شنت إيران موجات هجومية جديدة فى أكتوبر ردت العراق بتلغيم بندر خومينى وقصف ديزفول ومسجد سليمان وبهبهان بالصواريخ سكود ب (أرض / أرض) . ولم تخفف إيران من هجماتها وإنما حاولت الرد بالمثل . وعندما دفعت العراق قوات الحرس الجمهورى المميزة فى معركة بانجوين فى الخامس من نوفمبر ١٩٨٣ قامت المدفعية الإيرانية بقصف المدنيين فى البصرة فى اليوم التالى .

عُمليات فى الفجر ــ ٥ ، ٦ وخيبر
(هجوم عام ١٩٨٤)

حاولت إيران تصحيح واحد من أخفاقاتها فى تكتيكات الهجوم عندما شنت عددا من الهجمات فى أوائل عام ١٩٨٤ . فلقد تحولت من التركيز على أستخدام طبيعة الأرض وشن الهجوم على مواجهة واسعة فى الشمال إلى هجمات مركبة فى الأجزاء المركزية والجنوبية من الجبهة . ففى فبراير ١٩٨٤ شنت إيران أربع هجمات مركبة ضد العراق . فبدلا من محور واحد للتقدم فإن هذه الهجمات خلقت مشكلة خطيرة للعراق فى تركيز وحشد قواتها كما حدث فى الهجمات الإيرانية السابقة .

وكان الهجوم الإيرانى الإول محدودا بواسطة قوات من الأكراد فى ١٢ فبراير فى منطقة بالقرب من نوديشيه . ورغم النجاح المحدود الذى حققه الهجوم إلا أنه تمكن من تثبيت حجم ليس بصغير من القوات العراقية بثمن بخس . كما أنه أثبت أن الميزان الكردى تغير وأن الأكراد المؤيدون لإيران تحولوا للهجوم إلى أن تم إيقاف إطلاق النار عام ١٩٨٨ ، وأن الأكراد الموالين للعراق فقدوا كل قدراتهم فى العمل داخل إيران بعد أن فقدوا ٢٧٠٠٠ قتيل ولم يبق منهم إلا عدد قليل يعمل مع القوات العراقية فى الشمال .

أما الثلاث هجمات الرئيسية فلقد تمت فى الجنوب ، فلقد حشدت إيران حوالى ٢٥٠ إلى ٣٥٠ ألف جندى (حوالى ٢٥ ــ ٣٣ فرقة ولواء) . وتم فتح هذه القوات على جبهة واسعة تغطى دهلوران ، ومهران ، وسنجات الهويس . وأعطى هذا الوضع لشن هجماتها فى عدة مناطق أو نقاط كثيرة على طول طريق بغداد ــ البصرة أو عزل البصرة عن الشمال .

وبدأت إيران بشن هجومين محدودين لجذب الأنتباه بعيدا عن الهجوم الرئيسى الذى أعطى الأسم الرمزى « العملية خيبر » . وأطلق على الهجومين الثانويين « فى الفجر ــ ٥ » و « فى الفجر ــ٦ » . وبدأ الهجوم الثانوى الأول على مواجهة ٥٠ كم بين ديهلوران ومهران وشرق القط . وتم شن هذا الهجوم من مواقع بالقرب من مهران ليلة ١٥ / ١٦ فبراير (العملية فى الفجر ٥) .

وتم هذا الهجوم (فى الفجر ــ٥) ضد مواقع الفيلق الثانى العراقى والذى كان يتكون من ٩ فرق (حوالى ١٠٠ ٠٠٠ جندى) ، وكان الهدف من الهجوم إما قطع طريق البصرة بغداد أو الهجوم على يعقوبة وهو طريق هام من طهران إلى بغداد . وكانت يعقوبة مثلها مثل البصرة مجهزة دفاعيا ومحصنة بكثافة ويحيط بها ساتر ترابى وبها ملاجىء للقوات وبها مرابض مدفعية كثيرة للضرب المباشر ومستودعات للأمداد فى المؤخرة . وتكونت القوات الإيرانية المهاجمة من الحرس الثورى فى معظمها .

أما الهجوم الثانى « فى الفجر ــ ٦) فبدأ بالقرب من ديهلوران فى ٢١ فبراير على المرتفعات التى يدافع عنها القوات العراقية بالقرب من طريق البصرة ــ بغداد عند على الغربى .

ولم تحقق كلا العمليتان « فى الفجر ٥ » ، « فى الفجرــ ٦ » سوى نتائج محدودة ولكن كان الهدف الرئيسى منهما هو أجبار القيادة العراقية على إعادة تجميع القوات فى هذين القطاعين على حساب القطاع الجنوبى .

أما الهجوم الرابع الإيرانى فأطلق عليه كما قلنا سابقا « العملية خيبر » وكان له أهداف أهم من العمليتين السابقتين إذ هدفت القوات الإيرانية إلى تحقيق مفاجأة إستراتيجية رئيسية وذلك من خور الهاديس (المستنقعات) التى تعتبر مانعا طبيعيا على طول الحدود العراقية الإيرانية من الأمارة فى الشمال إلى نقطة شمال البصرة مباشرة فى الجنوب ، وشرق هذه المستنقعات فى الأراضى الإيرانية الأرض جافة لا توجد بها موانع مثل هذه المستنقعات . وتستمد هذه المستنقعات مياهها من نهرى دجلة وقارون وهى تبدأ شرق سوسانجرد مباشرة فى إيران شرقا وتمتد حتى الناصرية فى العراق غربا . والطريق الشرقى من البصرة إلى بغداد يمر فى منطقة جهزت صناعيا غرب نهر دجلة . وعرض هذه المنطقة ٢٠ كيلو متر ولكن أحيانا تبدو كما لو كانت محاطة بالمياه على جانبى الطريق . وعمق المياه فى هذه المستنقعات يتراوح بين متر وثلاثة أمتار فى فبراير وينمو فيها نباتات كثيفة يصل أرتفاعها إلى المترين .

ولقد وفرت هذه المستنقعات والأحراش مانعا رئيسيا ضد التقدم والتحرك الإيرانى ، ولكنها فى نفس الوقت غالبا ما لا يمكن للمدرعات والمدفعية العراقية عبورها . وحتى هذه اللحظة من الحرب أهتمت العراق بإغراق هذه المستنقعات بالمياه وخلق مانع مائى بدلا من إنشاء خطوط دفاعية حصينة متصلة لتأمين مؤخرة منطقة المستنقعات حيث لا يتوقع

حدوث هجوم إيرانى .

لقد أنشأت العراق خطوطها الدفاعية شرق طريق بصرة ـــ بغداد مباشرة ولذا كان فى مقدور القوات الإيرانية التقدم فى مواجهة مقاومة محددة ودون ما تعرض لنيران مدفعية عراقية مؤثرة أو هجمات مضادة مدرعة . ورغم أن المنطقة كان يسكنها بعض الأعراب (أطلقوا عليهم عرب المستنقعات) فان العراق لم تفعل كثيرا لتأمينها أو بث دوريات بها ، وإنما قامت فقط باستطلاع محدود لها ولم يكن لديها وسائل أستطلاع ومخابرات جيدة لتعرف ما يدور فى هذه المساحة . وفى النهاية كانت الدفاعات مقسمة بين الفليق الرابع العراقى الذى يغطى المنطقة شمال قرنة والفليق الثالث يغطى الجزء الجنوبى .

وقامت إيران بفتح قوة ضاربة بالقرب من المستنقعات قوامها ما يقرب من ١٥٠٠٠٠ جندى وخلفهم ١٠٠٠٠٠ أحتياطى يمكنه الفتح بسرعة . ورغم أن الهجوم الرئيسى الإيرانى لم يحدث حتى فبراير ٢٢ إلا أن إيران بدأت الأعمال التمهيدية قبل ذلك بفترة كافية . ففى ١٤ فبراير شنت إيران هجوما أستطلاعيا بالقرب من نهر أرفاند ، وفى ١٦ فبراير طورت هذا الهجوم ليكون أقتحاما بالهليكوبترات وبالقوارب (أطلقوا عليه هجوم فاطمة الزهراء » تمكنت به من إجتياح المستنقعات والإستيلاء على كل القوى بها وكان هذا الهجوم يهدف إلى قطع طريق البصرة ـــ بغداد . وقامت إيران بدفع ثلاث مجموعات إقتحام برمائية مستخدمة القوارب والسفن الصغيرة فى إتجاه بيداء وجزر مجنون والنقط القوية للفليق الثالث فى غزيل . وكان الهجوم على بيداء (قرية فى المستنقعات) ناجحا خاصة وأن القوات المدافعة عن القرية كانت قوات ضعيفة . وبمجرد الإستيلاء على القرية بدأت قوة الحرس الثورى التى أستولت عليها فى الحفر وتجهيز الدفاعات . وتم الإستيلاء على قريتين أخريتين لم تكن بها أى قوات عراقية (سنجة وأجراءه) . وتم ربط هاتين القريتين بمدق ترابى الأمر الذى سهل تقدم القوات الإيرانية نسبيا .

ويقال أن بعض المجموعات الإيرانية الصغيرة قد نجحت فعلا فى الوصول إلى طريق البصرة ـــ بغداد . ولقد توقف نجاح الهجوم الإيرانى على الإستيلاء على وتأمين رأس جسر بواسطة القوارب قبل شن القوات العراقية هجوما مضادة بالدبابات والمدفعية . وأفتقرت قوات الحرس الثورى الإيرانى المهاجمة للمدفعية والأسلحة الحديثة المضادة للدبابات . ولم يحقق الهجومان الثانويان « فى الفجر ـــ ٥ » ، « فى الفجر ـــ٦ » الهدف المنشود وهو

جذب قوات الفليق الثالث ، كما أن القوات العراقية تمكنت من أعادة التجميع بسرعة . كما أن هذه القوات الإيرانية أفتقرت إلى الأسلحة الثقيلة التى تمكنها من تنظيم دفاعات قوية ، وأصبحت القوارب والسفن الصغيرة الإيرانية هدفا سهلا للهليكوبترات المسلحة العراقية ، وبحلول ٢٥ فبراير تمكن العراقيون من شن ثلاث هجمات مضادة وأكتسحت القوات الإيرانية وكان القتال مروعا فلقد داست الدبابات العراقية المشاة الإيرانيين وقتل العراقيون الكثير من القوات الإيرانية بصعقهم بالكهرباء وذلك بتحويل بعض خطوط الضغط العالى وتوصيلها بمياه المستنقعات . وأذاع التليفزيون العراقى مشاهد مخيفة للقتلى الإيرانيين بالمستنقعات .

أما الهجوم الإيرانى على الجزيل فلقد كان هجوما برمائيا وتم ليلا وتمكن من إقتحام بعض المواقع العراقية قبل أن يتمكنوا من تنظيمها ، وحقق الهجوم بعض النجاحات الإبتدائية ولكن كانت المنطقة مجهزة هندسيا تجهيزا جيدا وتمتلك القوات العراقية بها قوة نيران متفوقة . وفى ٢٣ فبراير أعلنت إيران أنها أستولت على قرنة فى تقاطع دجلة والفرات ولكن التليفزيون العراقى كذب ذلك وأعلن أن عددا كبيرا من القوات الإيرانية قد قتل أثناء العبور وأمام المواقع الأمامية .

بعد أن حققت القوات الإيرانية نجاحات محدودة ونجحت العراق فى صد الهجوم تحول القتال إلى معركة أستنزاف موجه من الحرس الثورى خلف موجة تتقدم فى محاولة يائسة للتغلب على النيران العراقية المتفوقة وقوات الحرس مكشوفة تماما فى العراء . وتمكنت قوة النيران العراقية من إحداث خسائر جسيمة فى القوات الإيرانية ، كما أن الهليكوبترات العراقية المسلحة لعبت دورا كبيرا فى قتل العديد من تجمعات المشاة الإيرانية وسط المستنقعات . كما أن العراق أغرقت المنطقة بالمياه لتزيد من صعوبة تحرك المشاة الإيرانية . ولم تنجح القوات الإيرانية فى زيادة سرعة تقدمها لمنع القوات العراقية من دعم المواقع أثناء الهجوم وفيما بين الموجات .

وأصبحت المنطقة منطقة قتل للمشاة الإيرانية ووصلت إلى أقصى مستوى لها فى فبراير ٢٩ عندما قامت قوة إيرانية قوامها ٢٠٠٠٠ رجل بالتقدم فى أرض مكشوفة نهارا لمهاجمة مواقع عراقية تمكنت من حشد نيران أمامية وجانبية على هذه القوة . وبحلول أول مارس كانت إيران قد أستنفدت كل طاقاتها لمتابعة الهجوم ، وفى اليوم التالى قامت القوات العراقية

بشن هجوم مضاد قوى ضد القوات الإيرانية التى أنقطعت عنها كل الأمدادات وكانت فى أرض مكشوفة ملحية جافة وفقدت إيران أكثر من ٢٠٠٠٠ قتيل .

وكان النجاح الوحيد للعملية خيبر هو أن القوات الإيرانية أثناء عبورها المستنقعات أكتشفت حقل بترول عراقى يسمى جزر مجنون غير مؤمنة أو مدافع عنها .

وتتكون هذه الجزر من شبكتين طرق ترابية شرق قرنة كانت قد أنشأتها العراق بهدف تطوير حقل بترول رئيسى قالت بعض المصادر أن به بضعة مليارات برميل من البترول وأنه يحتوى على حوالى ٢٠٪ من أحتياطى البترول العراقى وكانت بالمنطقة أكثر من ٥٠ بئر منتجة أغلقتها العراق قبل الحرب مباشرة وكان الفليق الأول والفليق الثالث العراقيان مشغولان بالدفاع عن الدفاعات الرئيسية شرق طريق بغداد ـــ البصرة وبذلك تمكنت القوات الإيرانية من التخندق دون تدخل من القوات العراقية ، وأنشأت ملاجىء محصنة وبحلول ٢٥ فبراير دعمت إيران مواقعها بحوالى ٢٠٠٠٠ رجل ، وقام المهندسون الإيرانيون ببناء كوبرى عائم يصل بين المواقع والأراضى الإيرانية جنوب شرق حميد وبذلك تمكنت إيران من نقل وحدات مدفعية إلى هذه المواقع .

وكان على العراق أن تنتظر إلى أن تنتهى من تقوية وتدعيم دفاعات جنوب جزر مجنون وتحويلها إلى قلاع حصينة فى الحصار . وكانت مضطرة إلى التوسع فى إستخدام وسائل الأضاءة (دانات مدفعية ـــ طلقات إشارة مضيئة .... الخ) على طول المحيط الخارجى للمواقع ، وكهربة مياه المستنقعات من وقت لأخر بواسطة كوابل الضغط العالى لتمنع أى فرد من عبور المستنقعات . وأعلن رافسنجانى رئيس المجلس بأن العراق لديها الأن أحتياطيات بترول مؤكدة لإعادة اصلاح ما تم تدميره فى الحرب ، وكان يعنى بذلك أحتياطيات بترول جزر مجنون .

وخلاصة القول أن النتيجة النهائية للعملية خيبر أن إيران تكبدت خسائر من الجسامة ما أجبرها على التوقف عن شن أى هجوم رئيسى حتى مارس ١٩٨٥ وفقدت العراق ٦٠٠٠ قتيل ، ١٠٠٠٠ جريح . وتكبدت قوات الحرس الثورى الإيرانى ٢٠٠٠٠ قتيل ، ٣٠٠٠٠ جريح ، كما أن إيران فقد معدات وأسلحة أكثر بكثير مما فقدته العراق .

وعلى الرغم من ذلك أحتفظت ايران بقوات حجمها وصل إلى أكثر من ٣٠٠٠٠٠ رجل بالجبهة فى مواقع هجوم حتى أواخر الصيف فسمح لجزء من هذه القوات بالعودة إلى

بلادهم . كما قامت إيران باستبدال الكوبرى العائم (إلى مجنون) بطريق ترابى مرتفع طوله حوالى ١٦ كم أنتهت من أنشائه فى ٧ مايو . ولم يكن أمام العراق إلا أن تحاول تصحيح الأخطاء وتلافى نقاط الضعف فى دفاعاتها الأمامية وأن تدعم النقط القوية الحيوية حول المدن والأهداف الرئيسية .

آثار العملية خيبر :

على الرغم من وجود الكثير من التقارير والشائعات عن تقييم القيادة الإيرانية للعملية خيبر إلا أنه لا يوجد وضوح رؤية فى كيف قيمت نتائج هذه العملية . فلقد استمرت الأذاعات الإيرانية وخطب القيادات المختلفة تصر على أن الحرب لن تنتهى إلا إذا تم عزل صدام حسين ، ولكن ذلك لم يبين ما إذا كانت إيران قادرة على شن هجوم رئيسى جديد . ويبدو أن البعض بدأ يتساءل عما إذا كانت إيران يمكنها أن تنجح فى الحرب باتباع تكتيكات كلفت القوات الإيرانية خسائر جسيمة . ولم تنجح فى تحقيق الأختراق الكافى ليمكن تطويره إلى إختراق كامل وهزيمة للقوات العراقية وبدأت مناقشات حامية داخل مجلس الدفاع الأعلى الإيرانى لدراسة العديد من الأفكار أهمها :

- هجوم رئيسى عام ضد كركوك وخط أنابيب البترول العراقية فى الشمال وكانت المشكلة فى هذا الرأى هو أن القتال سيدور فى أرض جبلية وعرة توفر نظاما دفاعيا قويا ، كما أن القتال سيدور فى مناطق كردية وأحتمال مواجهة رد فعل اقتصادى وعسكرى تركى .
- الحل الثانى : الهجوم على بغداد عبر قصر شيرين أو مندلى ولكن لا تتوفر لايران لا المدرعات الكافية ولا القوات الجوية الكافية لتأمين هذا الهجوم ، كما أن القوات الإيرانية ستكون معرضة فى أراضى منبسطة مكشوفة وهى أرض قتل مثالية بالنسبة للقوات العراقية .
- الحل الثالث : محاولة تدعيم النجاح المحدود الذى حققته العملية خيبر وشن هجوم جديد عبر المستنقعات وبالإلتفاق حولها .
- الحل الرابع : هجوم بالمواجهة على البصرة والإستيلاء على معظم المناطق الشيعية العراقية وحرمان العراق من الأتصال بالخليج ولكن يعيب هذه الفكرة أنه هجوم مباشر ضد مناطق حصينة .

● الحل الأخير : تطويق البصرة من الجنوب بمهاجمة الفاو التى يدافع عنها بقوات ضعيفة وعزل العراق عن الكويت بالإستيلاء على ميناء أم قصر . وهذا الحل سيجبر دول الخليج العربية أن تتوقف عن دعم العراق خوفا من الغزو الإيرانى لاراضيها . وكان هذا الحل أكثر الحلول أحتمالا لتدخل الغرب فى الحرب .

ولقد أختار مجلس الدفاع الأعلى الإيرانى حل تكرار العملية خيبر . وفى الوقت نفسه بدأوا فى دراسة فكرة الإستيلاء على الفاو وأم قصر . وأدى ذلك إلى أعطاء الجيش وقوات الحرس الثورى الوقت للاستعداد وأعداد قواتهم وبذلك زاد أملهم فى تحقيق النجاح . ومع ذلك يبدو أن عدد كبيرا من قادة الحرب الإيرانيين فشلوا فى فهم أسباب الفشل والنجاح فى الصراعات الثورية السابقة مثل الصين وفيتنام . فعلى الرغم من وجود مستشارين كوريين شماليين فى الجيش الإيرانى لم يقتنع قادة الحرب الإيرانيين بما فعلته الصين الشعبية وفيتنام وهو التركيز على توفير الكوادر ذات الكفاءة وتوفير القيادة العسكرية الماهرة والقادرة ولديها الخبرة فى إدارة الأعمال القتالية .

ولقد ترجم القادة الإيرانيون نجاح الدفاع العراقى على أنه نجاح هامشى لدرجة أن أقل تغيير فى الحجم أو فى التصميم بالنسبة للقوات الإيرانية سوف يغير النتيجة . كما يبدو أنهم بالغوا فى نقاط ضعف العراق وعدم قدرتها على تحمل الخسائر والإستنزاف خاصة وأن إيران تكبدت خسائر تكاد تزيد ثلاثة مرات عما تكبدته العراق فى الرجال والمعدات ، وبالغوا فى عامل القوة البشرية العددية، نقطة التفوق الوحيدة لايران على العراق .

وفوق كل شىء يبدو أن القيادة العليا الإيرانية بما فيهم الخومينى أستمروا فى وضع الإيديولوجية فوق كل شىء بالنسبة لبناء وحجم وتسليح القوات المسلحة . فلقد ظهر إتجاه قوى خلق شعار الحرب الشعبية وأشاعته بين الجميع وأهمال الخبرة فى القتال فقاموا بترقية الكثيرين من رجال الحرس الثورى المنشأ حديثا عديمى الخبرة إلى أعلى الرتب العسكرية وعليه فلا زالت القيادة الإيرانية على إستعداد لدفع الآلاف من المتطوعين ورجال الحرس الثورى رأسا فى القتال معظمهم قادمون جدد من المدن والقرى ولم يتلقوا تدريبات كافية على أستخدام السلاح وفنون القتال . وقامت الدولة بتزويدهم بالقليل من الأسلحة والمعدات ولقنتهم فقط تعليمات وأوامر الإمام بأن يموتوا فى سبيل الثورة .

حرب الاستنزاف
ابريل ١٩٨٤ حتى ١٩٨٦

بداية حرب الاستنزاف :

كانت الخسائر الجسيمة التى تعرضت لها ايران فى العمليات سبباً فى ايقاف ايران شن أى هجوم رئيسى على العراق الى أن قامت بعملية الفاو ١٩٨٦ ، ولم تسع لشن هجوم عام شامل نهائى ضد العراق حتى حدثت معركة البصرة فى عام ١٩٨٧ . وخلال السنتين التاليتين بدأت ايران حرب استنزاف تخللتها بعض الأعمال القتالية الثانوية القليلة . وفى المقابل وسعت العراق نطاق حرب الناقلات فى محاولة لضرب الاقتصاد الايرانى . وفى نفس الوقت حاولت العراق استغلال الخوف من فكرة سقوط العراق والكويت فى ايدى ايران لتحصل على أكبر دعم خارجى ممكن .

وبدأت الحرب تخلق ضغطا متزايدا على كلا النظامين طول هذه الفترة وخاصة بسبب تزايد الخسائر والتكلفة . ومع ذلك فلقد اتضح أن كلا النظامين قادر على السيطرة على الموقف الداخلى . واستمر القتال البرى هو العامل الرئيسى الذى حدد وسيحدد مسار الحرب ، وهذا يعنى الى أى حد سيمكن لايران استغلال تفوقها فى القوة البشرية والروح الثورية وفى المقابل الى أى مدى ستتمكن العراق من استغلال تفوقها فى التسليح وقدرتها على استيراد المعدات والاسلحة بسهولة أكثر بكثير من ايران .

وعلى العموم فان العراق أخذت السبق . فلقد تمكنت ايران من استيراد معدات وأسلحة قيمتها ٣,٩ مليار دولار فى الفترة ما بين عام ١٩٨٤٣ وعام ١٩٨٥ ، فى حين استوردت العراق ما قيمته ١٨,١ مليار دولار من المعدات والاسلحة لنفس المدة أى أكثر من أربع أضعاف ما حصلت عليه ايران ، الى جانب نجاح العراق فى الحصول على معدات شرقية وغربية متطورة . ومن حيث السعر اتضح أن القيمة الشرائية للدولار العراقى على السلاح زاد بما قيمته ٥٠٪ عن القيمة الشرائية للدولار الايرانى . وعليه تفوقت العراق فى هذا المجال على ايران بنسبة ٥ إلى ١ .

ولم يحدث أن تمكنت ايران من استغلال تفوقها فى القوة البشرية . ففى منتصف عام ١٩٨٤ وفرت ايران حوالى ٥٥٥٠٠٠ جندى تحت السلاح مع القدرة على اضافة حوالى ٢٠٠٠٠٠ جندى اضافى . وهذا يعنى أن أكبر حجم ممكن للقوات المختلفة الايرانية يصل ٣/٤ مليون رجل ولكن الانقسامات والصراع بين القوات النظامية وقوات الحرس الثورى وغيرهم ، والفشل فى استعادة الضباط والجنود الذين تركوا الجيش عندما قامت الثورة وهم أكثر خبرة ودراية بفنون القتال ، والفشل فى تدريب هذه القوة البشرية بأسلوب جيد حرم القوة البشرية الايرانية من فعاليتها . وفى المقابل كونت العراق جيشا نظاميا قوامه ما يقارب الى ٧٥٠٠٠٠ جندى . ورغم كونها دولة علمانية وتعداد شعبها ثلث الشعب الايرانى الشيعى كله تقريبا كانت العراق قادرة على فتح قوات أكبر من ايران فى معظم الحالات والمواقف ويوضح الجدول (التالى) التغيرات التى طرأت على القوات العراقية والايرانية حتى عام ١٩٨٥ .

	١٩٧٩ ـ ١٩٨٠		١٩٨٤ ـ ١٩٨٥	
	ايران	العراق	ايران	العراق
(١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)
اجمالى القوة العسكرية العاملة والقوة الصالحة للقتال	٢٤٠٠٠٠	٥٣٥٠٠٠	٥٥٥٠٠٠	٦٧٥٠٠٠
القوات البرية				
الجيش النظامى (القوة البشرية)				
عاملة	١٥٢٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠
احتياط	٤٠٠٠٠٠	٢٥٦٠٠٠	٣٥٠٠٠٠	٧٥٠٠٠
حرس ثورى	٢٠٠٠٠	—	٢٥٠٠٠٠	—
جيش شعبى	٧٥٠٠٠	٦٥٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	٦٥٠٠٠٠
قوات حزب الله	—	—	٢٥٠٠٠٠٠	—
متطوعون عرب	—	٦٠٠٠	—	١٠٠٠٠
جندرمة	؟	—	—	—
حرس وطنى	١٠٠٠٠	—	—	—
قوات أمن	—	٥٠٠٠	٥٠٠٠	٤٨٠٠

فرق (لواءات)	٩	١٢	٢٤–٢١	٢٦–٢٢
فرق مدرعة	١/٣	٣–١٢	٣	٢/٦
ميكانيكية	—	٤	٤	٥
مشاة وجبلى	١/٣	٤	٣	٥
فرق قوات خاصة ٪ ابرار جوى	٢/–	—	٢	١/١
ميليشيا شعبية	—		١٣–٩	٩/–
معدات قتال رئيسية				
دبابة قتال رئيسية	١٧٣٥	٢٧٥٠	١٠٥٠	٤٦٢٠
	٤٠٠م٤٨/٤٧ ٤٦٠م١١٦٠ ٨٧٥ ستيفنين	٥٠ ت ٧٢ ١٠٠ اى‌ام‌آلى ٣٠ ٢٥٠٠ت٥٤/٥٥/٦٢ ١٠٠ ت ٣٤	٢٠٠م٤٨/٤٧ ٢٠٠م١١٦٠ ٣٠٠ ستيفنين ١٠٠ت ٧٢ ١٥٠ت ٥٤/٥٥ ٥٩ ت ٦٢	٤٥٠٠ت ٤ ت ع،٥٥٥، ٧٢ ٢٦٠ ت ٥٩ ٦٠ م٧٧
عربات مدرعة أخرى :				
عربة قتال مدرعة	١٠٧٥	٢٥٠٠	١٢٤٠	٣٢٠٠
قطع مدفعية رئيسية	١٠٠٠	١٠٤٠	١٠٠٠	٣٠٠٠
قوات جوية :				
قوة بشرية	٧٠٠٠٠	٣٦٠٠٠	٣٥٠٠٠	٣٨٠٠٠
طائرات قتال عاملة	٤٤٥	٣٣٢	٩٥	٥٥٠
	١٨٨ ف ٤ د ١٦٦ ف ٥ E ٧٧ ف ١٤ ١٤ سطع	١٢ تى يو ٢٢ ١٠ اليوش ٢٨ ٨٠ ميج ٢٣ ٤٠ سوخوى ٧ ٦٠ سوخوى ٢٠ ١١٥ ميج ٢١ ١٥ هنتر	٣٥ ف - ٤ ٥٠ ف – ٥ ١٠ ف ١٤ ٣ سطع	٧ تى يو ٢٢ ٨ تى يو ١٦ ٤٥ ميراج ١٠٠ ميج ٢٣ ٩٥ سوخوى ٧ ٨٠ سوخوى ٥ سوبر اتندار ٢٦ ميج ٢٥ ٥ ميج ٢٥ سط ١٥٠ ميج ٢١ ٤٠ ميج ١٩ ١١ هند
هليكوبتر هجومية مسلحة	AH-IS ٢٠٥	٤١ مى ٢٤	AHIS٩٠–٨٠	١٥٠
اجمالى الهليكوبترات	٧٤٤	٢٦٠	٣٩٠	٣٨٠
قوات دفاع جوى	هوك ٥ رابير ٢٥ تايجركات	سام ، سام ٣ ٢٥ سام ٦	هوك ٥ بطاريات رابير ٢٥ تايجركات	سام ٢ ، سام ٣ سام ٦ ، سام ٩ ٣٠ رولاند

البحريــة :				
قوة بشرية	٢٠٠٠٠	٤٢٥٠	٢٠٠٠٠	٤٥٠٠
سفن عاملة :				
مدمرات	٣	صفر	١	صفر
مزقاطات	٤	١	٣	صفر
كورفيت وقانصات غواصات	٤	صفر	٢	صفر
لنشات صواريخ	٩	١٢	٦	١٠
لنشات مرور	٧	٥	٢-٣	٢
سفن الغام	٥	٥	١	٥
هوفر كرافت	١٤	صفر	١٧	صفر
سفن ابرار	٤	١٧	٥	١١
طائرات بحرية	٦ P-3F	صفر		

الحرب الجوية وحرب الناقلات

فى الوقت الذى ادت فيه عمليات « فى الفجر ٥ » وفى الفجر ٦ ، وخيبر الى خلق حالة من الثبات فى القتال البرى لم يفعل احد شيئا لايقاف التصادم فى الحرب الجوية وحرب الناقلات . ففى أول فبراير هددت العراق بأنها ستوجه ضربة الى المدن الرئيسية الايرانية عبدان واهواز وديزفول ، وعيلام ، وخورمشاه وطلبت من السلطات الايرانية اخلاء هذه المدن . وفى الثالث من فبراير هددت ايران بالرد بقصف البصرة وكاناكين ومندلى . وفعلا وجهت العراق ضربة كثيفة ضد الأهداف المدنية والاقتصادية أثناء الهجوم البرى الايرانى فى فبراير وأطلقت صواريخ سكود على ديزفول فى ١١ فبراير . وقامت ايران بقصف البصرة بالمدفعية ، وقامت المقاتلات الايرانية بقصف كاناكين ومندلى والبصرة وعدد من المدن الأخرى . وفى الوقت الذى لم تتعد الغارات التى شنتها على المدن العراقية عدد ٢ – ٤ طائرات ضد كل مدينة فلقد ثبت أن العراق لازالت تفتقر الى وسائل الدفاع الجوى ضد الطائرات التى تهاجم على ارتفاعات منخفضة .

وبعد أن يئست العراق من تنفيذ اتفاق وقف اطلاق نيران ضد الأهداف المدنية والذى كان مفروضا أن يبدأ فى ١٨ فبراير ١٩٨٤ ولكن ايران رفضت الاتفاق ونتيجة لذلك يبدو

أن العراق حاولت تفادى أى هجمات ضد المراكز السكانية لها ونقل الضربات ضد الأهداف البترولية . وكانت حرب الناقلات دائرة خلال يناير وفبراير ولكن كانت العراق تبالغ فى النتائج التى حققتها للاستهلاك المحلى . وفى أواخر فبراير هددت العراق بأنها ستهاجم اى سفينة تدخل ميناء خورمشهر وبندر خومينى . وقامت الطائرات العراقية بقصف جزيرة خرج فى ٢٧ فبراير ، وعادت وهددت بأنها سضرب حصارا ضد صادرات النفط الايرانى وتغرق أى سفينة تقترب من خرج . ويبدو أن العراق استخدمت مقاتلاتها العادية فى ضرب سبع سفن فى الخليج فيما بين ٢٥ فبراير أول مارس . وفى ٢٧ مارس ١٩٨٤ اطلقت العراق لأول مرة طائرات سوبر انتندارد التى اطلقت صواريخ اكسوزيت فتصيب سفينة هندية صغيرة وناقلة بترول تركية جنوب شرق خرج . وفى اليوم التالى اعلنت العراق رسميا أنها استخدمت الصواريخ اكسوزيت فى اصابة سفينة يونانية .

وكانت الطائرات سوبر انتندارد تطير على ارتفاع متوسط ترافقها طائرات ميراج ف -١ للحماية . وكانت هذه الطائرات تغطى المنطقة من شط العرب وحتى نقطة فى الجنوب شرق جزيرة خرج وأطلقت ثلاث صواريخ اكسوزيت دون التأكد من أهدافها . وفى الوقت الذى كان لدى العراق ٢٠٠ صاروخ اكسوزيت فلقد تساءل الكثيرون لماذا لم يستخدموا القنابل التقليدية فى ذلك الوقت والتى كانت من الممكن أن تكون أكثر تأثيراً ضد السفن التجارية ، ولماذا لم تحلق الطائرات فوق الأهداف للتحقق منها ومن هويتها وقيمتها ، ولكن يبدو أن العراق كانت تريد المحافظة على وحماية طائراتها السوبر انتندارد :

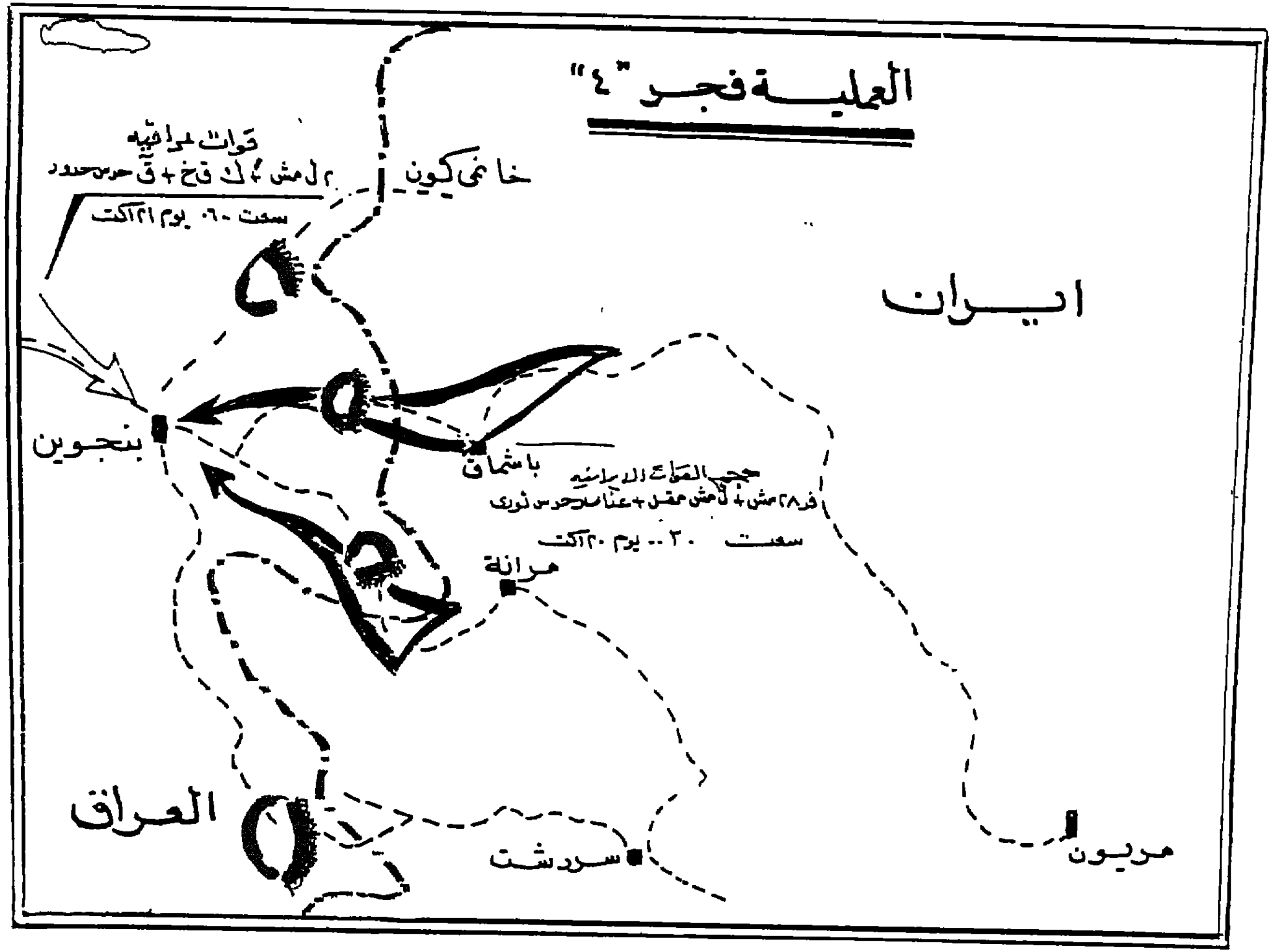
وكان توقيت استخدام العراق للطائرات سوبر انتندارد هام لأنه تزامن مع استخدام الغازات السامة والفشل فى محاولتها استعادة مجنون . ويبدو كذلك أن العمل كانت له صلة بالمفاوضات الدائرة بين الشركة الأهلية للنفط الايرانية والتجار اليابانيين لتجديد عقد لكمية ٢٠٠٠٠٠ برميل / يوم من النفط . لقد كانت ايران تحاول زيادة صادراتها من جزيرة خرج بحوالى ٣ ملايين برميل فى اليوم .

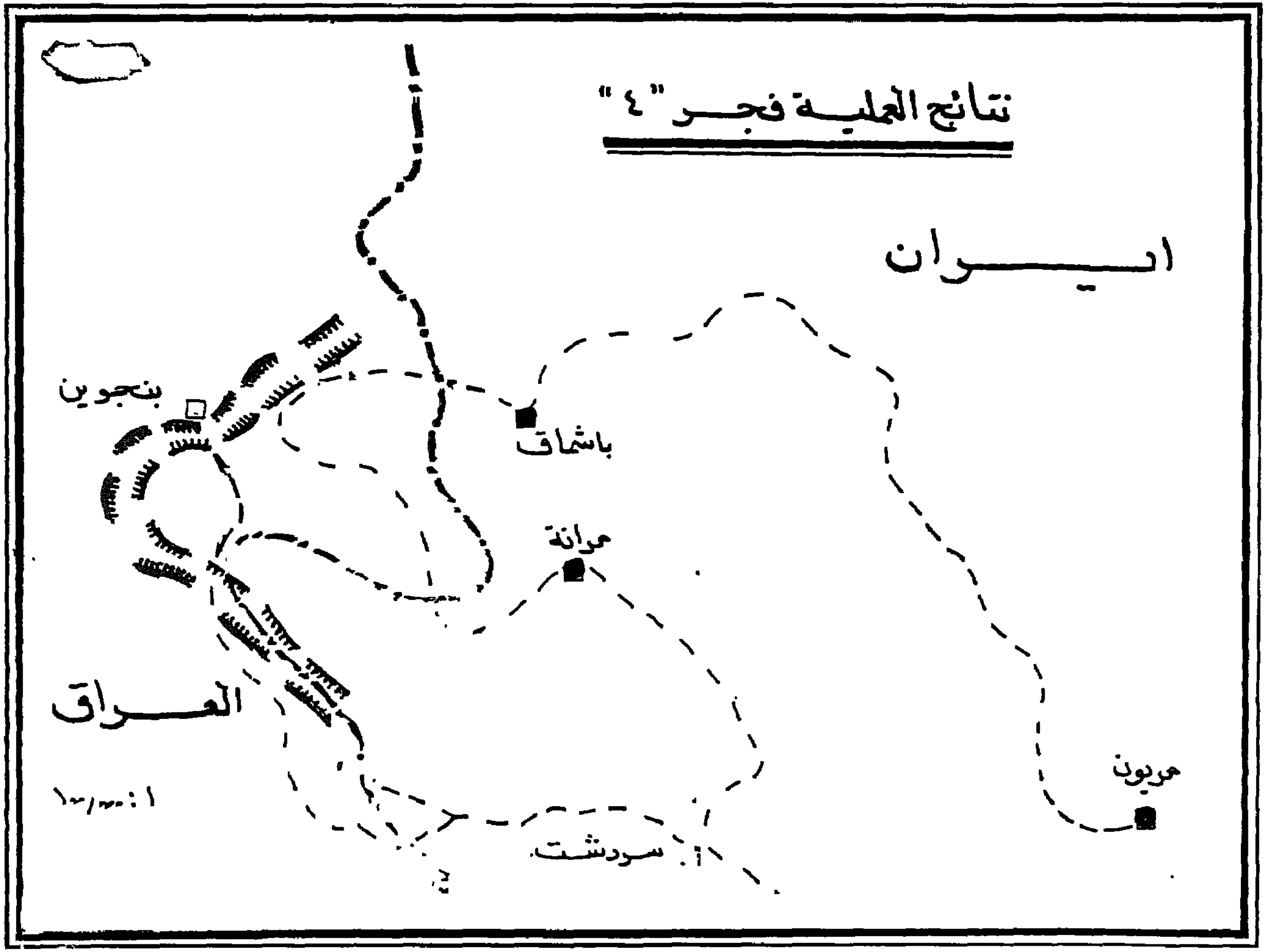
وحاولت ايران أن تستخدم ما لديها من طائرات للرد بالمثل فقامت المقاتلات الايرانية باصابة ناقلة بترول سعودية يوم ٧ مايو وناقلة كويتية بالقرب من البحرين يوم ١٣ ، ١٤ مايو ١٩٨٤ . وكانت هذه هى أول هجمات رئيسية على سفن تجارية أجنبية منذ بداية الحرب رغم أن ايران نادراً ما أعلنت مسئوليتها عن تلك الحوادث . وتمت اصابة ناقلة

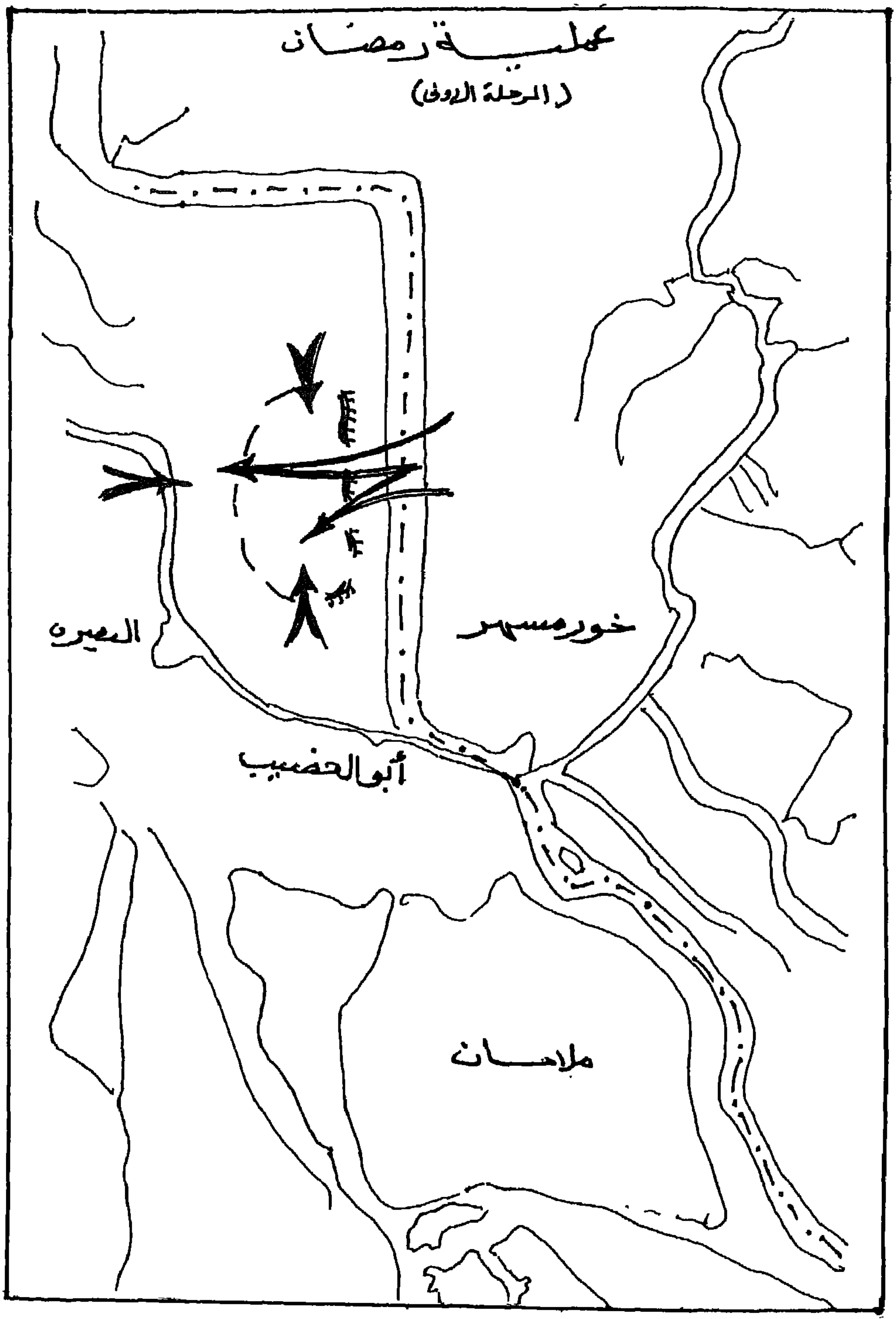
بترول أخرى فى المياه السعودية يوم ١٦ مايو بالقرب من الجبيل الأمر الذى أثار الحكومة السعودية فقامت بتحديد منطقة دفاع جوى خاصة بها وبدأت فى دفع طائرات داوريات جوية للحماية فوق المنطقة تدعمها طائرات الأواكس المتمركزة فى الظهران .

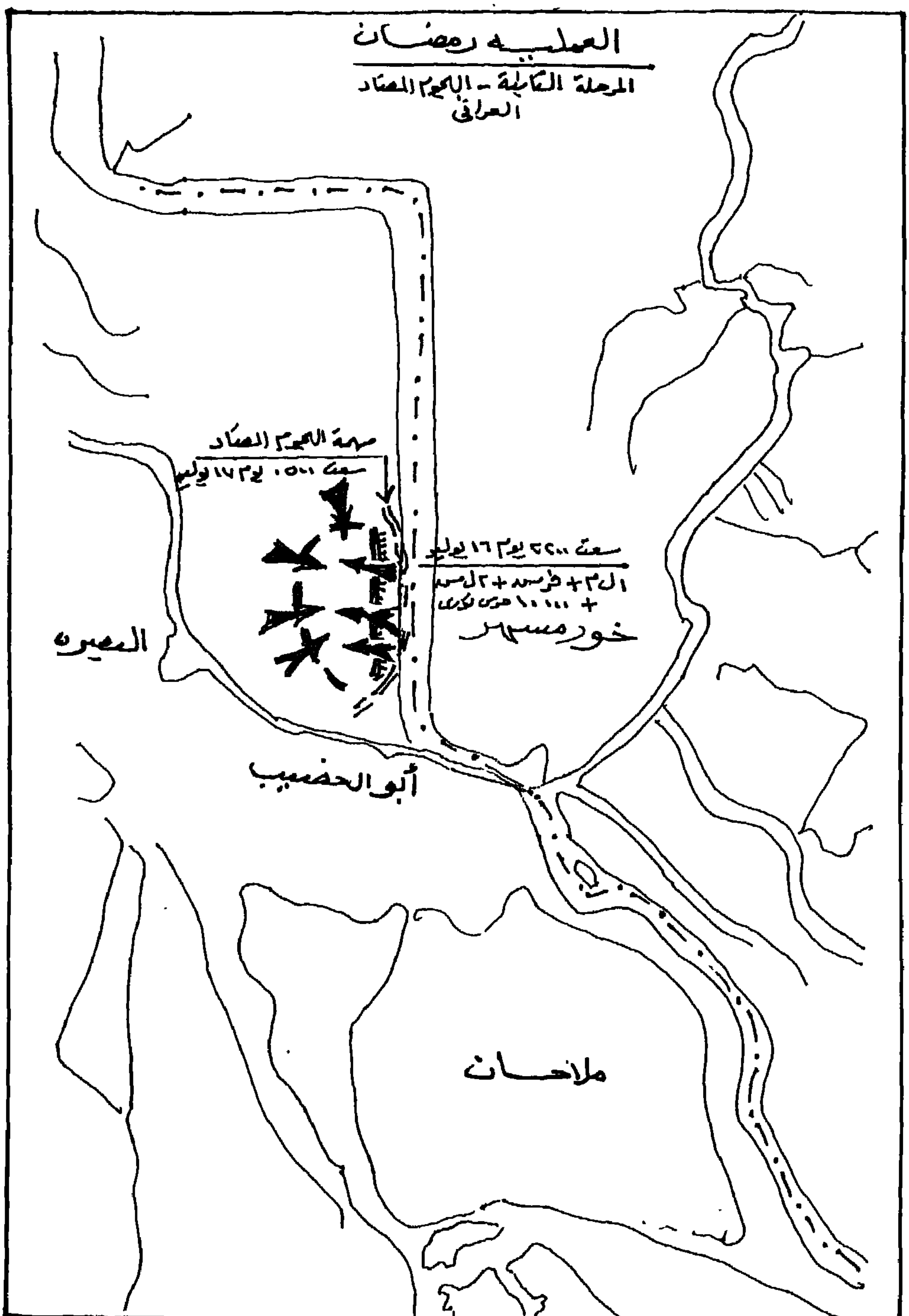
وخلال خمس أسابيع كان الجانبان قد اصابا احدى عشر سفينة منها عشرة ناقلات بترول . ومع ذلك كان للتصاعد فى حرب الناقلات تأثير محدود حتى ذلك الوقت دولياً واقتصادياً . وقام الاتحاد السوفتيتى . بتحذير ايران ضد أى محاولة لقفل المضيق . وكان للولايات المتحدة مجموعة حاملة طائرات فى المنطقة ولكنها لم تتخذ أى اجراء عسكرى . وفى الوقت نفسه خطيت فيه العراق بأكبر دعاية اعلانية عند أول استخدام للسوبر انتنداردذ ونجحت فى اصابة عدد أكبر من الأهداف ولم ينجح أى من الطرفين من احداث تدمير يؤدى الى التأثير على قدرة الطرف الآخر فى تصدير النفط أو أثر على الامداد الدولى للنفط خاصة بالنسبة للدول الرئيسية المستوردة للبترول والتى كان لديها احتياطيات كبيرة منه . ويوضح الجدول التالى انتاج العراق وايران من النفط يومياً :

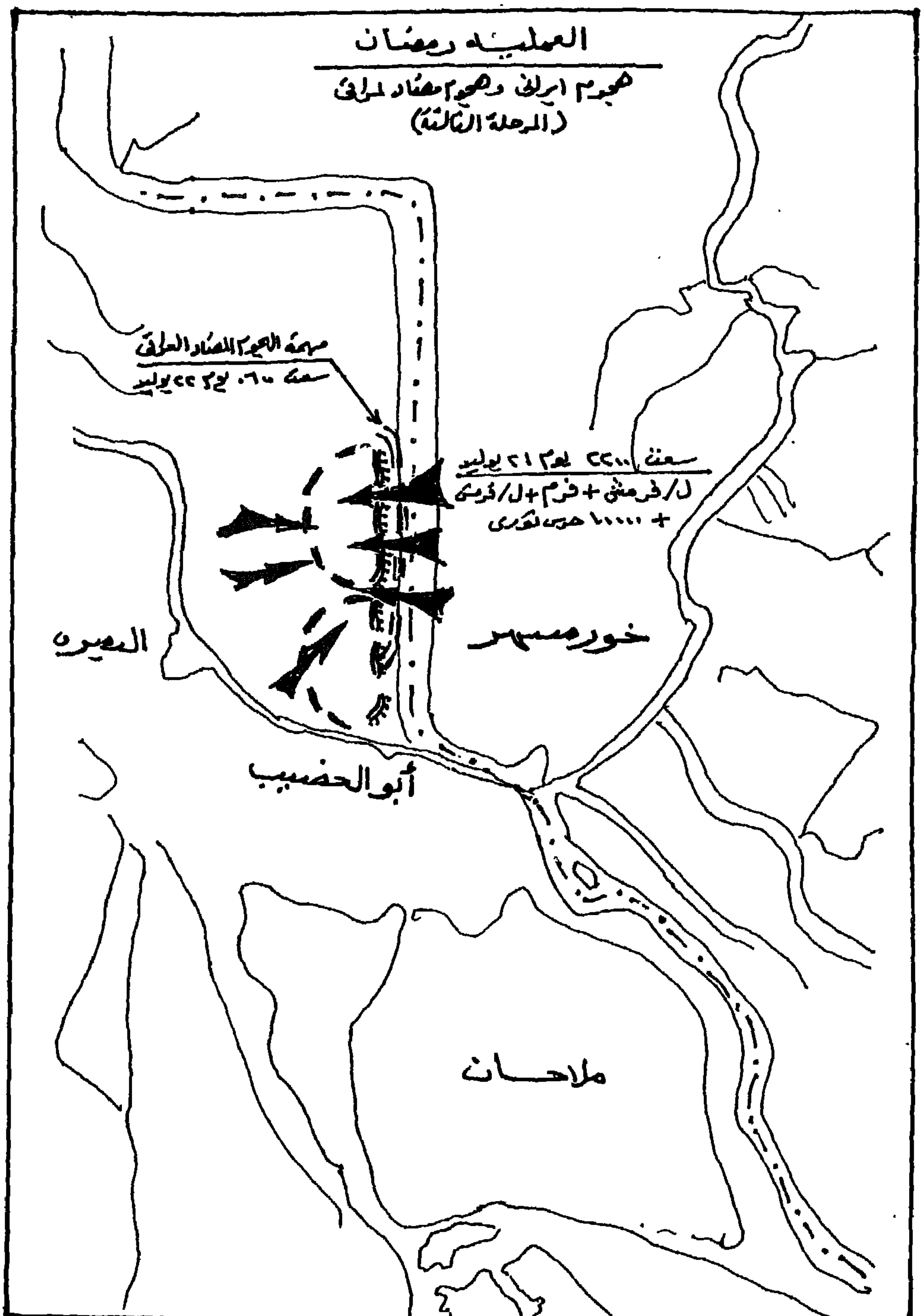
	ايران	العراق
١٩٧٩	٥,٢	٢,٦
١٩٨٠	١,٧	٢,٥
١٩٨١	١,٤	١,–
١٩٨٢	٢,٣	١,–
١٩٨٣	٢,٥	٠,٩
١٩٨٤	٢,٢	١,٢
١٩٨٥ (شهريا – منخفض ـــ مرتفع)	٢,٣ (١,٩ – ٢,٦)	١,٤ (١,٣ – ١,٧)
١٩٨٦ (شهريا – منخفض / عالى)	١,٩ (١,٥ – ٢,٢)	١,٧ (١,٨ – ١,٨)
١٩٨٧ (شهريا – منخفض – عالى)	(١,٧ – ٢,٧)	(١,٧ – ٢,٦)

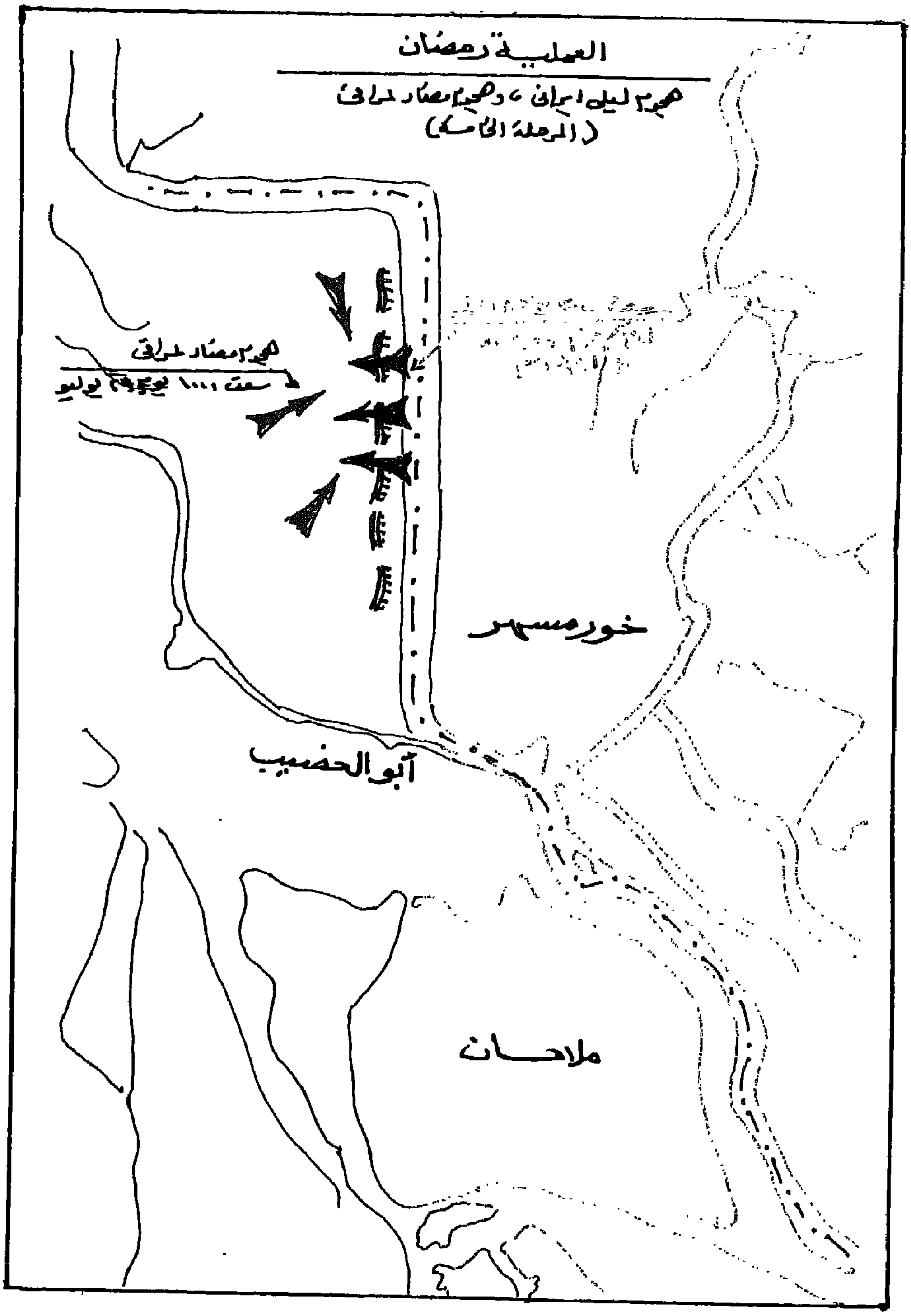

العمليـة فجـر "٤"
ايـران
العراق
خانمي كوين
بنجوين
باشماق
مرانة
سردشت
مريوان

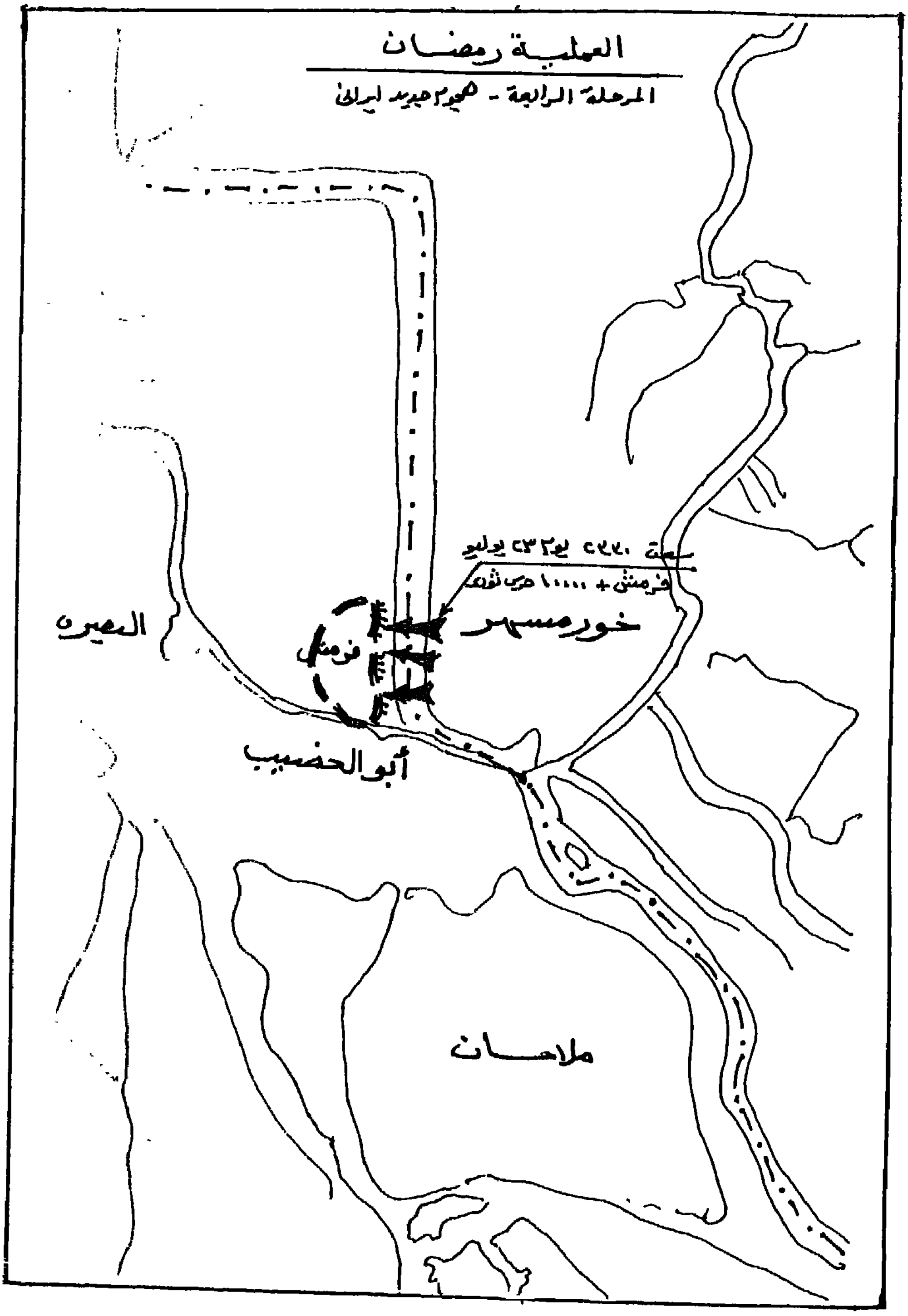

نتائج العمليـة فجـر "٤"
ايــــران
العـــراق
بنجوين
باشماق
مرانة
مريون
سردشت
١:١٠٠/١٣


عملية رمضان
(المرحلة الأولى)
خورمسهر
أبوالحضيب


العمليه رمضان
المرحلة الثانية - الهجوم المضاد العراقي
مهمة الهجوم المضاد
سعت ٠٥٠٠ يوم ١٧ يوليو
سعت ٢٢٠٠ يوم ١٦ يوليو
خورمشهر
أبو الخصيب
ملاخان


العمليه رمضان
هجوم ايراني وهجوم مضاد عراقي
(المرحلة الثالثة)
مهمة الهجوم المضاد العراقي
ساعة ٠٦٠٠ يوم ٢٢ يوليو
ساعة ٢٢٠٠ يوم ٢١ يوليو
+ ١٠٠٠٠ حرس ثوري
البصرة
خورمسهر
أبو الخصيب
ملاحــان


العملية رمضان
هجوم ليلي ايراني ، وهجوم مضاد عراقي
(المرحلة الخامسة)
هجوم مضاد عراقي
خورمشهر
أبو الخصيب
ملاحان


العمليـــة رمضـــان
المرحلة الرابعة - هجوم جديد ايراني
ساعة ٢٢٠٠ يوم ٢٣ يوليو
فرمش + ١٠٠٠٠ حرس ثوري
خورمسهر
فرمش
أبو الخصيب
ملاحــان

ولم تتحرك اسعار البترول الا بقدر يسير حتى فى سوق البترول الحساسة . وارتفعت اسعار التأمين ولكن ايران أسرعت باعطاء تخفيضات فى اسعار بترولها للتعويض عن ارتفاع التأمين . وفى الوقت الذى انخفضت فيه صادرات البترول الايرانى بمقدار ٥٠٪ لبضع أيام بسبب لجوء الزبائن لتنويع مصادر الشراء ، ولكن سرعان ما استقر انتاج البترول الايرانى مرة أخرى . وأصبح واضحا أن الطائرات العراقية المزودة بالصواريخ اكسوزيت قادرة على عرقلة صادرات البترول الايرانى ولكنها لن تتمكن من ايقافه . كما أن محاولات العراق اجبار ايران الى الجلوس على مائدة المفاوضات لمفاوضات سلام فشلت .

وفى أوائل يونيو شنت العراق ضربات جوية فى جنوب الخليج وأغرقت ناقلة بترول تركية بالقرب من جزيرة خرج . وأدى ذلك الى بدء قيام الطيران الايرانى بعمل داوريات حراسة فوق جنوب الخليج ، كما أن المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأمريكية اتخذتا خطوات لوضع حد لهذا التصاعد . فلقد حددت السعودية منطقة اعتراض جوية اطلقت عليها « خط فهد » خارج حدود المياه الاقليمية السعودية واعلنت أن طائراتها ف — ١٥ التى توجهها طائرات الاواكس وتعاونها طائرات امداد جوى أمريكية ستشتبك مع أى طائرة تهدد الملاحة فى هذه المنطقة . وأثبتت المقاتلات السعودية فاعلية في هذه المنطقة عندما اسقطت فى ٥ يونيو طائرة نفاثة ايرانية فوق المياه الاقليمية السعودية . وفى الحال توقفت ايران عن اختراق الأجواء السعودية لأنها أدركت أنها لا تملك الطائرات ولا التكنولوجيا ولا التدريب التى يمكن بها منافسة الطائرات ف — ١٥ السعودية .

وواجهت ايران مشاكل مشابهة فى شن هجماتها إلى العراق ، فعندما قصفت البصرة بالمدفعية فى ٥ يونيو ، حاولت العراق الوصول إلى اتفاق بمنع ضرب الأهداف المدنية . وردت العراق بشن غارات جوية على بعض المدن الايرانية مثل ديزفول ونهاوند فى اليوم التالى . عند ذاك ضربت ايران ناقلة بترول كويتية بالقرب من قطر ، الأمر الذى أثار مخاوف كبيرة من اتساع نطاق الحرب . وفى ١١ يونيو اليوم التالى لضرب الناقلة الكويتية وافق الطرفان على قبول عرض من هيئة الأمم بالتوقف عن ضرب المدن والمناطق السكانية . وفى ١٥ يونيو اقترح رافسنجانى إضافة المنشآت البترولية والسفن للاتفاق ، وكان متوسط تصدير البترول الايرانى من خرج لازال ١,٦ مليون برميل فى اليوم ، ولكن العراق أصر للحصول على موافقته أن يسمح له باصلاح منشآت تصدير البترول العراقى بالخليج . ولم

ترد ايران على الاقتراح ، ولكن الواقع أن الجانبان امتنعا عن قصف هذه الأهداف دون اتفاق رسمى حتى نهاية الحرب . ومن الواضح أن ايران لم تكن لتقبل وقفا جزئيا للنيران فى الخليج وفقدانها لميزة استراتيجية هامة على العراق الا لأنها وجدت ذلك فى صالحها اذ سيضمن لها استمرار تصدير البترول فى الوقت الذى يستمر فيه القتال البرى .

وقامت العراق بضرب عدد آخر من السفن فى الخليج وهاجمت المنشآت البترولية الايرانية فى جزيرة خرج فى ٢٤ يونيو ١٩٨٤ . واعترفت ايران بأن وسائل التحميل فى الجزء الغربى من خرج قد دمرت فى هذه الغارة وكان واضحا أن العراق لم تقدم على التضحية ببعض طائراتها لتدمير كل قدرات التحميل بالجزيرة ، وإنما صعدت من ضربها للسفن فيما بين ٢٣ ، ٢٥ يوليو .

واتبعت العراق نفس الاستراتيجية الجوية حتى نهاية عام ١٩٨٤ . ولكن افتقرت العراق لنظام جوى متكامل (مستشعرات عن بعد ، قوة جوية قادرة ، صواريخ مناسبة ، وسائل استطلاع جيدة) ليمكنها احداث تدمير مؤثر فى المراكز المدنية والاقتصادية الايرانية وأن تضرب حصارا على منشآت تصدير البترول الايرانى ـــ ويرجع الفشل فى تحقيق الأهداف الاستراتيجية جزئياً الى النقص فى التكنولوجيا ، فالطائرات العراقية كانت محدودة المدى واسلحتها المضادة للسفن لم تكن لها القوة التدميرية ولا الدقة الكافية ليمكنها تحقيق اصابات سريعة وقاتلة فى السفن كما أنها فشلت لعدم دفعها القوات بالاعداد الكافية لتحقيق تدمير كافى فى كل هدف ، ولم تكرر الضربات لتضمن التدمير . وفى النهاية فشلت العراق فى استغلال كل تطوير جديد فى قدراتها لضرب ناقلات البترول والمنشآت البترولية بالكثافة المناسبة لتحقق تأثيراً سياسياً استراتيجياً رئيسياً .

ومرة أخرى يمكن القول بأن العراق ارتكبت باخطاء معروفة جيداً بالنسبة لادارة تصعيد الأحداث . فالمهاجم عادة ما يفترض أن تصعيداً محدود المستوى يمكن أن يكون حاسماً فى تأثيره ويمكنه أن يغير من الحسابات السياسية والعسكرية للخصم خوفا من تصاعد أكثر . والواقع أن تحقيق أهداف سياسية وعسكرية عن طريق التصعيد المحدود الذى تدعمه التهديدات قد يكون فاشلا فى تحقيق التأثير المطلوب . فالخصم عادة ما يخطىء فهم الاشارات ذات التأثير المحدود من التصعيد التدريجى ويكون رد فعله تصعيد عنفه هو .

كما ارتكبت العراق خطأ كبير وهى فى أنها دائما كانت تمنح ايران وقتا كافيا لازالة أثار

أى هجمة جوية قبل أن تعاود العراق هجومها الجوى مرة أخرى ــ أى اللااستمرارية فى القصف الجوى .

وبسذاجة مطلقة أو بخبث شديد كانت ايران تقبل وقف اطلاق النيران ضد المدن والمنشآت وبعد وقت تستغله فى إعادة الشيء لأصله وإزالة الآثار ثم تتراجع عن مواقفها ، ولم تفطن العراق لذلك بل كررت هذا الخطأ مرات عديدة .

كما أن ايران وجدت ايضا ما يمكنها به خلق ضغط مضاد على العراق حتى مع ضعف قواتها الجوية ، فكانت ايران تستخدم مدفعيتها فى اجراء قصف عنيف للمدن العراقية . مثل البصرة ، وتشن عدداً قليلا من الغارات الجوية لردع العراق عن ضرب الأهداف المدنية . كما استغلت ايران التهديد بتصعيد الحرب لتشمل كل دول الخليج رغم أنها بذلك تجازف مجازفة كبيرة اذ لو فعلت فستثير الدول الغربية التى قد تقوم بعمل عسكرى مضاد ، ولكن كثيراً ما نجح هذا التهديد فى تخفيف حدة الهجمات العراقية ضد الأهداف المدنية الايرانية . عند ذاك نفذت بعض الضربات الجوية ضد الملاحة فى الخليج واستخدمت البحرية لازعاج سفن النقل فى الموانى الجنوبية بالخليج . هذه الأعمال الايرانية كان لها بعض الآثار على دول الخليج فحاولت اقناع العراق بالتقليل من هجماتها ضد السفن الايرانية .

وعلى مستوى أوسع وجدت كثير من الدول الأخرى أن هناك حدود معينة لأى مجهود لاستخدام المقاتلات القاذفة لاحداث تغيرات فى تصرف العدو . فمحاولات استخدام حجم محدود من القوة الجوية كبديل للنصر على الأرض نادراً ما حقق أى نجاح الا ضد خصم غير متطور وغير راغب فى المواجهة . وفى الوقت الذى قد تحدث الهجمات الجوية بأعداد محدودة من المقاتلات والقاذفات بعض الذعر وبعض التأثير على البناء الاقتصادى والسياسى والعسكرى للدول التى تتعرض لمثل هذه الغارات الا أن ذلك اثبت أنه لا يقارن بتأثير القصف الجوى الاستراتيجى . فمن المعروف أن الآثار التدميرية المحدودة للهجمات الجوية المحدودة يمكن اصلاحها وخاصة اذا توفر الوقت لذلك . ولضرب مثال لذلك عن حرب الاستنزاف بين اسرائيل ومصر اذ تمكنت مصر من اصلاح المطارات التى قصفتها الطائرات الاسرائيلية فى غضون ساعات قليلة بعد الغارة ، وذلك لأن عدد الطائرات الاسرائيلية فى الغارة لم يتعد ٤ طائرات ضد المطار الواحد . ولقد تلاحظ أن مثل هذه الضربات المحدودة كثيراً ما يؤدى الى ترابط الشعب بدلا من تخويفه .

ايران تتحول الى حرب الاستنزاف

خلال باقى عام ١٩٨٤ تحولت الاستراتيجية البرية الايرانية من الهجوم المباشر الى الاستنزاف . فكثيراً ما كانت تناور بقواتها بشكل يوحى بأنها تعد لجهوم رئيسى جديد ولكنها تقوم بشن هجمات محدودة كان واضحاً أنها تهدف الى احتلال اجزاء حيوية من الأرض قريبة من الجبهة . وترجع أسباب هذا التحول الى الخسائر الجسيمة فى الأرواح التى تكبدتها ايران فى عملياتها الهجومية عام ١٩٨٤ والتى وصلت الى ٥٠٠٠٠ قتيل . وفى الوقت الذى لم تتحرك فيه قادة ايران أى خطوة تجاه السلام فلقد أصبح واضحاً للزعماء الدينيين وقادة القوات البرية (الحرس الثورى) ان ايران لا يمكنها الاستمرار فى الهجوم دون تدريب أحسن وقيادة وتنظيم أحسن . كما يبدو أن القادة العسكريين الايرانيين أدركوا أن التمسك بالاراضى التى ليست لها أهمية استراتيجية لفترة طويلة كانت احد أسباب الهزائم التى منيت بها القوات الايرانية ، وان دفع قوات من المتطوعين الغير مدربين وبدون قيادات مناسبة ومعدات مناسبة فى الهجوم لتحقيق هدف محدود جداً وليس الانتصار الكامل أمر غير مقبول ويجب التوقف عنه . ومع ذلك كان رد الفعل بطيئاً اذ لم يظهر حماس على مستوى القيادة العليا للقيام بتطوير قوات مسلحة محترفة والحصول على الاسلحة والمعدات المناسبة . ومع ذلك فلقد بذلت ايران بعض الجهود للحصول على معدات قتال ثقيلة واعادت تنظيم قواتها الشعبية وقوات المشاه لتحسين ادائها ، كما بدأت تعطى اهتماما بالشئون الادارية للقوات وبنظام الامداد فى الحرب ، وقامت بانشاء شبكة طرق عسكرية ومستودعات وقواعد ادارية خاصة فى الجنوب . كما قامت بعمل تطوير محدود فى تدريب المتطوعين وخاصة ضباط الصف وصغار الضباط . والأهم من كل ذلك أنها بدأت فى تدريب قواتها على طرق جديدة للهجوم وتوسعت فى تدريب القوات على الأعمال البرمائية والقتال الجبلى . وعلى مستوى القيادة العامة بدأت ايران تبذل جهوداً أحسن فى التخطيط بحذر أكثر وأن تحدد هجماتها فى المناطق التى يمكن للقوات التسلل خلالها ليلا أو استغلال طبيعة الأرض وتحقيق نجاحات محدودة . وهذا النوع من الهجوم استمر فى خلق مشكلة للقوات العراقية . فعلى الرغم من كل الجهود العراقية تمكنت ايران احيانا كثيرة من الاستيلاء على أجزاء محدودة من الأراضى ومواجهة القوات العراقية ببدائل أخرى غير تحمل الخسائر أو الهجوم المضاد والاستيلاء على أهداف ليس لها أهمية .

الثقة العراقية الزائدة فى النفس

واجهت العراق هذه الاجراءات الايرانية بالاستمرار فى زيادة تفوقها الكبير فى قوة النيران وبمزيج من الدفاعات الثابتة القوية والموانع المائية والقدرة على سرعة دفع التدعيمات ، والتشوين الجيد للاحتياجات . وادت الهزائم التى تعرضت لها ايران فى خريف ١٩٨٤ الى اقتناع العراقيين بأن القوات الايرانية ينقصها القدرة على تحقيق اختراق عميق للدفاعات طالما احتفظت العراق بالتفوق النيرانى والتفوق التكنولوجى وأن حرب الدفاعات الثابتة فى مواقع مجهزة جيدا ستقلل الى حد كبير من الخسائر العراقية . وازدادت قناعة العراقيين والثقة الزائدة فى النفس أن الدفاعات الثابتة بالبر والهجمات الجوية المحدودة يمكنها أن تجبر ايران على قبول شكل ما من السلام .

وخلال عام ١٩٨٤ شنت العراق عددا قليلا محدودا من الهجمات المضادة ، ولكن معظم هذه الهجمات كانت ذات مستوى محدود أقل بكثير مما اعلنته العراق ، وقليل من هذه الهجمات كان له تأثير على ايران . فلا زالت العراق تفتقر المهارة فى استغلال تفوقها الكبير فى قوة النيران والمحركة والتحول الى الهجوم . كما أنها فشلت فى تطوير هجوم المشاه وتكتيكات التسلل خلال الأوضاع العراقية وتكتيكات التعامل مع تكتيكات التسلل الايرانية خلال الدفاعات العراقية . فالواقع أن القوات العراقية كمنت خلف دفاعاتها وفشلت فى تطوير قدراتها للقتال فى الأراضى الجبلية ودفع الداوريات فى المناطق الجبلية وفشلت فى تطوير اساليب القتال فى المستنقعات والاراضى السبخية فى الجنوب . وكان خوف العراق من الخسائر والثقة الزائدة فى التكنولوجيا سببا فى شل جزء حيوى من قواتها ، كما أن العراق فشلت فى ايجاد حل تكتيكى للنقص فى عمقها الاستراتيجى .

ومع ذلك كانت توجد بعض الاعذار لهذا الفشل . لقد واجهت العراق المشاكل الاستراتيجية والتعبوية والتكنيكية فى أن القوات البرية لن تنجح فى هزيمة العراق بأن تقبع فى مواقعها ، وطالما كان الشعب الايرانى مؤمن بالقتال فلن تتمكن العراق من اجبار ايران على السلام بالاستيلاء على أجزاء صغيرة من الأراضى الايرانية . وبات واضحا أنه طالما لم يحدث انهيار فى ايران فان أمل العراق فى هزيمة ايران بالبر هو تكبيد القوات الايرانية خسائر من الجسامة تسبب فى انحسار التأييد الشعبى الايرانى لاستمرار القتال .

وبالنسبة للحرب الجوية من المهم أن نفهم أن التفوق العددى العراق فى القوات الجوية قد يؤدى بنا الى استنتاج خاطىء . فلقد افتقرت العراق للعناصر التى تجعل قواتها الجوية مؤثرة ، اذ لم تتوفر للطائرات العراقية المدى والحمولة والقدرة على زيادة معدلات الطلعات والمستشعرات ووسائل الاستطلاع وخاصة البحرية ، ولم يكن فى الطائرات المقاتلة وسائل Look down / Shoot down أو Law capabilitis لتحديد الهدف واصابته . كما وجدت العراق نفسها تواجه بعض المشاكل فى استخدام الصواريخ جو / سطح اكسوزيت بفاعلية . فالطائرات سوبر انتندارد لا يتوفر لها المدى ووسائل التنسيق لتغطية مساحة كافية حول جزيرة خرج . فكثير من الصواريخ لم تنجح فى اصابة الأهداف ، كما أن الرأس المقاتلة (المدمرة) للصاروخ كانت اصغر من أن تحدث تدميراً مؤثراً فى ناقلة بترول ضخمة . ولقد حرم هذا الهجمات العراقية من التأثير بالمقارنة بالتدمير الكامل للناقلة وقتل طاقمها . ولهذا طلبت العراق شراء اعداد اضافية من الطائرات الميراج ف — ١ المزودة بخزانات وقود اضافية والقادرة على اطلاق الصواريخ اكسوزيت والقنابل الموجهة بالليزر . كما فشلت العراق فى تطوير فاعلية ضرباتها الجوية المتقطعة وضرباتها الصاروخية ضد المدن الايرانية فى أواخر عام ١٩٨٤ آ لقد افتقرت العراق الى اعداد من الطائرات والصواريخ والمدى والحمولات التى تمكنها من تنفيذ ضربات جوية صاروخية مركزة ضد السكان الايرانيين . وفى الوقت نفسه فشلت العراق فى التركيز على الأهداف الحيوية للاقتصاد الايرانى المرهق مثل محطات الطاقة ومعامل تكرير البترول . واخطأت العراق فى قصف اعداد كبيرة وواسعة من الأهداف بدلاً من التركيز على الأهداف الحيوية وتركيز الضربات اليها بحيث تدمرها بصورة كاملة .

ولكن لا يجوز أن ننكر أن المعاونة القريبة للقوات بواسطة الطيران العراقى تحسنت كثيراً عام ١٩٨٤ وقدمت معاونة فعالة للقوات البرية مؤثرة وناجحة .

الهجمات العراقية عام ١٩٨٥

فى عام ١٩٨٥ شنت ايران تسع هجمات برية وقامت العراق بثلاث هجمات مضادة وكانت أهداف الهجمات الايرانية محدودة عادة ، ولكن ايران كانت أكثر حرصا فى التخطيط والتدريب بالنسبة للهجمات الرئيسية هذه المرة . فلقد قامت ايران بمهاجمة مساحات كبيرة واسعة وخاصة فى الشمال والجنوب حيث كانت طبيعة الأرض

والمستنقعات لها تأثير على العراق فى الحصول على انذار التكنيكى مبكر بالهجوم ليمكنها استخدام تفوقها النيرانى والمناورة بالقوات . كما أن ايران واصلت الضغط على طريق بغداد ـ البصرة ودار قتال جديد فى المستنقعات ، ولكن لم تحدث خسائر جسيمة كتلك التى حدثت فى أوائل عام ١٩٨٤ .

لقد بدأ القتال البرى بهجمات عراقية صغيرة وغير حاسمة عند قصر شيرين فى ٣١ يناير وعند مجنون فى ٢٨ فبراير . ولم تحرز هذه الهجمات نجاحاً بل على العكس كان لها تأثير سياسى ملحوظ وضار . وفى ١٣ نوفمبر حاولت الوصول الى اتفاقة عفو عام تهدف الى ايقاف القتال مع الاكراد . ولكن زعيما الاكراد بارزانى وطالبانى رفضا العرض . وكان معنى ذلك أن العراق اصبحت معرضة لضغط ايرانى فى منطقة الاكراد .

ولم يصبح القتال البرى عنيفا الا فى مارس وجاء بعد فترة طويلة من تبادل القصف المدفعى فى فبراير وأوائل مارس ضد المدنيين والأهداف النفطية (قتل خلال ٤٠٠ مدنى) . بعد ذلك شنت ايران هجوماً جديداً رئيسياً أخذ الاسم الرمزى « بدر » . وكان الهدف من هذا الهجوم الاستيلاء على البصرة أو عزلها عن باقى العراق . واستغرقت الاستعدادات الايرانية للعملية أربعة شهور . وتكررت فيها بعض صور الاعمال القتالية التى تمت فى العملية « خيبر » عام ١٩٨٤ ولكن هذا الهجوم كان محدود المستوى ولكنه أحسن تخطيطا وسيطرة . ويبدو أن ايران اختارت المستنقعات كمكان لأول هجوم رئيسى لها عام ١٩٨٥ لعدة أسباب . فلقد أملت فى تحقيق المفاجآت التكتيكية بتكرار الهجوم فى مكان غير متوقع . فلقد تعلمت أن العراقيين لا يرسلون داورياتهم لتجوب المستنقعات وأن القوات الايرانية يمكنها التسلل بنجاح وبأعداد كبيرة الى الجزر الصغيرة فى المستنقعات .

لقد اكتسبت ايران خبرات متنامية فى حرب المستنقعات أثناء القتال فى العام السابق ، وقامت ببناء سلسلة من خطوط الموصلات فيها وتمكنت عدد كبير من سفن الاقتحام الصغيرة . كما سيطرت الداوريات البرمائية على المستنقعات وقامت بأعمال استطلاع مكثفة ناجحة فيها . واستغلت اعشاب البوص التى وصل طولها الى عشرة أقدام فى تحركاتها وأجبرت القوات العراقية على البقاء فى دفاعات على الشاطىء . كما أن المستنقعات حرمت العراق من استغلال تفوقها النيرانى والجوى وفى المدرعات اذ لم تتمكن من استخدام هذا التفوق الا عندما وصلت القوات الايرانية الى الاراضى الجافة خلف المستنقعات بالقرب من

طريق البصرة ــ بغداد . فالمركبات المدرعة لم تكن قادرة على التحرك فى المستنقعات وخاصة فى الفصول الممطرة ، كما أن انتشار القوات الايرانية زاد من صعوبة اكتشاف الأهداف وضربها .

وكان حجم القوات الايرانية المتوفرة حوالى مائة ألف رجل فى هذا القطاع من الجبهة . وحشدت ايران حوالى ٦٥٠٠٠ رجل للقيام بهذه العملية شكلتهم فى حوالى ٧ ــ ٨ فرق منها ٤ ــ ٥ فرق حرس ثورى ومتطوعين . وكانت هذه القوات مزيجا من الجيش النظامى والجيش الشعبى (الحرس الثورى) وان كان قوات الجيش الشعبى أحسن تدريباً وأحسن تسليحاً عما كانت عليه عام ١٩٨٤ آ فلقد تسلحت كل القوات ببنادق هجومية وذخائر كافية واعداد كبيرة من القواذف المضادة للدبابات ر ب ج . وقامت ايران بانشاء سلسلة من الكبارى العائمة عبر المستنقعات ووفرت قوارب ومعديات يمكنها حمل المدافع ١٠٥ مم والمدافع ١٠٦ مم عديمة الارتداد والهاونات . وكانت القوات الايرانية مزودة باقنعة واقية من الغازات الحربية ومجموعة أدوات طبية وحقن ضد غازات الاعصاب .

وفى المقابل كانت القوات العراقية تتكون من ١٠ فرق هى قوة الفيلق الرابع الى جانب فرقتين لحراسة طريق بغداد ــ البصرة وخطوط السكك الحديد وطرق الاقتراب عبر المستنقعات . وكانت الدفاعات العراقية جيدة التجهيز فلقد اشتملت على شبكة من الخنادق والملاجىء والسواتر الترابية ونقط ملاحظة كثيرة وحقول الغام واسلاك شائكة وموانع مضادة للانزال ، كما أنشأت نظاما لاغراق بعض المناطق عند اللزوم بمجرد نزول القوات الايرانية الى الشاطىء واحتفظت بعدد من اللواءات الراكبة فى الخف لخلق عمق للدفاع .

ويبدو أن ايران حاولت تشتيت انتباه القيادة العراقية بتنفيذ غلالة نيران كثيفة ضد البصرة يومى ١٠ ، ١١ مارس وشن أول غارة جوية على بغداد منذ عدة شهور . وردت العراق بشن غارة جوية على طهران . وبدأ الهجوم الايرانى الحقيقى قبل منتصف الليل يوم ١١ مارس ، فقامت ثلاث مجموعات قتال ايرانية بالهجوم على مواجهة ١٠ كم فيما بين قرنه والوزير . وخرجت القوات الايرانية من المستنقعات عند الطرف الجنوبى لدفاعات الفيلق الرابع وحققت مفاجأة تكتيكية كافية وقامت بحشد قواتها لاختراق الدفاعات العراقية والاستيلاء على بعض المواقع فى الأرض الجافة بالقرب من الطريق . وكان على ايران أن تستخدم تكتيكات الموجات البشرية من البداية رغم تعرضها لخسائر جسيمة منذ بداية

الهجوم . ومع ذلك نجحت القوات الايرانية فى التقدم لمسافة ١٠ كم فى اليوم الأول ووصلت الى عمق ١٤ كم فى اليوم الثانى قتال . وفى ١٤ مارس وصلت قوة لواء متطوعين ايرانيين الى نهر دجلة ، وفى ليلة ١٤ / ١٥ مارس نجحت القوات الايرانية فى اقامة ٢ كوبرى عائم على نهر دجلة . وفى اليوم التالى وصلت هذه القوة الى طريق البصرة — بغداد . وكانت مشكلة هذه القوة كيف تحتفظ بالأرض وتتمسك بها لأن ايران لم تتمكن من دفع قوات مدرعة ومدفعية للأمام بسرعة وتوسيع ثغرة الاختراق وزعزعة ثبات واتزان القوات العراقية . كما أن هذه القوة واجهت مشكلة حادة فى الامداد والتأمين المادى . وفى النهاية أصبحت هذه القوة هدفا مثاليا لقوة النيران العراقية ومدرعاتها فى أرض جافة صلبة مناسبة . وأمكن العراق اكتشاف اتجاه المجهود الرئيسى الايرانى فى القوت المناسب وحشدت حوالى ٢٥ لواء استعداد لشن هجوم مضاد قوى . وفى الوقت الذى لم تصل فيه العراق الى حافة التعرض لهزيمة رئيسية فانها دفعت عدد من فرق الحرس الجمهورى فى المعركة . كما اشركت كل قواتها الجوية وامكنها عمل حتى ٢٥٠ طلعة / يوم وفتحت وحدات كثيرة من المدفعية . وفى الوقت الذى انتهت فيه المعركة الهجومية كانت العراق قد اشركت فى القتال خمس فرق ، ٦٠٠٠٠ جندى تقاتل فى قطاع واحد من الجبهة . وفى ١٥ مارس كانت كل القوات العراقية فى موقف يمكنها من شن هجوم على مواجهة ضيقة ضد الاختراق الايرانى من ثلاث اتجاهات — من الشمال ومن الجنوب ومن الغرب . كما كانت العراق قادرة على شن الهجوم المضاد ولديها سيادة جوية فى المنطقة ، ويمكن الهليكوبترات العراقية العمل ضد مؤخرة الأوضاع العراقية دون أى تعرض للرشاشات وصواريخ الكتف الايرانية . وتمكنت فعلا الهليكوبترات العراقية المسلحة من تدمير عدد من القوارب الايرانية وعدد من الكبارى العائمة وأغرقت المنطقة الخلفية للقوات الايرانية بالمياه الأمر الذى جعل التحركات فيها تكاد تكون مستحيلة . وكنتيجة لذلك بدأت الدفاعات الايرانية تنهار ابتداء من يوم ١٧ مارس وبنهاية اليوم التالى تمكنت العراق من استعادة كل المواقع التى استولى عليها الايرانيون . وتعرض الطرفان لخسائر جسيمة قبل أن تتمكن العراق من دفع القوات الايرانية للخلف . فلقد خسرت العراق ما يقرب من ٥٠٠٠ رجل وبضع مئات من الأسرى بينما خسرت ايران حوالى ١٢٠٠٠ رجل .

ولأسباب مجهولة شنت ايران هجوما آخر ضد القوات العراقية بالقرب من مجنون وبدأ هذا الهجوم متأخراً أسبوعا عن الموعد الذى كان قد حدد له فى الخطة إذ كان الهدف

منه هو جذب انتباه القيادة العراقية عن اتجاه المجهود الرئيسى .

وخلال عامى ١٩٨٤ ، ١٩٨٥ قامت ايران بتحسين محورين (طريقين) الى مجنون ، وأصبح لديها طريقان ترابيان يؤديان الى الجزء الشمالى من الجزيرة . وكانت ايران قد فتحت حوالى ٢٠٠٠٠ رجل أى فرقتين فى جزيرة مجنون . وكانت هذه القوات تستعد للهجوم على القوات العراقية فى مجنون والقطاع الشمالى لدفاعات الفيلق العراقى الثالث بحلول أواخر فبراير ، وكان من المفروض دفعها فى القتال فى نفس الوقت الذى دفعت فيه باقى قوات العملية بدر .

ولكن يبدو أن الايرانيين قرروا الانتظار فى دفع هذه القوة على أمل أن العراقيين سيسحبون جزء من قواتهم فى مجنون وجزء من قوات الفيلق الثالث للتعامل مع الهجوم الذى تم فى شمال القطاع . ولكن لم يحدث أى تصرف من هذا القبيل من الجانب العراقى . ولهذا كانت القوات العراقية فى تمام الاستعداد عندما قامت كل القوات الايرانية بمهاجمة مجنون فى ١٩ مارس وفقدت ايران ٥٠٠٠ رجل دون أن تستولى على بوصة واحدة من الأرض فى مقابل خسائر عراقية طفيفة .

وأستخدمت العراق فى هذه العملية الغازات السامة التى تسببت فى قتل آلاف رجل ايرانى آخرين رغم وجود الاقنعة الواقية مع أفراد القوات الايرانية . ويبدو أن السبب فى حدوث هذه الخسائر هو تواجد القوات الايرانية فى المناطق الملوثة لفترة طويلة .

وفى ١٤ يونيو شنت ايران هجوماً آخر شمالى المستنقعات لم يحقق نجاحا يذكر حتى انسحاب قوات المجهود الرئيسى . وحدثت اغارات مماثلة بالقرب من قصر شيرين يوم ١٩ وفى مجنون يوم ٢٨ . ويبدو أن كل هذه العمليات الصغيرة كانت بهدف استمرار الضغط على المواقع العراقية فى مجنون . وردت العراق على ذلك بالاستمرار فى تحسين وتطوير المواقع الدفاعية .

ويبدو أن أثار العملية بدر على كلا القيادتين العراقية والايرانية كانت شبيهة بأثار العملية خيبر وهى التأكيد على أن تكتيكات الجانبين من وجهة نظر كل منهما تكتيكات سليمة . ومن المؤكد أن القيادة الايرانية تلقت تقارير وتحذيرات من الجيش النظامى عن حدود وامكانيات تكتيكات الموجات البشرية ولكن النجاح الابتدائى شجع هذه القيادة على الاعتقاد بأنها بهذه التكتيكات يمكنها أن توازن التفوق العراقى فى التسليح والتكنولوجيا اذا ما

وجهت القوات الايرانية المجهود الرئيسى فى المكان المناسب . وفى الوقت الذى لم تعامل فشل الهجوم على أنه نصر فانها لازالت ترى أن استنزاف العراق ودفعها الى الحد الذى لا يمكنها فيه أن تستمر فى الحرب أمر ممكن . ويبدو أن ايران قد اقتنعت أن العراق عرضة للهزيمة إذا ما استمرت ايران فى هجماتها الليلية ، واستغلال المستنقعات وما شابه ذلك لحرمان العراق من استخدام مدرعاتها ومدفعيتها وقواتها الجوية بفاعلية . وفى المقابل توصلت العراق أن استراتيجيتها الرئيسية وتكتيكاتها سليمة وانه يمكنها الاعتماد على التكنولوجيا وعلى الهجمات المضادة المحدودة والدفاعات الثابتة . ولذلك فان العراق استمرت فى ادارة القتال بصورة سلبية . ولم تهتم العراق بالقدر الكافى لتطوير مشاتها وقدراتها الهجومية وركزت على زيادة اعتمادها على التكنولوجيا .

الهجـــوم الأخـير
١٩٨٦ - ١٩٨٧

لقد تكبدت ايران خسائر جسيمة فى هجماتها التى نفذتها عامى ١٩٨٤ ، ١٩٨٥ ، ولكنها لم تفقد الأمل فى اسقاط نظام صدام حسن . واستمرت القيادة الايرانية فى محاولة ايجاد طريقة للهجوم من خلال أو من حول المستنقعات شرقى البصرة وتطوير خطة تفصيلية لمهاجمة العراق فى الجنوب والاستيلاء على شبه جزيرة الفاو وأم قصر . وواجهت ايران مشاكل عويصة ، فايران ليس فى امكانها تعبئة أكثر من مليون رجل ، وكان جيشها النظامى حوالى ٣٠٥٠٠٠ جندى وقوة الحرس الثورى والمتطوعين حوالى ٣٥٠٠٠٠ رجل . وكانت لدى ايران حوالى ١٠٠٠ دبابة قتال رئيسية وحوالى ١٤٠٠ عربة مدرعة وما بين ٦٠٠ ، ٨٠٠ قطعة مدفعية . وكان حجم قواتها الجوية ٣٥٠٠٠ رجل ولكنها لا تملك سوى حوالى ٨٠ طائرة صالحة للقتال .

وفى المقابل كانت قوة الجيش النظامى العراقى والجيش الشعبى حوالى ٨٠٠٠٠٠ رجل بما فى ذلك ٢٣٠٠٠٠ جندى احتياط . وتمتلك العراق حوالى ٤٥٠٠ دبابة قتال رئيسية ، ٤٠٠٠ عربة مدرعة وأكثر من ٥٠٠٠ قطعة مدفعية . وكان حجم القوة البشرية للقوات الجوية العراقية ٤٠٠٠٠ جندى وبها حوالى ٥٠٠ طائرة قتلا عاملة .

		ايران	العراق	النسـبة ايران : العراق
١	حجم القوة البشرية المقاتلة	٦٥٥٠٠٠	٨٠٠٠٠٠	١ : ١,٢٢
٢	دبابات قتال رئيسية	١٠٠٠	٤٥٠٠	١ : ٤, ٥
٣	عربات مدرعة	١٤٠٠	٤٠٠٠	١ : ٦,٨٥
٤	قطع مدفعية	٨٠٠	٥٠٠٠	١ : ٦,٢٥
٥	طائرة قتال عاملة	٨٠	٥٠٠	١ : ٦,٢٥

وكانت العراق هى التى شنت أول هجوم رئيسى عام ١٩٨٦ . لقد استغرقت استعدادات العراق للهجوم عدة أسابيع فى تكديس الاحتياجات بالقرب من مجنون وتحسين الطرق المؤدية الى الجزر ، ثم قامت بتخفيض مستوى المياه وحشدت احتياطى كبير من المعدات الهندسية لتأمين الهجوم على الجزء الشمالى من الجزيرة الذى تسيطر عليه ايران . وفى السادس من يناير (وهو يوم الجيش العراقى) قام لواءان من الفيلق الثالث العراقى بمهاجمة المواقع الايرانية فى الجزء الشمالى من الجزيرة . ولم تكن المواقع الإيرانية جيدة التجهيز لأنها كانت اصلا مصممة كمواقع ابتدائية للهجوم . وبحلول ٨ يناير نجحت القوات العراقية فى طرد القوات العراقية من النصف الجنوبى من الجزيرة . ولكن هذا النجاح العراقى لم يوقف أو يؤخر خطط ايران الهجومية . فلقد استمر قادة ايران فى الاقتناع بأنهم لو تمكنوا من خلق ضغط كافى على القوات العراقية وعلى النظام العراقى فانها ستنجح فى تحقيق انهيار الدفاعات العراقية . ومن الممكن أن بعض القادة الايرانيين مثل الخومينى يؤمنون باحتمال تدخل الهى فى هذه الحرب . وعليه قامت ايران بحشد قوة هجومية قوية فى جنوب ايران فى النصف الثانى من عام ١٩٨٥ . كما جلبت ايران عدداً كبيراً من القوارب الصغيرة ومعدات كبارى ، وبراطيم وبدأت فى اجراء تدريب على العمليات البرمائية فى بحر قزوين . وقامت بانشاء شبكة من الطرق العسكرية ترابية عبر المستنقعات واغرقت المناطق بطول شط العرب . وبدأت العراق فى استخدام النساء فى مهام حراسة المناطق العسكرية فى الخلف لأول مرة فى أكتوبر ٨٥ وذلك لتوفير الرجال للعمل بالجبهة . كما أصدرت قانون يسمح بارسال العاملين المدنيين للجبة . واستدعت حوالى ٥٠٠٠٠ متطوع فى ديسمبر ٨٥ ويناير ٨٦ . واستوردت ايران معدات اضافية للوقاية ضد الحرب الكيماوية . وظهرت بوادر بأن سوريا تقدم الخبرة والمساعدة لايران لتطوير وانتاج الغازات السامة .

وبعد أن قامت ايران بالتعبئة العامة فتحت قواتها فى الجنوب . وشمل هذا الفتح حوالى ثلثى قوات الحرس الثورى بما فيها الفرقة ٢٥ المسماة كربلاء والفرقة الثامنة النجف ... الخ . وكذا حوالى نصف الجيش النظامى وخاصة الفرق الهامة فيه (بختاران ، مازاندارن وخوراسان ...الخ) . وبذلك وصل حجم القوات التى تم فتحها الى حوالى ٢٠٠٠٠٠ جندى (حوالى ٢٠ - ٢٥ فرقة) . وجزء كبير من هذه القوة تم فتحه بين الاهواز وديزفول وفى منطقة العظم وخور الحويزه .

وفى أوائل عام ١٩٨٦ فتحت ايران وسائل برمائية على طول شط العرب جنوب عبدان وشونت كميات كبيرة من السفن الصغيرة وبراطيم الكبارى . كما اعدت قوة كوماندو للاقتحام البرمائى والقتال فى المستنقعات شكلت لها قيادة شبيهة بقيادة الوحدات الخاصة وقوات الابرار الجوى . وحققت هذه القوات فى مجموعها امكانيات جيدة لتوجيه الضربة عبر شط العرب .

ايران تستولى على الفاو (العملية والفجر ـ ٨)

فى أوائل فبراير كانت ايران قد استعدت لشن سلسلة جديدة من الهجمات ومع عدم وضوح أهداف الهجوم فى ذلك الوقت الا أن الهدف الاستراتيجى كان الاستيلاء على شبه جزيرة الفاو وقطع كل الاراضى العراقية عن الخليج ، على أن يتبع ذلك هجوم للاستيلاء على البصرة من الشمال وذلك لتوجيه ضربة قاصسمة للانتاج العراقى من البترول ، ولتدعيم تمرد أو ثورة شيعية أو أى عمليات ضد الحكومة العراقية فى جنوب العراق .

وفى ٩ فبراير شنت ايران المرحلة الأولى من هجومين رئيسيين ضد قوات الفيلق الثالث والفيلق السابع العراقيين . حاولت ايران تقسيم القوات العراقية الى جزئين بشن هجومين ضد الطرف الشمالى والطرف الجنوبى للجبهة . وفى الهجوم على الطرف الشمالى وجهت ضربتها فى ثلاث قطاعات اختراق لم تنجح فى الاختراق ويبدو أنه كان هحوما ثانويا أو خداعياً .

كما وجهت شعبة من الهجوم ضد نقطة الاتصال بين الفيلقين العراقيين ولكنها واجهت مواقع عراقية حصينة وعلى الرغم من دفع القوات الايرانية موجة بشرية تليها موجات اخرى لمدة ثلاثة أيام الا أن النيران العراقية دفعت القوات الايرانية للخلف وقد تكبدت خسائر جسيمة فى الأرواح والمعدات . وكان الهجوم على قطاع الاختراق الثانى تقوم به قوة ايرانية مدرعة صغيرة نسبياً عبر أرض جافة نسبياً جنوب القرنه تحول الى مباراة فى الرماية على مسافات قصيرة بين القوات العراقية والقوات الايرانية . وكان للعراق التفوق سواء فى العدد من الرجال المدربين أو فى التسليح وعليه فلقد تكبدت القوات الايرانية خسائر جسيمة فى الأرواح وصلت الى ٤٠٠٠ جندى . أما فى قطاع الاختراق الثالث الذى تم فيه الهجوم يوم ١٤ فبراير والذى حاولت فيه ايران استرداد الجزء الشمالى من جزيرة مجنون فلقد تمكنت القوات العراقية من احتواء الهجوم وكبدته خصائر جسيمة .

وخلاصة الهجمات الايرانية فى الجنوب أن القوات الايرانية حاولت استغلال أوقات الليل وهطول الأمطار يومى ١٠ ، ١١ فبراير لشن هجومين برمائيين على الفاو . وقام جزء من القوات تسانده مجموعة من الضفادع البشرية بالهجوم على جزيرة أم الرصاص جنوب خورمشهر فى شط العرب . وتمكنت القوات الايرانية من الاستيلاء على الجزيرة الغير مدافع عنها ثم تقدمت صوب طريق الفاو ـــ البصرة . عند ذاك بدأ الهجوم الايرانى يواجه مقاومة عراقية عنيفة ولم يكن لدى القوات الايرانية مدرعات أو مدفعية لمواجهة الهجوم العراقى المضاد . وتمكنت القوات العراقية من استرداد أم الرصاص فى ١٢ فبراير وارتدت الفرقة الايرانية للخلف عبر شط العرب .

ولكن الهجوم الثانى حقق نجاحا للقوات التى وجهت ضربتها الى شبه جزيرة الفاو فى منطقة بالقرب من سيبا . ورغم أن الشط كان عرضة ٢٥٠ متر فى هذه النقطة وأن عبور القوات الايرانية تم ليلا وأثناء هطول الأمطار فان العبور الايرانى نجح ، فلقد نجحت القوات الايرانية فى انشاء كوبرى عائم بسرعة على شط العرب بالقرب من سيبا ونجحت فى ابرار حوالى قوة فرقة باستخدام القوارب فى ست نقاط على مواجهة واسعة على شاطىء شبه جزيرة الفاو .

وانخدعت القيادة العراقية فى اعتقادها أن الهجوم الرئيسى الايرانى هو الهجوم فى القطاع الشمالى ، وكانت معظم احتياطياتهم فى منطقة حول القرنة وتأخرت كثيراً فى رد الفعل . وكانت القيادة العراقية للمنطقة مشغولة بقصف مدفعى ايرانى كثيف على البصرة ، واخيرا ادركوا أن اتجاه المجهود الرئيسى الايرانى جنوب المدينة .

وكانت الدفاعات العراقية فى الفاو ضعيفة التجهيز لأن القيادة العراقية لم تتوقع أن القوات الايرانية قادرة على ادارة عملية اقتحام مانع مائى وأهملوا الأهمية الاستراتيجية لشبه جزيرة الفاو . وعلى الرغم من أن ميناء الفاو كان مهجورا تقريبا وأن طوقا من المستنقعات طويلا يعزل الفاو عن البصرة وعن خطوط المواصلات الرئيسية العراقية الا أن هجوما ناجحا ايرانيا على الفاو يمكنه أن يقطع العراق عن الخليج . كما أن هذا الوضع يمكن ايران من الهجوم على البصرة من الجنوب وعلى خطوط المواصلات الرئيسية بين العراق والكويت .

وكانت القوات العراقية القريبة من مناطق العبور الرئيسية للقوات الايرانية محدودة ولم يكن بالمدينة سوى ألف رجل من قوات الاحتياط للدفاع عنها . ولم تكن هذه القوات قادرة على مواجهة هذا الغزو الايرانى . ونجحت القوات الايرانية فى تطوير العملية والتقدم

بسرعة داخل عمق المواقع العراقية فى الساعات الاولى من الهجوم . وتمكنت القوات العراقية من المقاومة حتى ١٤ فبراير ولكن بعض الوحدات العراقية خارج الفاو اصيبت بالذعر وهجرت مواقعها ومعظم اسلحتها الثقيلة وفى هذه المعركة تكبدت العراق ٤٠٠٠ قتيل فى مقابل ٢٥٠٠ قتيل ايرانى .

ولم تتمكن العراق من استخدام قواتها الجوية بتأثير فى المراحل الأولى من العملية رغم اعلان العراق انها نفذت ٣٥٥ طلعة / طائرة مقاتلة ، ١٣٤ طلعة طائرة هليكوبتر فى اليوم خلال اقتحام الفاو . فلقد ادت غزارة الأمطار الى عرقلة اعمال الطيران العراقى والهليكوبتر . ولم يتحسن الجو الا يوم ١٤ فبراير وحينذاك أمكن للقوات الجوية العراقية العمل رغم أن الجو كان شاذاً . ولقد تعرضت المقاتلات العراقية لخسائر مؤثرة دون أن تنجح فى اكتشاف أهداف مناسبة . لقد تعلمت المشاة الايرانية الانتشار والتخندق والاختفاء خلف السواتر وتحريك المعدات الثقيلة وتنظيم الامداد بالاحتياجات ليلا بكميات صغيرة . ولقد فقدت العراق ما بين ١٥ ، ٣٠ طائرة خلال اليوم الأول من المعركة والفجر ــ ٨ ولم تنجح الا فى مهاجمة عدد قليل من الاهداف .

وكانت الضربات الجوية العراقية غير مؤثرة فى تدمير خطوط المواصلات على العراق الترابية الطويلة على طول شط العرب من خورمشهر الى عبدان الى نقطة الانطلاق الايرانية على الحافة الجنوبية لجزيرة عبدان . وكانت معظم التحركات تتم ليلا . وكان الجو سيئا نهاراً ، وتمكنت القوات الايرانية من اصلاح أى اصابات للطريق تسببها الطائرات العراقية وبسرعة ، كما أن الطائرات العراقية فشلت فى احداث خسائر مؤثرة فى الكبارى الموجودة على الطرق والقنوات أو الخورات الموجودة على طول الطريق الترابى الرئيسى وبذلك لم تنجح فى عرقلة التحركات الايرانية .

وكنتيجة لتلك التطورات لم تكن العراق مستعدة لشن هجوم مضاد فى الأيام القليلة الأولى للهجوم الايرانى الأمر الذى سمح للقوات الايرانية بدفع قوات دعم الى الفاو وصلت الى ٢٠٠٠٠ جندى . واحتفظت القيادة العراقية بالاحتياطيات فى الخلف لفترة طويلة لخوفها من هجوم ايرانى محتمل على البصرة وأى هجمات ايرانية أخرى فى الشمال . وفى ١٣ ، ١٤ فبراير دفعت القيادة العراقية قوات من البصرة والقرنة وشنت عدة هجمات مضادة ضعيفة غير منظمة ، وظهر المشاة العراقية لا تتقن القتال مترجلة . وعندما دفعت

القوات العراقية عدة لواءات الحرس الجمهورى (١٠٠٠٠٠ رجل) الا أنها لم تكن مدربة على القتال المتلاحم القريب أو التحرك عبر المستنقعات والاراضى السبخية وعليه فانها لم تحقق نجاحا يذكر . ورغم التفوق العراقى فى المدفعية والمدرعات الا أنها لم تحقق تأثيراً يذكر على القوات الايرانية المتخندقة .

وفى قمة تلك النجاحات الايرانية هددت ايران بمهاجمة أم قصر عبر الفاو . ووصلت القوات الايرانية الى خورعبد الله الممر المائى المواجه للكويت ، بل اذيعت بعض التقارير التى تقول أن القوات الايرانية حاصرت القاعدة البحرية العراقية فى أم قصر التى تقع على مسافة ١٦ كم فقط من الفاو . كما استولت ايران على مركز القيادة والسيطرة والانذار الجوى العراقى الذى يغطى الخليج والموجود شمال الفاو . وادى ذلك الى حدوث قلق فى الكويت وفى المملكة العربية السعودية .

وبحلول ٢٤ فبراير كانت خسائر ايران حوالى ١٠٠٠٠ قتيل وفقدت العراق ٥٠٠٠ رجل . وبدأت العراق فى فتح احتياطياتها وتدعيم الدفاعات . كما أن ايران كانت قد استهلكت كل قواتها ولم يعد لديها ما يمكنها أن تدفعه لتطوير عملياتها ، فتمسكت بالفاو ومواقعها بالقرب من سيبا فى الشمال وبعض المناطق الأخرى ولكنها لم تكن من القوة بالقدر الكافى لمواجهة القوات العراقية فى الاراضى المفتوحة المكشوفة . ويمكن القول بأن القوات المسلحة العراقية قد نجحت فى احتواء القوات الايرانية ولكنها واجهت مشاكل عديدة عندما حاولت شن عملية هجومية رئيسية مضادة .

بدأت القوات العراقية هجماتها المضادة بقوة مجموعة لواءات مدعمة كل مجموعة على محور مستقل . ثم تحولت قوة كل محور بسرعة الى قوة فرقة . وتقدمت أحد هذه المجموعات جنوبا على الطريق على طول ساحل شط العرب ولكنه توقف أمام المواقع جنوب أم قصر . وتقدم الرتل الثانى والرتل المركزى جنوبا على طول طريق جديد تم انشاؤه فى العام السابق ليمكن من سرعة تحرك القوات العراقية بعيدا عن المراقبة أو النيران من الشط . وكان هذا الطريق يمر عبر أرض صحراء يتحول صيفا الى أرض رملية رخوة وشتاء الى اراضى وحلة . وكان الهجوم العراقى مرتبطا بالطرق ولم يتمكن من التقدم ضد قوات ايرانية مزودة بأعداد كبيرة من المدفعية والاسلحة الخفيفة المضادة للدبابات . أما الرتل الثانى فتحرك على طول الطريق على الشاطىء الشمالى لخور عبد الله . وكان على هذا الرتل أن يقاتل فى ارض

مفتوحة ولكن دون أن تتمكن قواته من الخروج خارج الطريق الرئيسى .

وتعرضت القوات العراقية لخسائر غير مقبولة فى كل مرة هاجمت فيها تحت هذه الظروف . وكانت القوات الايرانية لازالت تقاتل بحماس وكان لديها كميات كبيرة من الاسلحة . ورغم استمرار محاولة القوات العراقية التقدم جنوبا لمدة أسبوع الا أنها لم تنجح فى احراز سوى تقدم محدود .

وحسب التقديرات فى ذلك الوقت خسرت القوات العراقية ٥٠٠٠ قتيل وجريح على الاقل . ولم يسمح الجو للقوات العراقية باستخدام تفوقها الجوى . وفى الهليكوبترات المسلحة (الهجومية Gunships) والمدفعية حتى ٢٢ فبراير . حينذاك كانت القوات الايرانية قد تخندقت تماما وتوفرت لايران عشرة ليالى لدفع قوات ومعدات وامدادات جديدة عبر الشط مستخدمة الكبارى العائمة التى كانت تقيمها ليلا وتقفلهانهارا .

وفى محاولة جديدة للعراق لطرد القوات الايرانية من الفاو اختارت احسن القادة وعينتهم على رأس الارتال الثلاثة ثم استخدمت غلالات نيران المدفعية ودفع مجموعات من المشاه للاستيلاء على موقع تلو الآخر . وبدا أن العراق بدأت تستخدم كل عناصر تفوقها فى القوات الجوية وقوة النيران والمدرعات . وساعد تحسن الجو القوات العراقية على استخدام المدفعية الصاروخية متعددة المواسير فى تحقيق كثافات نيرانية مؤثرة . واستهلكت القوات العراقية كميات ضخمة من الذخيرة للضرب على الأهداف الايرانية المتناثرة ، واستخدمت أكثر من ٢٠٠ دبابة فى اطلاق نيران نصف مباشرة على هذه الاهداف . ووصل استهلاك الذخيرة الى ٢٠٠ طلقة / قطعة / يوم . ويبدو أنها قصفت كل شىء بما فى ذلك أى مكان يحتمل أن تتواجد به قوات حتى ولو كان خاليا فعلا من القوات .

لقد حاول كل طرف استخدام كل ماالديه فى المعركة . واستمرت العراق فى التعرض لخسائر فى المدرعات والمقاتلات لدرجة أن ايران اعلنت أنها اسقطت سبعة طائرات عراقية فى اليوم ، واعلنت العراق أنها نفذت ١٨٦٤٨ طلعة / طائرة فوق الفاو فيما بين ٩ فبراير ، ٣١ مارس وبدأ الطيارون العراقيون فى شن هجماتهم على ارتفاعات منخفضة كلما سمحت الأحوال الجوية بذلك ، وكان لديهم الاستعداد لتقبل خسائر فى مقابل تنفيذ المهمة بكفاءة . كما أستخدمت العراق غاز المسترد والتابون فى غاراتها على القوات الايرانية فى الفاو . ويبدو

أن هذه الغزات كانت مؤثرة لأن القوات الايرانية لم تكن مدربة تدريبا سليما على أستعمال وسائل الوقاية المتاحة لها . وحققت العراق نجاحات لهذا المجهود رغم ما قيل عن أنها دفعت ثمنا غاليا لذلك . ويبدو أن العراق ادركت أخيرا أنها تدفع ثما غاليا للنقص فى قوات المشاه وقدرات الاقتحام والتسلل . ومع ذلك دفعت العراق قوات دعم جديدة سحبتها من المنطقة الدفاعية للفيلق الثالث وحتى ٢١ فبراير لا يمكن القول بأن القوات العراقية قد قاتلت أو ناورت بفاعلية . وتكبدت العراق خسائر جسيمة عندما شنت هجومها المضاد ، فلقد فقدت كتيبتين فى هجوم واحد تم يومى ٢٣ ، ٢٤ فبراير .

ويبدو أن الهجوم البرمائى الغير منظم الذى حاولت العراق شنه يوم ٩ ، ١٠ مارس على جانب القوات الايرانية قد كلفها عدة كتائب أخرى ، كما فقدت العراق حوالى قوة لواء فى محاولة أخرى لهجوم مضاد على قوات ايرانية متخندقة بل أن ما حققته العراق أحيانا من نجاح نهارا كانت تفقده ليلا لأن الايرانيين تفوقوا فى القتال الليلى على القوات العراقية . ولقد تعرض اللواء ٢٨ والواء ٧٠ العراقيان لخسائر جسيمة عندما حاولا التقدم داخل الفاو فى شهر مارس واضطرت العراق لتدمير قطار خاص لنقل الجرحى .

ورغم أن العراق شنت هجوما مضادا جديدا فى ١١ مارس الا أن قواتها لم تتقدم سوى لمسافة ٧ كم خلال ثلاثة أيام .

وفى ٢٠ مارس حاولت القوات الايرانية تحسين أوضاعها وخرجت من خنادقها ولكن القوات العراقية لم تغتنم الفرصة وشن هجوم مضاد جديد . وحتى ذلك الوقت كان يوجد حوالى ٢٠٠٠٠ ايرانى ، ٢٥٠٠٠ جندى عراقى محصورون فى مواقعهم على بعد بضع مئات الامتار من بعضهم البعض ولا توجد لأى طرف منهما القوة أو الطاقة أو الجهد للمجازفة بالهجوم .

ولقد أدى الهجوم المضاد العراقى على الفاو الى استخدام المدفعية فى اطلاق الدانات الكيماوية . فعلى سبيل المثال حاولت العراق استخدام قنابل الطائرات ودانات المدفعية الكيماوية لمعاونة الهجوم الذى تم فى فبراير ٢٤ ونجحت فى اصابة حوالى ١٨٠٠ جندى ايرانى ، ولكن الغزات الكيماوية أثرت كذلك على القوات العراقية . وبذلك لم تحقق العراق نجاحا فى استخدام الاسلحة الكيماوية لمعاونة العمليات الهجومية .

عملية « والفجر ـــ ٩ » واستمرار الصراع فى منطقة الاكراد بالشمال :

بدأت ايران هجوما جديدا بواسطة قواتها الرئيسية التى كانت لازالت مشتركة فى الهجوم على الفاو . واطلق على هذا الهجوم « والفجر ـــ ٩ » ووقع فى المنطقة الكردية العراقية بالقرب من الحدود الشمالية على بعد حوالى ٢٧٠ كم شمال بغداد ، ٩٥ كم شمال غرب كركوك ، ٢٢ كم من السليمانية . واشتركت فيه حوالى فرقتين مختلطتين من الحرس الثورى والقوات الكردية التابعة للبرزانى . وخطط هذا الهجوم لاستغلال افتقار العراق للقوات التى يمكنها تغطية كل المنطقة الشمالية ، وهدف الهجوم الاستيلاء على أجزاء من الوديان التى تعبر الحدود وتؤدى الى الارض المفتوحة فى العراق .

وبدأ الهجوم يوم ١٥ فبراير وكان هجوما محدودا نسبيا وتمكنت القوات الايرانية من الاستيلاء بسرعة على بعض المناطق والقرى الواقعة فى وادى السليمانية . ثم بدأت القوات تتحرك فى اتجاه الشوارته واستولت على بعض المرتفعات الحيوية بالوادى على بعد ٢٠ كم من السليمانية . وفى ٢٤ ، ٢٥ فبراير شنت ايران هجوما بحوالى قوة ثمانى لواءات بهدف الاستيلاء على ارض مرتفعة تشرف على طريق السليمانية وبعض المناطق الجبلية ومساحة حوالى ٦٠٠ كيلو متر مربع من الأراضى العراقية .

وعلى الرغم من أن معظم القرى العراقية بالمنطقة كانت مهجورة فان القوات الايرانية حاصرت مدينة الشوارته . وبدأت القوات العراقية فى الانسحاب للاشتراك فى معركة الفاو ، فتمكنت القوات الايرانية من اسر الحاميه الصغيرة العراقية فى سيتاك يوم ٢ مارس بعد انسحاب ٢٥٠٠ جندى عراقى من المنطقة . ومع أن القوات العراقية استخدمت الاسلحة الكيماوية الا أن القوات الايرانية تمكنت من الاقتراب من السليمانية وقصفها يوم ٣ مارس للمرة الاولى خلال هذه الحرب .

وحتى ذلك الوقت يبدو أن العراق اعادت قواتها الى الشمال وتوقفت القوات الايرانية من الاستيلاء على مناطق جديدة . وكان واضحا أن الاكراد عاونوا القوات الايرانية وابدوا تعاطفا كبيرا معها بعكس الشيعة فى الجنوب . وكان هذا الموقف أكثر وضوحا فى مايو عندما فشلت القوات العراقية فى اكتساح ومسح المنطقة فيما بين داهوك وبادينان وتطهيرها من القوات الكردية . وقامت العناصر الكردية بشن عدة غارات بالقرب من الحدود التركية العراقية على خط انابيب البترول واستولت على حامية مانجيش الصغيرة فى نطاق

محافظة الموصل ، وتمكنوا من التمسك بها رغم الهجوم المضاد (١٩ مايو) الذى شنه اللواء الجبلى العراقى .

وفى الوقت الذى كانت الآثار الاستراتيجية للهجمات الايرانية والكردية فى الشمال ذات قيمة محدودة الا أنها نجحت فى شغل وتثبيت عدد من الوحدات العراقية بما فى ذلك الفرقة ١١ العراقية فى المنطقة ودعمت من التأثير السياسى لنجاح ايران فى الاستيلاء على الفاو . ويمكن القول أن وجود حوالى ٣٠٠٠٠ جندى تركى كان الضمان الوحيد لسلامة خط انابيب البترول العراقى المار بتركيا .

وفى أوائل ابريل حدث تطور هام اذ اصبح القتال فى الفاو نمطيا ويكاد يكون ثابتا وذلك حتى أوائل عام ١٩٨٨ . لقد استولت ايران على حوالى ٢٠٠ كيلو متر مربع من شبه جزيرة الفاو ونجحت فى المحافظة على الكوبرى العائم فوق شط العرب . واستخدمت ايران هذا المعبر والمعديات والسفن الصغيرة لامداد رأس الجسر فى الفاو بانتظام . وكان لايران فى شبه الجزيرة حوالى ٢٥٠٠٠ جندى ، ولكنها لم تنجح فى جلب معدات ثقيلة بكميات كبيرة ولكنها تمكنت من دفع مدفعيتها الى اماكن قريبة بمناطق أخرى مكنتها من قصف القاعدة الجوية الرئيسية القريبة من البصرة (فى الشيبية) .

وعموما تمكنت العراق من احتواء القوات الايرانية فى الجنوب ، فلقد تمكنت من اعادة انشاء نظام دفاعى قوى على طول المحيط الخارجى للمواقع الايرانية فى الفاو ، وعلى العكس من المواقع الايرانية ، كانت الدفاعات العراقية تتكون من عدة خطوط دفاعية تربطها بالخلف شبكة طرق جيدة تربطها بالمناطق الخلفية والقواعد الادارية التى شونت فيها الاحتياجات الكافية ، وتوجد بالمواقع وحدات دفاع جوى كافية ومرابض نيران مدفعية كثيرة . كما قامت العراق بتشوين كميات ضخمة من الذخيرة ، وكان لها تفوق كبير فى قوة النيران يصل الى ٧ إلى ١ . كما اصبحت القوات العراقية على علم بمواقع الأهداف الايرانية بدقة وخاصة بعد ثبات الموقف وتحول الطرفين الى الدفاع الثابت . وادى ذلك الى ارتفاع دقة نيران المدفعية واجبار القوات الايرانية على البقاء فى خنادقها وملاجئها .

وفى نفس الوقت تسببت الخسائر العراقية السابقة فى تشجيع القيادة العراقية على عدم شن هجمات مضادة أخرى على الفاو على الرغم من أن تغير الاحوال الجوية أدى الى جفاف التربة فى الفاو وهذا يحقق للقوات العراقية امكانية استخدام المدرعات . ولكن

القيادة العراقية لم تستطع مواجهة ازدياد الخسائر ، كما أنها لم تستطع أن تجازف بحجم كبير من قواتها فى مثل هذا الهجوم المضاد الشامل .

واستمرت ايران فى الاحتفاظ بقوة ٣٠٠٠٠٠ – ٤٠٠٠٠٠ رجل على طول مواجهة ١١٠٠ كم فى مواقع تبقى فيها على درجة استعداد دائم للقيام بهجوم آخر ، وكان لايران ميزة من حيث الموقع الاستراتيجى . ففى الشمال سيطرت المقاومة الكردية على مساحة اكبر من الأراضى ، والقوات الايرانية على مسافة ١٥ كم من السليمانية . وفى الوسط توجد قوات ايرانية فى تلا ميماك على بعد ١١٥ كم من بغداد . والتجميع الرئيسى للقوات الايرانية فى مواقع هجوم فى الناحية الأخرى من المستنقعات مستعدة للوصول الى طريق البصرة – بغداد ، ولازالت القوات الايرانية فى الفاو بقوة حوالى فرقتين . ويمكن لايران حشد قواتها فى أى مكان وتستغل عدم وجود عمق استراتيجى عراقى ، فى الوقت الذى لا يوجد أمام القوات العراقية هدف رئيسى يمكن للقوات العراقية الاستيلاء عليه .

واستمرت ايران فى الضغط العسكرى على الملاحة وجنوب الخليج ، فلقد قامت البحرية الايرانية بتفتيش سفينة تابعة لالمانيا الغربية فى التاسع من يناير ، وأول سفينة امريكية فى ١٢ يناير ، وأول سفينة بريطانية فى ١٣ يناير . وشنت عدة هجمات بالهليكوبتر على السفن ابتداءاً بناقلة تركية يوم ٣ مارس . كما كثفت ايران من ضغوطها الارهابية على الكويت ، كما قامت باطلاق بعض الالغام فى الخليج بغرض الازعاج . ثم اعلنت القيادة الايرانية عدة تهديدات عنيفة ضد الكويت والسعودية وذكرت الكويت بأن العراق بعد أن فقدت الفاو تركت الكويت معرضة لاعمال عسكرية ايرانية .

واعلنت ايران فى ٧ يناير نيتها فى فتح ثلاث مرافىء للبترول على سواحلها الجنوبية بعيدة عن مدى الطيران العراقى . وخططت لافتتاح هذه المراقىء فى فبراير ومارس وان تكون فى بندر لينجيه وجزيرة فيشام فى المضيق وفى حاسك خارج المضيق . وكان من المخطط امداد هذه المرافىء بواسطة سفن تستأجرها ايران كما أعلنت ايران انها تنشىء محطة ضخ على بعد ٤٠ كم من خرج . وعمليا لقد وجدت ايران وسيلة اسهل لنقل بترولها الى الناقلات من مرافىء عائمة بدأت العمل فى يونيو ١٩٨٦ والتى اصبحت بعد ذلك هدف للغارات العراقية بعيدة المدى .

وعليه لم يكن من المستغرب أن تستمر العراق فى الاعتماد على القصف الاستراتيجى لقد قامت بضرب كوبرى قوطار الذى يربط بين ايران وتركيا ، وفى مارس ١٣ قامت الطائرات العراقية بغارة جوية رئيسية على طهران واصابت أكبر معمل تكرير بترول ايرانى . كما قصفت ايران أحد مصانع الاسلحة وقامت بعدد من القصفات ضد أهداف أخرى مثل قطارات السكك الحديدة وأهداف مدنية أخرى . كما تمكنت من تدمير محطة استقبال لارسال الأقمار الصناعية فى أساد أباد وأصابت سنترال التليفونات والاتصالات الدولية ونتج عن ذلك انقطاع الاتصالات السلكية الدولية فى ايران لعدة أسابيع . كما استمرت القوات الجوية فى مهاجمة ناقلات البترول الايرانية وعدد ٨٫٥ سفينة تجارية ، ٤٠ سفينة امداد منذ بداية الحرب فى سبتمبر ١٩٨٠ .

وفى عام ١٩٨٦ شنت العراق هجوما مضادا رئيسيا على ايران . وفى الوقت الذى بدى فيه أن صدام حسين يمكنه تحمل الموقف فى الفاو وكردستان فانه بدأ فى البحث عن طريقة ما ليظهر أن العراق يمكنها أن تحقق نصراً هجومياً . ولذلك فلقد أمر باعداد هجوم رئيسى لاستعادة مدينة مهران التى كانت أحد الطرق الرئيسية التى استغلت فى محاولات ايران غزو العراق .

قامت العراق بفتح فرقتين (من الفيلق الثانى قوامهما حوالى ٢٥٠٠٠ جندى) حول مهران يوم ١٠ مايو . وكانت مهران هدفا سهلا اذ كانت خالية تقريبا وتقع على مسافة كيلو متر واحد من الحدود وحوالى ١٦٠ كم شرق بغداد . وكانت تقع فى منطقة يدافع عنها ٥٠٠٠ جندى ايرانى . ولذلك اعتبرها الخبراء نصرا سهلا للقوات العراقية .

قامت القوات العراقية بمهاجمة مهران يوم ١٤ مايو . وبحلول ١٧ مايو تم الاستيلاء على المدينة (٣ أيام قتال) . لقد احدثت القوات العراقية خسائر جسيمة فى القوة الايرانية المدافعة وطردتها من المرتفعات حول مهران الى الاراضى المنخفضة . ورغم أنه كان انتصارا سهلا الا أنه كان رمزاً هاماً بالنسبة للقوات المسلحة العراقية هذا وحققت القوات العراقية نصراً آخر ثانويا أو صغيراً فى فوكه فى الجنوب .

وردا على ذلك قامت ايران بالتهديد بأنها ستشن هجوما رئيسيا ضد العراق فى أقرب وقت . وقامت ايران سراً بالاستعداد لشن هجوم مضاد لاسترداد مهران . وارتكبت القيادة العراقية خطأً بمحاولتها التمسك بالمنطقة رغم أن أى قوة بها ستكون معرضة للهجوم

من المرتفعات ومن عدة اتجاهات .

وقامت ايران بتشكيل قوة (أساسا تحويل قوات فرقة مشاه) للقتال الجبلى مكونة من عدد كبير من السرايا ومن رجال لهم خبرة فى القتال الجبلى سميت « قافلة كربلاء » ووصل حجمها الى ما يساوى فرقتين من الحرس الثورى الايرانى وكان ذلك فى الوقت الذى شنت فيه ايران مجموعة من العمليات أطلق عليها كربلاء (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤) لتحل محل العمليات « فى الفجر » .

كربلاء ١ :

بدأ الهجوم الايرانى على المواقع العراقية فى المرتفعات الموجودة حول مهران يوم ٢٠ يوليو ، ومنذ البداية ظهر تفوق المقاتلين الايرانيين على العراقيين فى القتال الجبلى الى حد ما . واستخدمت ايران الغازات الحربية ، كما استغلت عدم قيام القوات العراقية بدفع داوريات استطلاح وتأمين حول وأمام المواقع على مسافات تزيد عن ٢٠ كم . وكنتيجة لذلك تمكنت القوات الايرانية بسرعة من اقتحام المواقع العراقية المدافعة عن مهران وكبدتها خسائر وصلت الى ٢٠٠٠ قتيل .

بعد هزيمة القوات العراقية فى مهران حاولت العراق الرد بشن هجوم على المواقع الايرانية فى مجنون ولكن الهجوم فشل الأمر الذى أجبر العراق الى اللجوء الى القوة الجوية . فبدأت العراق سلسلة من القصف الجوى ضد أهداف عديدة بعد توقف دام ثلاثة شهور وفيما بين ٢٠ ، ٣٠ يوليو هاجمت القوات العراقية مصنعا للسكر ومعسكرا ومعمل تكرير بترول وبعض الأهداف المدنية فى آراك وماريفان وساناداج ، كما توسعت العراق فى توجيه ضربات جوية ضد الأهداف البترولية الايرانية . وفى ١٢ أغسطس قامت المقاتلات الايرانية بهجمات ضد المنشآت البترولية العراقية بهجمات ضد المنشآت البترولية الايرانية فى جزيرة سيرى لأول مرة واصابت ثلاث ناقلات بترول ايرانية فى الميناء . وكانت هذه الجزيرة تبعد ٦٤٠ كم عن العراق وعلى مسافة ٢٤٠ كم من مضيق هرمز . ولهذا فان هذا الهجوم اثبت أن ايران تواجه مشكلة فى ايجاد اسلوب آمن لتصدير بترولها بعد أن كانت تعتقد أن المناطق التي اختارتها بعيدة عن مرمى الطيران العراق . وكررت العراق قصف الجزيرة عدة مرات ، كما قصفت المنشآت البترولية فى الأراضى الايرانية ، ففى أواخر أغسطس نفذت العراق ١٢٠ طلعة / طائرة ضد خرج وحدها . وفى ٣ سبتمبر أعلنت العراق أن كل

المنشآت البترولية الايرانية فى مدى قواتها الجوية .

وردت ايران بتوجيه ضربة صاروخية ضد العراق واختارت أهدافاً صناعية ومنشآت بترولية لهذه الضربة . بل لقد بدأت ايران فى استخدام صواريخ انتاج ايرانى اطلقت عليه اسم « أوغاب » ومداه ٤٠ كم ووزن الرأس الحربية ٧٠ كيلوجرام ويبدو أنه تطوير للصاروخ الصينى ماركة ٨٢ . ووصل عدد الصواريخ التى أطلقتها ايران فى عام ١٩٨٦ الى ١٩ صاروخ ، وفى عام ١٩٨٧ الى ٨١ صاروخ وفى عام ١٩٨٨ حوالى ١٠٤ صاروخ . ومع ذلك كان تأثير هذه الصواريخ ضعيفا نسبيا لأسباب كثيرة .

من كل هذه الأحداث وغيرها لم يكن أمام ايران الا أن تنتصر فى القتال البرى ، فايران تمتلك القوة البشرية وان كانت تقابلها كثير من المشاكل . ومع ذلك تمكنت من الوصول بقواتها البرية الى ما يساوى ١,٢٥ مليون فرد وامكنها أن تطور فى تنظيماتها (٦٥٠٠٠٠ قوات عاملة مستديمة وحوالى ٥٥٠٠٠٠ قوات تعبئة واحتياط تخدم لفترات مختلفة) . وكانت قوة الجيش النظامى حوالى ٣٥٠٠٠٠ جندى مشكلة فى فرق ، ولكن قوة الفرقة انخفضت الى عشرة آلاف جندى . أما الحرس الثورى فكان قوامه ٣٥٠٠٠٠ جندى أيضا مشكلة فى فرق أصغر قليلا من الفرقة فى الجيش النظامى . وبخلاف الجيش النظامى كانت قوات الحرس الثورى تلعب دوراً رئيسياً فى تحقيق الأمن الداخلى .

ولقد أجبرت عملية الفاو ايران على اجراء بعض التغييرات فى نظام التجنيد والتطوع لا يعتمد على حمى الثورة والقومية . وفى ابريل اصدر الخومينى فتوى بضرورة شن هجوم جديد وأن الحرب يجب أن تنتهى قبل عيد النيروز المقبل أو رأس السنة الفارسية أى فى ٢١ مارس ١٩٨٧ . ولذلك استدعت الدولة ٥٠٠ كتيبة متطوعين (كلٌ من ألف فرد) فور صدور هذه الفتوى .

كربلاء ٢ ــ كربلاء ٣ :

رغم أن الجهود التى بذلتها ايران لبناء وتطوير قدراتها الهجومية قد انتهت فى اغسطس وسبتمبر فلقد ظهرت خلافات حادة داخل القيادة الايرانية . فلقد انتشرت اشاعات ان هناك تنافس بين الخمينى ورافسنجانى حول القوة العلمانية التى تنادى باستراتجية حريصة تعتمد على نصيحة المحترفين العسكريين والحرس الثورى التى تدافع عن تكتيكات الموجات

البشرية ومعارك الاستنزاف والحمى الثورية .

وبغض النظر عن حقيقة الانقسام داخل القيادة الايرانية العليا فان ذلك لم يمنع ايران من الاستعداد للهجوم . ففى ٢٩ أغسطس اعلن رافسانجانى أن ٦٥٠٠٠٠ متطوع تم حشدهم للهجوم النهائى . وفى سبتمبر اذاعت ايران تقارير تقول أنها ارسلت ٣٥٠٠٠٠ جندى جديد للانضمام للحرسي الثورى بالجبهة لشن الهجوم النهائى واعلن وصول ٥٠٠ كتيبة جديدة من المتطوعين . وفى نفس الوقت حاولت ايارن استثمار أى انقسامات داخل العراق فأعلنت عن رغبتها فى تبادل الأسرى مع العراق ، كما ألقى الرسميون الايرانيون خطبا أن أى حكومة جديدة فى بغداد لن تطالب بدفع تعويضات فى حالة الانتصار الايرانى . وقامت ايران بشن سلسلة من الهجمات لاستعادة الهيئات الحيوية فى منطقة الحاج عمران فى ٣١ أغسطس أطلقت عليها « كربلاء ـ ٢ » . ولقد اشترك مع القوات الايرانية فى هذا الهجوم قوات كردية ، وتم الهجوم على حوالى خمسة لواءات من الفيلق الخامس العراقى . ويبدو أن ايران تمكنت من الاستيلاء على مرتفعات كوريمان التى تشرف على كردستان . ونفذت القوات الجوية العراقية مائة طلعة / يوم لمعاونة القوات المدافعة ، وكان واضحا أن القتال كان عنيفا .وبحلول ٣ سبتمبر تمكنت ايران من الاستيلاء على جبل مارماند وبعض الهيئات فى الحاج عمران بالقرب من كردستان . بعد ذلك تم دفع قوات حرس ثورى ومتطوعين فى المعركة ولكن دون تنسيق وتنظيم تعاون جيد . وقامت تدعيمات عراقية من قوات الفيلق الخامس العراقى (كتيبة ٤٠٤ قوات خاصة ، كتيبة حرس جمهورى) بشن هجوم مضاد مستغلة سوء تنظيم التعاون بين القوات الايرانية وتمكنوا من طرد الايرانيين من معظم الهيئات التى استولوا عليها . وانتهى الهجوم الايرانى بمجرد الاستيلاء على بعض القرى الصغيرة وبعض الكبارى على الطريق وهيئة واحدة بالقرب من الطريق .

وفى معركة كربلاء ـ ٣ حدثت نفس المشاكل فى التنسيق وتنظيم التعاون . لقد بدأ هذا الهجوم فى أول سبتمبر عندما قامت العناصر البرية من الفيلق الجوى بالاستيلاء على منصة بترول آل ـ أمية ضد قوة صغيرة عراقية ودمرت محطة رادار عراقية على المنصة كانت تستخدمها العراق لمراقبة السفن فى الخليج . وكان الايرانيون يأملون فى فتح وحدة مدفعية يمكنها ضرب أم قصر وميناء البكر من الجنوب . وفى ٢ سبتمبر أمر قائد الحرس الايرانى قوة من قوات الكومندوز قوامها ٢٠٠٠ رجل بالتحرك فى مجموعات صغيرة بالقوارب من رأس اليشه فى اتجاه منصة آل ـ أمية ومنصة البكر فى الخيج . وخلال التنفيذ قامت

الطائرات والهليكوبترات المسلحة والمدفعية العراقية بضرب هذه القوة ولم يتمكن سوى ١٣٠ رجل فقط من الوصول الى منصة آل ـــ أمية . بعد ذلك ابرت قوات مظليين عراقيين فوق المنصة وتم استردادها من الايرانيين .

وكل ما أمكن ايران أن تفعله فى الخليج لم يكن الا ادارة عمليات بحث واستيلاء . وزادت ايران من نشاط بحريتها فى اعتراض السفن فى الخليج ، فكانت تعترض وتقوم بتفتيش من ١٥ الى ٢٠ سفينة فى اليوم .

وكانت العراق لازالت تركز على الحرب الجوية والاستمرار فى شن هجمات جوية عميقة وفعلا قصفت مصفاه فى تبريز فى اغسطس ١٩٨٦ ، ثم هاجمت نقطة شحن بترول إيرانية عند لافان فى سبتمبر . ثم شنت العراق سلسلة ناجحة من الغارات على جزيرة خرج وجزيرة لاراك أحدثت أثرا ملموسا على صادرات البترول الايرانى .

واستمرت القوات الجوية العراقية فى مهاجمة مستودعات ومخازن الذخيرة ووحدات المدفعية الايرانية على طول الحدود وقصفت المدن القريبة من الحدود مثل ماريفان ، وموسك ورابات ، فى حين قامت ايران بشن ضربة صاروخية ضد بغداد فى نوفمبر ولكن تأثيرها كان محدودا ، وفيما عدا قليل من الهجمات الجوية واسقاط عدد قليل من الطائرات العراقية وقفت ايران عاجزة تتلقى الضربات الجوية العراقية . وأصبحت الحرب صراعا بين قدرة العراق على استخدام قواتها الجوية فى اضعاف الاقتصاد الايرانى وقدرة ايران فى استخدام قواتها البرية لغزو العراق . واستمرت العراق تعانى من نفس المشاكل التى اثرت على قدراتها فى استخدام القوات الجوية طوال الحرب . فلقد استمر تأثير ضرباتها الجوية غير حاسم ، كما أنها فشلت فى استخدام قواتها الجوية فى شن هجمات وضربات جوية مستمرة فعالة لأسباب قد تكون عدم كفاءة التأمين الفنى أو لأسباب أخرى . ومع ذلك حققت العراق بعض الانجازات فى ضرباتها الجوية ضد تصدير البترول الايرانى واجبرت ايران على زيادة الانفاق الايرانى وخفض اسعار البترول (اعطاء خصم خاص لتشجيع التصدير) . لكن عدم استمرارية الضربات العراقية بالعنف والقوة الكافية الأمر الذى ادى الى عدم تحقيق خفض وتأثير كبير فى حجم صادرات البترول الايرانى . كما أن العراق لم تتابع ضرب الأهداف التى تغير عليها لتمنع ايران من اصلاحها أو استعادتها لكفاءتها ، وبتعبير آخر لم تحقق الضربات الجوية العراقية التأثير المطلوب فى تدمير الاقتصاد الايرانى .

ويبدو أن العراق وعيت هذه الحقيقة ولذلك أخذت فى العمل على تدعيم قوتها البرية . وأخذ المسئولون العراقيون يحذورن من أن الهجوم الايرانى الرئيسى المتوقع قريب وسيوجه الى أكثر من قطاع لاستنزاف الاحتياطيات العراقية . وعلى الرغم من المشاكل التمويلية التى تواجهها العراق فلقد وصلت قواتها البرية الى ٨٢٠٠٠٠ رجل ، وتمكنت من استكمال فيالقها السبع الى مرتب الحرب (كانت تنتشر هذه القوات على مواجهة ١١٠٠ كم مع ايران) . ووصل عدد الفرق العراقية الى ٤٦ فرقة وان كان الخبراء الغربيون يرون أن حجم الفرقة العراقية بالمقارنة بالعقيدة الغربية لا يعد أن يكون فى حجم لواء (أو أكثر قليلا) مدعم . ورفعت القيادة العراقية حجم قوات الحرس الجمهورى من ست لواءات الى ١٧ لواء ميكانيكى ومدرع وسلحتها بدبابات ت ــ ٧٢ . وبهذا توفر للعراق قوة صدمة نامية مدربة على أعمال الهجوم والهجوم المضاد ، وبدأت العراق تغير من عقيدة الدفاع الثابت تدريجيا . كما زادت من عدد المواقع والخطوط الدفاعية وحقول الألغام والأسلاك الشائكة وزادت من عدد الدبابات المتخندقة فى خطوطها الدفاعية فى النطاقات الأمامية للدفاع . كما زادت من حجم وحدات المدفعية فى كل نطاق دفاعى ومنطقة دفاعية ووضعت خطة نيران دفاعية جيدة تعتمد على نيران الايقاف وحشود وتجمعات النيران المسجلة مسبقا .

ولم تحدث أعمال قتالية رئيسية بعد معركة كربلاء ــ ٣ وحتى أواخر ديسمبر ، ولكن ايران لم توقف نشاطها البرى بعد معركتى كربلاء ــ ٢ وكربلاء ــ ٣ . فقامت بالاستيلاء على بعض الهيئات التى تشرف على مهران وفى منطقة الحدود حول بدرة وزرباطيه وفارماهراز . وعقد الخومينى اجتماعا موسعا مع القادة فى سبتمبر وبدأت تظهر شائعات بأن ايران ستشن هجوما عاما يوم ٢٢ سبتمبر .

وخلال سبتمبر وأكتوبر استمرت ايران فى ادارة بعض الأعمال البرية الصغيرة للضغط على معنويات القوات العراقية ، واستمرت فى ضرب نيران ازعاج بالمدفعية على البصرة وشن غارات بقوات الكوماندوز على بعض الأهداف الحيوية مثل المصفاة الرئيسية فى حقل كركوك رغم عدم تحقيق نجاحات تذكر . وفى المقابل استمرت العراق فى توجيه ضرباتها للأهداف البترولية الايرانية (معمل تكرير شيراز ، المراكز الصناعية فى اصفهان وغيرها) .

وفى سبتمبر شنت العراق غارات ناجحة ضد خرج ، وفى أكتوبر تمكنت من غلق المرفأين الباقيين العاملين فيها الأمر الذى تسبب مؤقتا فى ايقاف تصدير حوالى ٨٠٠٠٠٠

برميل / يوم من البترول الايرانى .

ثم كانت فضيحة ايران حيث التى كشفت عن قيام الولايات المتحدة الامريكية بامداد ايران بصفقة أسلحة عاونتها فيها اسرائيل شملت صواريخ موجهة مضادة للطائرات من طراز هوك وصواريخ مضادة للدبابات تاو . ولكن هذه الأسلحة كان لها تأثير محدود على القتال .

وفى الوقت الذى استمرت فيه العراق فى شن ادارة الحرب الجوية كانت ايران تستعد لهجوم برى رئيسى جديد . وفى نوفمبر شنت العراق سلسلة من الغارات الجوية وقامت حوالى ٥٤ مقاتلة عراقية بمهاجمة ستة أهداف من بينها موقع صواريخ هوك بالقرب من ديزفول وقاعدة برية وقاعدة جوية ومحطتى سكة حديد . وقطعت الطائرات ميراج اف ـــ ١ العراقية التى قصفت لاراك مسافة ١٥٦٠ ميل وكانت هذه الضربة مفاجأة لإيران واصيبت عدة سفن ايرانية واعتبرت هذه الغارة نجاحا استراتيجيا للعراق . ورغم أن العراق حصلت على طائرات امداد وقود بالجو فان الغارة على لاراك اثبتت أن مدى القوات الجوية العراقية زاد عن ذى قبل . كما تسربت معلومات تفيد أن العراق تمكنت من تطوير ١٠ طائرات اليوشن ١٢ سوفيتية لاستخدامها كطائرات امداد بالوقود جوا ، كما تمكنت العراق من استخدام نظام فرنسى لامداد الطائرات الميراج ف ـــ ١ جواً بالوقود . واستمرت العراق فى ضرباتها الجوية ضد خرج (٢٧ مرة فى نوفمبر) وضد المصافى فى طهران واصفهان وتبريز ، وأهداف أخرى عديدة . وتحسن استخدام القوات الجوية العراقية للقنابل الموجهة بالليزر ، كما ارتفع معدل الطلعات وتحسنت تكتيكات الهجمات الجوية .

روغم صفقات الاسلحة التى عقدتها ايران فانها لم تتمكن من تحسين قدراتها فى القتال الجوى . وبحلول شتاء عام ١٩٨٦ بدى أن القوات الجوية الايرانية أصبحت لا تملك سوى ٤٠ طائرة صالحة للقتال الجوى (دفاع جوى) وحتى ٨٠ ـــ ١٠٠ طائرة لمهام أخرى . وقالت بعض المصادر أنه لم يبق لدى ايران من الطائرات ف ـــ ١٤ سوى سبع طائرات فقط ، ٢٠ طائرة ف ٤ ، ومن ١٠ الى ١٥ طائرة ف ـــ ٥ . ومع ذلك تمكنت ايران من تطوير الدفاع الجوى عن القواعد الجوية .

كربلاء ــ ٤ :

بالرغم عن أن ايران قامت بالقليل من الأعمال القتالية البرية فيما بين نهاية سبتمبر وأواخر ديسمبر الا أنها استمرت فى التهديد بشن هجوم رئيسى . وادعت فى منتصف أكتوبر أن الاكراد الموالين لها قصفت كركوك .

وفى ديسمبر أعلنت ايران عن تحرك قوة حجمها ١٠٠٠٠٠ جندى من المتطوعين الى جبهة الخليج . وفى ديسمبر ٢٣ ــ ٢٤ شنت ايران هجوما جديدا ليليا أطلقت عليه كربلاء ــ ٤ اذ قامت قوات ايرانية باقتحام شط العرب على مواجهة ٢٥ ميل امتد من أبو القصيب جنوب البصرة وحتى جزيرة أم الرصاص بالقرب من عبدان . وتم الهجوم على مواقع الفيلق الثالث العراقى فى المنطقة شرق البصرة وقوات الفيلق السابع فى منطقة بالقرب من شبه جزيرة الفاو . وبدأ الهجوم بقوة حوالى ١٥٠٠٠ رجل قامت بتأمين جزر أم الرصاص ، وأم بابى وقاطيه وسهيل . وكانت هذه الجزر تشكل شبه جسر (كوبرى) عبر شط العرب (عرضه ٤٨٠ متر والتيار فيه بطىء) . وقاد الهجوم مجموعة من قوات الكوماندوز والضفادع البشرية تمكنت من الاستيلاء على جزيرة أم الرصاص والجزر الصغيرة القريبة منها . بعد ذلك قامت ايران بشن هجوم نهارى على المواقع العراقية فى الأراضى العراقية التى تدافع عن طرق شط العرب . وقاد الهجوم عناصر من فرقة أطلق عليها « فرقة النبى محمد » وهو الاسم الذى استخدمته ايران لتعبئة مائة ألف مقاتل اضافى من المتطوعين وشكلتهم فى ٥٠٠ كتيبة . وفى الوقت الذى اشترك فى الهجوم اعداد كبيرة من القوات ذات خبرة قتالية جيدة فان الهجوم اعتمد اساساً على وحدات أقل خبرة وتدريباً . وقامت قوات حجمها ٦٠٠٠٠ رجل من الحرس الثورى والمتطوعين بعبور شط العرب الى أم الرصاص والى الشاطىء العراقى للشط . وعندما حاولت هذه القوة التحرك على طول طريق شط العرب فى اتجاه البصرة لم تقدم لها الدعم الكافى من القوات النظامية الايرانية وكانت معاونة المدفعية بالنيران عبر شط العرب قليلة وضعيفة . وكانت معظم القوات الايرانية النظامية فى مكان آخر على الجانب الآخر من البصرة أو تم تجميعهم فى المنطقة الوسطى من الجبهة فى مواجهة بغداد . كما أن التحضيرات للهجوم ضعيفة تشبه تلك التحضيرات التى نفذت فى الهجوم على الفاو . وكانت هذه القوات تهاجم مواقع عراقية دفاعية جيدة التجهيز وقوية وخاصة فى قطاع أم الرصاص ، وتم الهجوم بالمواجهة خلال الاسلاك الشائكة وحقول الالغام وضد قوة نيران حولت المنطقة الى ارض قتل مثالية . كما

أن تشكيل القتال للهجوم كان سيئا ، ولم تحاول القوات الايرانية استخدام تكتيكات التسلل التى دربوا عليها . وبمجرد دفع القادة الايرانيون لقواتهم استمروا فى شن نيران كثيفة من اسلحة المشاة ضد مواقع مجهزة . وفى الواقع كانت العملية كربلاء ـــ ٤ أسوأ هجوم من حيث التنظيم والتخطيط خلال هذه الحرب . وهو الى حد كبير شبيه بهجوم المشاة اليائس الذى قامت به انجلترا وفرنسا وألمانيا ضد قوات متخندقة فى دفاعات جيدة التجهيز خلال الحرب العالمية الأولى .

وخلال يوم ونصف من القتال اصبح واضحا حجم الخسائر التى تعرضت لها القوات الايرانية عندما أخطأت فى شن هجوم بالمواجهة ضد دفاعات منظمة وقوية . فالقوات العراقية لم تستخدم فى القضاء على القوات الايرانية أسلحة الرمى المباشر والمدفعية فقط بل استخدمت الطيران والهليكوبترات المسلحة ضد القوات معرضه ومكشوفة . وتم اغراق معظم القوات البرمائية الايرانية وتم دفع القوات الايرانية عبر شط العرب وفقدت ايران ١٢٠٠٠ قتيل وجريح . وأعلنت العراق أنها قتلت مائة جندى ايرانى مقابل كل جندى عراقى استشهد وان اجمالى الخسائر الايرانية ما بين ٦٠٠٠٠ ، ٩٠٠٠٠ قتيل وجريح ، وأعلنت ايران أنها قتلت ما بين ٩٥٠٠ ، ١٤٠٠٠ جندى عراقى .

الهجوم الايرانى النهائى ضد البصرة

بعد معركة كربلاء ـــ ٤ ببضع اسابيع شنت ايران هجومين جديدين الأول اطلقت عليه كربلاء ـــ ٥ ضد البصرة مباشرة ، والثانى كربلاء ـــ ٦ ضد منطقة شمالى بغداد بين قصر شيرين وسومار .

وكانت كربلاء ـــ ٥ هى الأهم والأحسن تخطيطا . وكانت ايران تدرس وتخطط لشن عملية ضد البصرة منذ مدة طويلة . وقامت بتدريب القوات فى منطقة مستنقعات بالقرب من بحر قزوين لاختبار انسب فكرة للعملية التى يمكن شنها عبر المانع المائى أمام البصرة . وكانت هذه التدريبات هى مشروع تدريبى مشترك لعدة فرق ايرانية.وهى بمثابة أول تدريب منظم تنفذ فيه فكرة معركة الاسلحة المشتركة . وفى أوائل يناير فتحت ايران حوالى ٢٠٠٠٠٠ جندى أمام القطاع الجنوبى من الجبهة وهو تقريبا نفس هجم القوات العراقية التى ستواجهها ، أى أن ايران حققت نسبة ١ الى ١ فى القوة البشرية . وكانت معظم هذه القوات من قوات الحرس الثورى والمتطوعين . واشترك فى الضربة الأولى حوالى

٦٠٠٠٠ رجل (النسق الأول) تقدمت عبر المواقع الايرانية بالقرب من سلامكه وكانت نقطة عبور الحدود على بعد ٢٠ كيلو متر من البصرة . وتم فتح قوة قوامها ٦٠٠٠٠ جندى ايرانى أخرى فى الخلف كاحتياطى (أو نسق ثانى) . وكانت ٧٠٪ من كل هذه القوات من الحرس الثورى والمتطوعين ، ٣٠ ٪ من الجيش النظامى .

وكان الهدف التكتيكى من العملية كربلاء ــ ٥ هو توجيه ضربة عبر الحدود بالقرب من البصرة ثم الالتفاف وعبور المانع المائى بالمنطقة . وكان على قوة الضربة اختراق دفاعات البصرة وعزلها عن باقى القوات العراقية . ويبدو أن الهدف الاستراتيجى كان الاستيلاء على البصرة وتحويلها الى عاصمة للعراق فى الجنوب وتدمير القوات العراقية الموجودة فى الجنوب واسقاط حزب البعث العراقى ونظامه ثم التقدم شمال والاستيلاء على كربلاء والنجف المدينتين الشيعيتين المقدستين . وكحد أدنى اضعاف الجيش العراقى واستنزافه وحصار البصرة وتلقين درس لباقى دول الخليج لا ينسى . وواجهت ايران صعوبات خطيرة فى الطريق لتحقيق أى من هذه الأهداف . لقد أنشأت العراق دفاعات قوية حصينة يصعب التغلب عليها الى جانب وجود مانع مائى حول البصرة . لقد انشأت العراق مانعا مائيا عرضه كيلومتر يمتد على الحدود الشمالية الجنوبية للبصرة ثم يغير اتجاه فجأة بزاوية ٩٠ درجة شرقا . وقامت بانشاء جسر ترابى على طول الحدود لمنع المستنقعات من أن تجف .

مع بداية عام ١٩٨٢ بدأت العراق فى إنشاء بحيرة صناعية كبيرة عبر شط العرب من البصرة وحتى بحيرة الاسماك فى نقطة الاتصال بين الفيلقين الثالث والسابع العراقيين . وتم ملء البحيرة بالمستشعرات ووضع الموانع فى القاع واسلاك شائكة ومناطق يمكن كهربتها عن طريق خطوط الضغط العالى . وتمكنت العراق من التحرك الى المواقع عن طريق ترابى يبدأ عند السلامكة وعدد من المسطحات الترابية الصغيرة خارج البحيرة . وتم تدعيم هذه الحواجز المائية بواسطة عدد من القنوات الأصغر وموانع مائية مختلفة . وعليه خلق مسطح مائى مساحته حوالى ٢٠٠ كيلومتر مربع ساعد فى الدفاع عن الشاطىء القريب ، كما أن شط العرب كان مانعا مائيا رئيسيا خلف هذه البحيرة . ودعمت العراق هذه الموانع المائية بالمواقع الحصينة للبصرة وكانت تتكون من ست نطاقات (أو دوائر) عندما بدأ الهجوم الايرانى .

وقامت العراق بتنفيذ أعمال ترابية قوية وانشاء مواقع دفاعية قوية على طول الحدود شمال

الشط رغم اعتمادها على الموانع المائية كنطاق أمن ضد ايران ، ولكنها لم تنشىء مواقع خلفية لترتد لها القوات بالقرب من الحدود . وكانت للعراق دفاعات أمامية قوية على الشاطىء الجنوبى لشط الحعرب شرق أبو القاصب وهو مركز مصافى كبير غير بعيد عن ركن الحدود على مسافة ١٠ كم من البصرة .

وكان من الممكن أن تكون هذه الدفاعية أكثر فاعلية عليه لو لم تتمكن ايران من تحقيق المفاجأة التكتيكية . كيف نجحت ايران فى تحقيق هذه المفاجأة ؟ والاجابة لا توجد عوامل أو أسباب واضحة لذلك . لقد اكتشفت العراق الاستعدادات الايرانية للعملية كربلاء — ٥ ولكن يبدو أن القوات العراقية لم تتمكن من معرفة اتجاه المجهود الرئيسى وتوقيته . وكانت للعراق قوات قوية بالمنطقة تشمل اربع فرق وخمسة لواءات حرس جمهورى . وكان المفروض أن تتمكن العراق من ادارة عملية دفاعية قوية منذ اللحظة الأولى ، ولكن كانت بعض الوحدات الرئيسية خارج مواقعها الدفاعية (غير محتلة للدفاعات) عندما بدأ الهجوم . وكانت القيادة العراقية قد احتفظت بفرقتين على الجانب الغربى من شط العرب للدفاع عن البصرة ، وعليه لم يكن لدى العراق قوات كافية للدفاع عن النطاق الدفاعى الأول . كما يبدو أن العراق لم تستوعب الدروس التى كان يجب أن تستنبطها من خبرة القتال فى المستنقعات عام ١٩٨٥ أو من خسائرها فى الفاو فى أوائل عام ١٩٨٦ .

ولم تكن الاحتياطيات العراقية على درجة الاستعداد التى تمكنها من التحرك بسرعة عندما بدأ الهجوم الايرانى ولذلك كان تحركها بطيئا . وكانت الأحوال الجوية مناسبة للايرانيين . فلم تكن المياه فى المستنقعات فى أعلى مستوياتها ولكنها كانت كافية لتشغيل محركات القوارب . وفى المقابل كان تحرك المدرعات العراقية صعبا . وكنتيجة لكل ذلك حققت القوات الايرانية بعض النجاحات المبكرة ، ففى ٩ يناير ١٩٨٧ هاجمت القوات الايرانية فى اتجاه خوسك فى اتجاهين شمال شرق بحيرة السمك ، وجنوب شرق فى الاتجاه العالم السلامكه . وكان المفروض أن تقوم هذه القوات بتطويق بحيرة السمك وتدمير القوات العراقية التى تحمى البصرة على الشاطىء الشرقى لشط العرب على أن تتلاق الشعبتين المهاجمتين فى مكان بالقرب أبو الحازب .

دفعت ايران فى الموجة الأولى للهجوم ٥٠٠٠٠ جندى ابتداء من الساعة ١٠٠ بعد منتصف الليل . ولكن لم تكن القوات الايرانية لديها الخبرة الكافية لاستغلال ميزة الهجوم

ليلا وأن الأحوال الجوية لصالحها وكالعادة دفعت فى المقدمة موجات من المتطوعين لمهاجمة المواقع العراقية يليها قوات الحرس الثورى . وكان الهجوم الابتدائى ناجحا نسبيا خاصة وان القيادة وفرت لقوات المتطوعين وقوات الحرس الثورى ضباط وضباط صف لهم خبرات قتالية سابقة فى هذا الأسلوب من الموجات البشرية . وخلال اليوم الأول قتال تمكنت القوات الايرانية من الاستيلاء على بلدة حدودية صغيرة . وعلى الرغم من كثافة وشدة النيران العراقية استمر تقدم القوات الايرانية ببطء واستولت على عدد من المواقع المتاخمة للحدود . ويبدو أن كلا الطرفين استخدم غازات الحرب فى هذا القتال . واستولت القوات الايرانية على السلامكه على بعد ٣٠ كم جنوب البصرة واخترق أول خطين دفاعيين بالقرب من خوسك على بعد ٤٠ كم شمالا . وبذلك تكون القوات الايرانية قد استولت على رأس جسر عبر الحدود وأمنته وبدأت القوات الايرانية فى التحرك على طول الشاطىء الشرق لشط العرب على بعد ٢٠ كم من الضواحى الخارجية للبصرة . وفشلت الهجمات المضادة العراقية التى شنتها فى ١٠ يناير ، كما حاولت العراق استخدام المركبات المدرعة البرمائية ولكن هذه المركبات كانت بطيئة الحركة فى الأراضى الوحلة ولم تتمكن القوات العراقية من المناورة بقواتها بفاعلية ضد المشاه الايرانية المزودة بالاسلحة الخفيفة المضادة للدبابات . وتمكنت القوات الايرانية من الثبات على شريط عرضه ٦ كم من الأرض بين بحيرة السمك وشط العرب ثم بدأت تتقدم فى اتجاه الجنوب الشرقى . كما نجحت بعض الوحدات الايرانية فى اختراق الدفاعات حول البصرة . وفى ١١ يناير اعلنت ايران أنها قتلت ١٤٠٠٠ جندى عراقى وأعلنت العراق أنها دمرت ١١ فرقة قوات متطوعين وحرس ثورى وأربعة لواءات باجمالى ٦٠٠٠٠ جندى .

وفى ١٣ يناير أعلن وزير الحرس الثورى الايرانى نداءاً الى المواطنين للتطوع فى الخدمة فى « فرقة النبى محمد » . وفعلا تطوع ٢٠٠٠٠٠ شاب من اجمالى ٥٠٠٠٠٠ رجل طلبتهم الدولة . وفى ٢١ يناير أعلنت العراق عن طلب متطوعين فيما بين سن ١٤ عام ، ٣٥ عام .

وبدأ سير المعركة يتغير الى جانب من أمكنة فتح تدعيمات أكبر . قامت العراق بدفع قوات الحرس الجمهورى يوم ١٢ يناير وبدأت الدفاعات العرقي تتماسك . وفى الوقت الذى كانت فيه الخسائر العراقية جسيمة ولكنها كانت اقل جسامة بكثير من الخسائر الايرانية . وكانت العراق لازالت تحتفظ بمعظم اسلحتها ومعداتها الرئيسية وكانت قادرة على

استخدامها بفاعلية تتزايد باستمرار وكلما تقدمت القوات الايرانية فى الأراضى الجافة المتماسكة وتهاجم الدفاعات الرئيسية عن البصرة كلما تعرضت أكثر للخسائر نتيجة ضعف قوة نيرانها وانخفاض محركتها لتتمكن من تحقيق معدلات الاختراق المناسبة . وبدأت القوات الايرانية تواجه مشاكل خطيرة لسوء نظام الامداد فى القتال والنقص فى الذخيرة .

وفى يناير تمكن العراق من اقحام كل قواتها الجوية التى عملت بجرأة وقوة . وحققت القوات الجوية العراقية معدلات طلعات وصلت الى ٥٠٠ طلعة فى اليوم لمعاونة القوات البرية .

وردت ايران على ذلك بدفع النسق الثانى بقوة ٥٠٠٠٠ جندى فى المعركة . ولكنها لم تحقق نجاحات تذكر ، وفى ١٧ يناير شنت ايران هجوما بحريا ضد بعد الأهداف الموجودة بالقرب من الشط . وفى ١٨ يناير تمكنت ايران من الاستيلاء على بوفارين ودويخه وأم التلول والفياز فى الشط . ولكن لم تتمكن القوات الايرانية القائمة بالهجوم من الشمال من الاتصال بالقوات المهاجمة من الجنوب كما كان مخططا . ورغم دفع ايران للنسق الثانى فلقد تكبدت القوات الايرانية خسائر جسيمة وتوقف تقدمها تقريبا . وفى ١٦ يناير قدرت الأوساط العسكرية العالمية أن ايران خسرت ٤٠٠٠٠ جندى والعراق ١٠٠٠٠ جندى وعليه فكل ما حققته ايران فى الفترة ما بين ١٦ ، ١٩ يناير هو اختراق جزئى لبعض المواقع القليلة بالقرب من البصرة وبدأت فى محاولة حصار المدينة وقصفها بالمدفعية والصواريخ . وشنت قوات المتطوعين هجوما جديداً يوم ١٩ ، ٢٦ يناير وفعلا أصبحت هذه القوات على مسافة حوالى ١٥ كم شرق البصرة ، ٣ كم من المواقع الدفاعية الرئيسية العراقية فى أبو الخصيب ، ولكنها لم تضف شيئاً لمساحة الستين كيلومتر مربع السابق الاستيلاء عليها وبدأت القوات الايرانية فى التقدم بمعدلات امتار بدلا من الكيلومترات — هذا اذا نجحت فى التقدم .

واستمرت العراق فى التعرض للخسائر فى كل افرع القوات المسلحة حتى أنها اعترفت بفقدانها لعدد ٥٠ طائرة تمثل ١٠٪ من طائراتها العاملة . وفى فبراير واجهت العراق مشكلة فى فاعلية نيران المدفعية وقتال الطائرات بسبب طبيعة الأرض التى تحولت الى طينية تسببت فى عدم انفجار الكثير من الدانات والقنابل لأنها كانت تغوص فى التربة قبل أن تنفجر ويحدث ما نسميه « انفجار باطنى » اى تحت سطح الارض فلا يحدث تأثيراً يذكر .

ونتيجة ذلك تمكنت القوات الايرانية من التسلل ليلا والتخندق وتحمل نيران المدفعية الكثيفة على المواقع .

وكان الضغط الايرانى على البصرة من العنف بحيث اضطرت القيادة العراقية لدفع قوات اضافية من قوات الحرس الجمهورى وفتح قوات الفيلق السابع لتدعيم الدفاعات حول البصرة .

كان القتال البرى وحشيا وخاصة فيما بين ٢٩ يناير ، ٣١ يناير . وقامت ايران بشن هجوم ليلى جديد يوم ٢٩ يناير ونجحت فى اختراق الخط الدفاعى الثالث العراقى ووصلت الى الشاطىء الغربى لنهر ياسمين . ومع ذلك لم يكن هذا النجاح ذو قيمة عملية فالقوات الايرانية تكبدت خسائر جسيمة وبدأ معدل الاختراق ومعدل الهجوم ينخفض بشدة . وكانت الخسائر الايرانية من الشدة بحيث انتقلت المبادرة الى الجانب العراقى ، ففى ٣١ يناير شنت العراق عدة هجمات مضادة واستردت مساحة ٢٠ كيلومتر مربع فى منطقة بحيرة السمك . وفى أوائل فبراير وصلت الخسائر الايرانية الى ١٧٠٠٠ قتيل ، ٤٥٠٠٠ جريح أما الخسائر العراقية فوصلت الى ٦٠٠٠ قتيل ، ١٥٠٠٠ جريح . وكانت ايران قد دفعت فى المعركة أكثر من مائة ألف جندي . وعلى أى حال اصبحت القوات الايرانية فى موقف لا يمكنها فيه دفع احتياطيات أو تدعيمات جديدة . واستمر القتال العنيف حتى منتصف فبراير وكان اداء القوات العراقية جيداً . وفى الوقت الذى كانت فيه القوات الايرانية تحتل قوسا من المواقع على مسافة ١٠ كم من البصرة فانها لم تتمكن من التحرك خارج الشريط الضيق بين شط العرب وبحيرة السمكن ، وكان جزء كبير من القوات يحتشد فى منطقة لا تزيد عن ٥ كم طولا × كيلو متر واحد عرضا . وبنهاية الأسبوع الثالث من فبراير كانت مساحة الأرض التى استولت عليها ايران لا تزيد عن ١٠٠ كيلو متر مربع من المستنقعات والأرض التى تغرقها المياه وبعض مزارع النخيل .

وحركت ايران جزءا من وحدات الجيش النظامى من جهة سومار وبدا كما لو كانت تعيد فتح مدرعات ومدفعيتها لشن هجوم عام نهائى على البصرة . وفعلا قامت ايران بشن هجومين فى فبراير ٢٢ ــ ٢٣ ولكن لم يشترك فى الهجوم سوى عدد قليل من الفرق المشاة التى قامت بمهاجمة المواقع العراقية شرق البصرة وعلى طول الطريق من الشلاشه الى البصرة . واطلق على هذا الهجوم « يا زهراء » ، وحقق نجاحا محدودا . ومرة أخرى فشل

الهجوم الايرانى فى اضعاف الدفاعات العراقية وانما تكبدت فيه ايران خسائر جسيمة . وكان هذا الفشل هو نهاية العملية كربلاء ــ ٥ . وفى فبراير اعلنت ايران أن مرحلة جديدة من الحرب قد بدأت ولم يعلن الانتهاء الفعلى لعملية كربلاء ــ ٥ انتهاء القتال . وبعد ثلاثة أيام من اعلان ايران انتهاء العملية كربلاء ــ ٥ قامت القوات الايرانية بمهاجمة الدفاعات العراقية حول البصرة . وبفشل هذا الهجوم شنت العراق هجوما مضادا محدودا ضد المواقع الايرانية حول بحيرة السمك ولكن هذا الهجوم المضاد لم يحقق سوى نجاحاً محدوداً .

انتهت المعركة بحصار للبصرة بحجم كبير من قوات المشاة الايرانية ، واتضح للقيادة الايرانية أنها غير قادرة على هزيمة العراق ، وان العراق قادرة على الدفاع عن البصرة ولكنها لم تتمكن من دفع القوات الايرانية للخلف .

البصرة وحرب المدن :

ادى الصراع من أجل البصرة الى قيام العراق بالعودة الى حرب المدن ، فخلال يناير قامت العراق بتوجيه ضربات صاروخية بعيدة المدى (٢٠٠ صاروخ) ضد ٣٥ مدينة ايرانية تشمل قم ونهاوند (جنوب غرب طهران) ورامهورمز واصفهان وديزفول . وبنهاية يناير اعلنت ايران أن أكثر من ٣٠٠٠ مدنى قتلوا فى غضون اسبوع واحد . كما قامت العراق بتوجيه ٧٥ ضربة ضد المنشآت الاقتصادية الايرانية فيما بين أول يناير ، ١٤ فبراير ١٩٨٧ واعلنت ايران أن الغازات والضربات العراقية خلال يناير قتلت ١٨٠٠ وجرحت ٦٢٠٠ . ولم تتكمن ايران من الرد بنفس القوة والعنف وانما قامت طائراتها باسقاط قنابل على البصرة فى ٩ فبراير ، كما شنت ايران ضربة صاروخية ضد بغداد والبصرة . واستمرت العراق فى ضرباتها ضد أهداف فى الخليج وردت ايران بضرب سفن الدول الصديقة للعراق . وكانت تلك الضربات عنيفة وركزت اساساً على الكويت التى فقدت ٧٥ سفينة خلال اربعة شهور فيما بين أول ديسمبر وآخر مارس . وكانت هذه الضربات سببا فى لجوء الكويت الى محاولة رفع اعلام احدى الدول العظمى على سفنها الأمر الذى ادى الى مرحلة جديدة لهذه الحرب .

ولقد حققت حرب المدن نصرا للعراق وان كانت تكلفته عالية . ففى يناير اعلنت ايران أنها اسقطت ٥٧ طائرة عراقية واعترفت العراق بفقد ١٥ طائرة فقط . وارتفع بعد ذلك عدد الطائرات التى فقدتها العراق الى حوالى ٤١ طائرة . وتم اسقاط معظم هذه الطائرات

بصواريخ الكتف ونتيجة اخطاء الطيارين .

كربلاء ــ ٦ :

فى أوائل عام ١٩٨٧ شنت ايران هجوما جديداً اطلقت عليه الاسم الرمزى « كربلاء ــ ٦ وذلك ضد منطقة شمال بغداد فيما بين قصر شيرين وسومار . وكان حجم القوة التى شنت هذا الهجوم حوالى ٨٠٠٠٠ جندى ومعهم معظم ما بقى لايران من مدرعات ومدفعية ذاتية الحركة والتى قدرها الخبراء الامريكيون بحوالى ألف دبابة . وركزت القيادة الايرانية حوالى ٦٠٠٠٠ جندى من هذه القوات فى موجة الهجوم على منطقة قرية عراقية مهجورة على بعد ١١٠ كم شمال شرق بغداد .

بدأت القوات الايرانية تقدمها ليلا يوم ١٣ يناير ١٩٨٧ وبعد خمسة أيام من بداية العملية كربلاء ــ ٦ اتضح أن الهجوم يهدف الى اجبار القوات العراقية على الدفاع على جبهتين فى وقت واحد وذلك لخلق مشكلة فى استخدام القوات العراقية للاحتياطى . وككل عمليات كربلاء تمكنت القيادة العراقية من تمييز أى الهجومين هو الهجوم الرئيسى ، بل واكتشاف الهجوم الأول قبل بداية الهجوم الثانى . وحققت القوات الايرانية فى بداية المعركة بعض النجاحات المحدودة ، وكان القتال عنيفا حتى ان ايران اعلنت أنها اسقطت ٢٠ طائرة عراقية ودمرت ٤٠٠ دبابة ومركبة مدرعة عراقية . واستمرت المرحلة الرئيسية للعملية كربلاء ــ ٦ حوالى خمسة أيام ولكن الهجوم الايرانى فشل فى خلق ضغط رئيسى على القوات العراقية . ولم يحدث أى تهديد لبغداد وكل ما حققه هذا الهجوم هو الاستيلاء على ارض مساحتها ٦٥ ــ ١٠٠ ميل مربع معظمها كانت أرض ايرانية استولت عليها العراق عام ١٩٨٠ .

شنت ايران عدة هجمات أخرى بعد أن اعلن الخومينى فى ١٢ فبراير أن الهجوم يجب ان يستمر الى أن يتحقق النصر . فشنت هجوما بالقرب من حاج عمران فى القطاع الشمالى . واعلنت ايران أنها تقصد اربيل . وفى ١٤ فبراير اعلنت ايران أن الهجوم نجح وأنها دمرت محطة رادار كانت تستخدم فى توجيه الطائرات العراقية فى غاراتها على ايران .

وقام الأكراد الموالون لايران بعدة اغارات شمال كركوك ولكنهم لم يحققوا الا القليل . ولم يحقق الهدف اجبار العراق على دفع قوات جديدة الى تلك المنطقة .

توقفت ايران عن أى عمليات هجومية خلال الفترة الباقية من فبراير وطوال شهر مارس بدأ القتال بالقرب من البصرة . وكان واضحا أن ايران تواجه مصاعب كثيرة فى تعبئة موارد بشرية جديدة بعد أن تعرضت لخسائر بشرية ضخمة منذ بداية الهجوم العام فى ديسمبر ١٩٨٦ . كما أن الأحوال الجوية تحسنت وزادت من قدرات الطيران والمدفعية العراقية وهذا بالتالى كان له تأثير سلبى على القوات الايرانية . وبات أمام القيادة الايرانية عدة حلول كل منها يحمل مخاطرة ما وهى :

- محاولة اقتحام واجتياح حلقة الدفاعات المحصنة العراقية حول البصرة .
- استخدام الجزر التى تم الاستيلاء عليها فى شط العرب كنقطة وثوب للهجوم عبر شط العرب فى مناطق جديدة .
- محاولة الاختراق فى جنوب البصرة والاتصال مع القوات الايرانية بالفاو .
- الاختراق والتقدم فى اتجاه بغداد من حوض سومار فى اتجاه الجنوب الشرقى عبر مواقع عراقية مدافع عنها جيدا وجيدة التجهيز وفى أراضى جبلية وعرة .
- شن هجوم محدود فى اقصى الشمال أو تهديد خط أنابيب البترول العراقى المار بتركيا .
- استخدام القوات البحرية الايرانية وصواريخ سيلك وورم لمواجهة هجمات العراق ضد الناقلات الايرانية ولاجبار دول الخليج على تقليل الدعم الذى تقدمه للعراق .
- استخدام الارهاب والتهديد لاجبار الكويت والسعودية على قطع معوناتها للعراق .

فى ٤ مارس ١٩٨٧ شنت ايران هجوماً جديداً اطلقت عليه « كربلاء — ٧ » فى المنطقة الجبلية فى أقصى الشمال فى منطقة تسمى مرتفعات جيردماند ، وهى قريبة من منطقة حاج عمران ، وهى غرب بيراتشهر فى ايران شرق مدينة راواندوز العراقية (كردستان العراقية) . وفى عام ١٩٨٣ دار فى هذه المنطقة قتال قاسى وعنيف وكانت هامة لأنها تمكن ايران من اختلال مواقع على مسافة حوالى ١٨ كم داخل الأراضى العراقية تشرف على الطريق الرئيسى الى رواندوز ، وكذا لتقوية وضع ايران وعلاقاتها مع الاكراد العراقيين المعارضين للنظام العراقى ، ولزيادة الضغط على كركوك على بعد ٩١ — ١٠٠ كم جنوب راواندوز .

تمكنت قوة قوامها ٤٠٠٠ رجل ايرانية وكردية من التسلل بمهارة خلال المواقع العراقية

فى المنطقة الجبلية) ۸۳۰۰ قدم فوق سطح البحر) التى كانت تحتلها قوات عراقية (اللواء ٩٦ من الفيلق الخامس) . وشن الايرانيون هجومهم مترجلين ولكنهم استخدموا البلدوزازات والجريدارات لعمل طريق يتقدم خلف القوات مباشرة الأمر الذى سهل عملية الامداد بالاحتياجات ودفع التدعيمات بسرعة رغم سعوبة الأرض . وكانت للعراق قوة النيران التى تمكنها من ادارة دفاع قوى وفعال ولكن القوات العراقية غير مستعدة وفوجئت بالهجوم . وعليه فخلال ٢٤ ساعة فقط تمكنت القوات الايرانية من الاستيلاء على الهدف ، واستولت كذلك على عدد آخر من المواقع تطل على مدينة شومة مصطفى رغم الهجمات المضادة العراقية المتكررة أيام من ٥ الى ٨ مارس . وبحلول التاسع من مارس كان الايرانيون قد تقدموا لمسافة ٢٠ كيلو متر فى بعض المناطق . ومع ذلك استمرت أوضاع القوات العراقية قادرة على حماية وتأمين كركوك ، ولكن هذا القتال فى الشمال والقتال حول البصرة اقلقت القيادة العراقية . وفى ١٥ مارس عقد اجتماع للقيادة العليا العراقية فى بغداد لمناقشة الموقف وان العراق يتعرض لحرب استنزاف مكلفة . ويبدو أنهم قرروا ضرورة تطوير وزيادة حجم قوات الحرس الجمهورى والعناصر المتميزة من القوات البرية والاعداد لشن هجوم مضاد عام وتصعيد حرب الناقلات والتوسع فى استخدام الغازات السامة . وكان السبب فى هذه القرارات الخوف من أن تؤدى حرب الاستنزاف الى هزيمة العراق .

وفى ٦ ابريل شنت ايران هجمات من الموجات البشرية مرة أخرى ضد المواقع العراقية حول البصرة فى جنوب شرق بحيرة السمك اطلقت عليه كربلاء ـــ ٨ ، وكان بقوة حوالى ٣٥٠٠٠ جندى معظمهم من قوات المتطوعين والحرس الثورى . وتم شن الهجوم على مواجهة ضيقة من المواقع التى استولت عليه ايران فى المعارك السابقة حول البصرة . واستمر هذا الهجوم حوالى ثلاثة أيام ولكنها كانت معركة حمامات دم بكل معنى الكلمة . فالهجوم تم ضد دفاعات عراقية قوية منظمة وبالمواجهة فتعرضت القوات الايرانية لخسائر جسيمة وصلت الى عشرة ألاف قتيل وجريح . وكل ما حققه الهجوم هو النجاح فى عبور احدى القنالين والتقدم لمسافة لا تزيد عن كيلو متر واحد . وعليه كان هجوما فاشلا ومكلفا .

ومع ذلك لم تتوقف ايران عن تكرار هجماتها . فبعد خطاب قوى لرافسانجانى يوم ٨ ابريل شنت ايران فى اليوم التالى هجوما جديدا فى الجزء الشمالى من الجبهة الوسطى اطلقت عليه « كربلاء ـــ ٩ » بالقرب من قصر شيرين على بعد ١٧٠ كم شمال بغداد وقامت بهذا

الهجوم فرقتان ايرانيتان واستمر اربعة أيام . ومثلها مثل كربلاء ـــ ٧ كان الهدف هو تحسين الاوضاع الايرانية على المرتفعات الاستراتيجية فى منطقة الحدود ولاجبار العراق على الاحتفاظ بقوات كبيرة على طول الجزء الاوسط والشمالى من الحدود . ولكنها لم تحقق نفس المكاسب التى حققها كربلاء ـــ ٧ وانما حققت نجاحا محدودا جدا .

كانت كربلاء ـــ ٨ وكربلاء ـــ ٩ بمثابة خاتمة الهجمات البرية الرئيسية للقتال عام ١٩٨٧ بل والى حد ما نهاية الجهد الايرانى لكسب الحرب بواسطة هجوم عام نهائى . لقد ثبت أن ايران يمكنها تحقيق بعض المكاسب المحدودة ولكنها غير قادرة على تحقيق اختراق استراتيجى رئيسى الا اذا ارتكبت العراق أخطاءاً جسيمة سواء فى أسلوب استخدام لتفوقها فى قوة النيران وفى أسلوب استخدامها للاحتياطيات والانساق الثانية ومع ذلك استمرت ايران تتحدث عن الهجوم النهائى ولكنها لم تتمكن من تعبئة القوات البشرية التى تمكنها من شن هجـوم من الموجات البشرية الضخمة وهو الأسلوب الذى اصرت على استخدامه بغض النظر عن فشله وارتفاع الخسائر البشرية بسببه والذى يتنافى مع فن الحرب الحديثة . وكانت المشكلة الرئيسية هى الخسائر فبنهاية ابريل ١٩٨٧ تعرضـت ايران والعراق لخسائر بشرية جسيمة وان كانت خسائر ايران تكاد تكون خمسة أو ستة أمثال الخسائر العراقية .

وعموما لا يمكن القطع بما اذا كانت معركة البصرة تمثل نقطة تحول فى مسار الحرب العراقية الايرانية أو أن الهجمات الايرانية التى تمت عام ١٩٨٧ أدت الى تدمير المطرقة الايرانية ضد منافستها العراق . ولكن هناك عامل آخر هام وهو مدى تأثير هذه الخسائر على معنويات الشعب الايرانى والرأى العام الايرانى وقدرات ايران على تجنيد وجمع متطوعين جدد . ويبدو أن الخسائر الجسيمة التى تعرضت لها ايران قد أثرت بصورة ما على الرأى العام والروح المعنوية للشعب الأمر الذى أدى الى ظهور إتجاه عام لعدم الرغبة فى التطوع للقتال . ولأول مرة تحدث مظاهرة ضد الحرب فى منتصف ابريل فى ايران بل وتنادى بالعفو عن صدام حسين . بل لقد انتشرت شائعات تلقى باللوم على الملات بأنها بضحون بأرواح الرجال دون ما هدف واضح . وبدأت تطفو إلى السطح تساؤلات كثيرة وندوات تناقش جدوى الحرب وجدوى تكتيكات الموجات البشرية . وعموما تبدو أن كربلاء ـــ ٨ كانت آخر معركة يمكن فيها لايران دفع عشران الألوف من القوات فى هجوم بالمواجهة ضد مواقع مجهزة مستخدمة تكتيك الموجات البشرية .

وفى المقابل بدأت الثقة تعود الى القوات والقيادة العراقية رغم ما تعرضت له من خسائر جسيمة واخلاء البصرة من معظم سكانها (حوالى النصف) . ومع ذلك فلقد اتضح للقيادة العراقية أن العراق غير قادرة على هزيمة ايران . ففى الوقت الذى كان اداء القوات البرية العراقية أفضل بالمقارنة بالسنوات السابقة الا أنها لم تكن قادرة على شن هجمات مضادة ناجحة اذا كانت ضد قوات ايرانية معها مدرعات . كما استمرت العراق تواجه مشاكل فى الاستخدام الناجح الفعال للتفوق العراقى الكبير عسكريا . فكثيرا ما كانت الوحدات العراقية تستهلك كميات ضخمة من ذخيرة المدفعية فى ضرب حشود نيران كثيفة وغلالات نيرانية كثيفة فى المستنفعات ومناطق ذات تربة رخوة وهشة فيكون تأثيرها منخفضا وفاقدا لا طائل من ورائه وهو استخدام غير سليم للمدفعية . ويقال أن المدفعية العراقية اطلقت حوالى مليون طلقة فى يوم واحد فى مرحلة من المراحل وانها كانت تنفق مليار دولار شهريا على الدفاع فى المنطقة الجنوبية .

حرب الإستنزاف تستمر والغرب يدخل الحرب
مارس ١٩٨٧ ــ ديسمبر ١٩٨٧

بنفس أهمية القتال حول البصرة من حيث صياغة مستقبل الحرب البرية فإن التطورات فى الخليج أدت إلى ظهور مرحلة جديدة فى هذه الحرب . ففى يناير زادت الهجمات الإيرانية والعراقية ضد السفن فى الخليج عن أى شهر سابق . كما قامت العراق بضرب خرج والمنشآت البترولية الإيرانية فى سيرى ومنشآت بترولية إيرانية أخرى . ورغم أن هذه الضربات لم تحدث تأثيراً كبيراً فى خفض صادرات البترول الإيرانية ولكنها أجبرت إيران على إرسال بعثات لشراء ناقلات جديدة (١٥ ناقلة) من الخارج . واستمرت الطائرات العراقية فى ضرب الناقلات وحقول البترول الإيرانية . ومع ذلك إستمر تصدير البترول الإيرانى عالياً نسبياً . وبدأت إيران تحاول طريقة جديدة لإدارة حرب الناقلات ، فكانت إيران هذه المرة هى التى غيرت من حرب الناقلات فبدأت تقوم بما هو أكثر من إزعاج حركة الملاحة فى الخليج للسفن من وإلى موانى السعودية والكويت . ويوضح الجدول التالى الهجمات على السفن فى الخليج فيما بين عام ١٩٨٤ وعام ١٩٨٧ .

تاريخ	هجمات عراقية	هجمات إيرانية	إجمالى	قتلى	سفن فقدت
١٩٨٤	٣٦	١٨	٥٤	٤٩	٣٢
١٩٨٥	٣٣	١٤	٤٧	١٦	١٦
١٩٨٦ :					
أكتوبر	١	٣	٤	—	—
نوفمبر	٩	٢	١١	—	—
ديسمبر	٥	صفر	٥	—	—
إجمالى عام ١٩٨٦	٦٦	٤١	١٠٧	٨٨	٣٠
١٩٨٧ :					
يناير	٧	٦	١٣	—	—
فبراير	٦	٣	٩	—	—
مارس	٣	٣	٦	—	—
إبريل	٢	٣	٥	—	—
يناير ــ يونيو	٢٩	٢٩	٥٨	١٠	٤

وفى هذه الهجمات واجهت إيران عدداً من المشاكل الخطيرة . فإيران لم تكن قادرة على إستخدام قواتها الجوية الباقية المحدودة ، فلم يكن لديها سوى من ٦٣ إلى ٩٠ مقاتلة عاملة (٢٠ ــ ٣٥ ف ٤ ، ٣٠ ــ ٤٥ ف ٥ ، ٧ ــ ١٢ ف ١٤) . ومعظم هذه الطائرات لم تكن قادرة إلا على القيام بعدد محدود من الطلعات ومعظمها غير مجهز بوسائل إلكترونية صالحة . وفى الوقت الذى تحسنت فيه درجات إستعداد الطائرات الإيرانية ف ــ ٤ بسبب وصول قطع غيار من مصادر مختلفة غير معروفة لم تتمكن أى من الطائرات ف ــ ١٤ من إستخدام صواريخ فينيكس لأسباب كثيرة . وفى الوقت الذى أفادت فيه التقارير أن إيران حصلت على طائرات ميج ١٩ ، ميج ٢١ من الصين الشعبية وكوريا الشمالية إلا أنه يبدو أن أياً منها لم يدخل العمليات حتى ذلك الوقت .

وواجهت إيران أيضاً مشاكل خطيرة بالنسبة للبحرية ؛ فلقد فقدت الكثير من الأفراد المدربة ذوى الخبرة بسبب الثورة التى تخلصت من أعداد كبيرة منهم . وتعرضت مدمرتان إيرانيات لإصابات أحدثت بها أضرار بالغة ، وكذا فرقاطتين وغواصة . وفقدت كاسحتان ألغام . ولم يبق لديها سوى ٢ لنش مرور . ولم تستطع إيران شراء سفن حربية جديدة لإستعواض خسائرها فقط ولكنها واجهت مشكلة خطيرة فى صيانة وإصلاح ما لديها من قطع ، كما أنها كانت تعانى من نقص شديد فى الصواريخ المضادة للسفن والمضادة للطائرات . كما أن معظم أجهزة الرادار كانت عاطلة . كما أن معظم الصواريخ التى تم توريدها قبل سقوط الشاه إنتهى عمرها الإفتراضى ولم تتمكن من إطالة أعمارها لأسباب فنية كثيرة . ومع ذلك كانت إيران لا زالت قادرة على تشغيل السفن البريطانية الهجومية Saram Class ، كما بقى لدى البحرية الإيرانية عدد من الهليكوبترات AB-2K المزودة بالصاروخ سى كيلر ماركة ٢ ، AS-12 . وكانت لديها طائرتا أوريون PF-3 وإن كانت تفتقر للرادارات المناسبة . لكل ذلك ودون الدخول فى تفاصيل كثيرة كان موقف القوات البحرية الإيرانية صعباً للغاية .

ومع ذلك بدأت إيران تستخدم ما لديها من قطع بحرية لمهاجمة سفن الشحن والناقلات فى الخليج ، وكانت معظم هجماتها تتم ليلاً . وفى معظم الأحوال كانت البحرية الإيرانية تستخدم الصاروخ الإيطالى سى كيلر . وكان هذا الصاروخ قد دخل الخدمة فى إيران لأول مرة عام ١٩٨٤ رغم أنه كان موجوداً منذ عهد الشاه . وهو صاروخ خفيف نسبياً يزن ٣٠٠ كجم وله رأس مدمرة زنة ٧٠ كجم لها قدرة محدودة على إختراق الدروع ، وأقصى

مدى للصاروخ ٢٥ كيلو متر وأقل مدى ٦ كم . وهو من النوع الـ sea-Skimmer الذى يطير على إرتفاع ٣ ــ ٤ أمتار ولذلك تطلق عليه إسم الطائر البحرى المسمى بالقمص ويوجه بالرادار Beam Rider إلى الهدف ويمكن توجيهه لاسلكياً فى حالة وجود إعاقة شديدة .

وخلال الهجمات التى شنتها العراق وإيران على السفن فى الخليج غرق منها عدد محدود وأصيب بعضها إصابات خطيرة ولكن فيما بين أول يناير وأوائل فبراير ارتفع عدد السفن التى أصيبت بشكل حاد . وكنتيجة لذلك بدأت أساطيل الغرب والسوفييت تتخذ بعض الإجراءات المضادة . ففى منتصف يناير أرسل الإتحاد السوفيتى فرقاطة صواريخ لمرافقة السفن السوفيتية التى تحمل الأسلحة إلى العراق إبتداء من المضايق الكويتية . وكانت هذه الفرقاطة ثانى سفينة حربية سوفيتية تدخل الخليج منذ عام ١٩٨٢ وكان ذلك إشارة واضحة لإيران والعراق ودول الخليج أن الإتحاد السوفيتى سيحمى سفنه . وزادت الولايات المتحدة الأمريكية من قوتها فى المحيط الهندى فوصلت إلى مجموعة حاملة طائرات كاملة تتضمن الحاملة كيتى هولد (٨٥٠٠٠ طن) وإحدى عشرة قطعة مرافقة وحماية . وفتحت الولايات المتحدة هذه القوة الضاربة شرق مصيرة مباشرة . وزادت إنجلترا وفرنسا من عدد سفنها العاملة فى المنطقة . ولم يكن رد فعل هذه الدول بسبب الصاروخ الإيرانى سى كيلر وإنما بسبب إكتشاف إقامة إيران لصواريخ مضادة للسفن أقوى بكثير فى منطقة مضيق هرمز وهى الصواريخ الصينية الصنع سيلك وورم والتى حصلت عليها إيران فى صيف عام ١٩٨٦ . ويمكن إقامة هذه الصواريخ على قواعد ثابتة وقواعد متحركة ، ولقد ساعد ذلك على فتح هذه الصواريخ بصورة تقلل تعرضها وكان بكل موقع ٢ إلى ٤ قواذف . ويزن الصاروخ ٢٥٠٠ ــ ٣٠٠٠ كجم وله رأس مدمرة تزن ما بين ٥٠٠ ، ١٠٠٠ كجم ، وأقصى مدى له ٩٥ كم وله عدة نظم توجيه نظام HY-2 يستخدم رادار تتبع ونظام HY-2A يستخدم نظام الأشعة Infrared للتغلب على الإعاقة الإلكترونية المضادة ، ونظام HY-2G يستخدم نظام حرارى للتوجيه . وكان هذا الصاروخ أكثر فاعلية على مسافة ٤٠ كم ولكن له مسافة مؤثرة تصل إلى ٧٠ ــ ٨٠ كم طبقاً لحجم السفينة وتوفر رادار تمييز الأهداف . ولقد باعت الصين الشعبية عدداً من هذه الرادارات لإيران للإستخدام على سفنها وطائراتها . ويصل الصاروخ إلى الهدف فى حوالى ست دقائق ، وعادة ما يرتفع قبل إصابة الهدف لأعلى إلى إرتفاع ١٤٥ متر قبل أن ينقضى على الهدف من على إرتفاع ٣٠

متر . ودون الدخول فى تفاصيل أكثر فإن هذا الصاروخ كان يمثل تهديداً مؤثراً للملاحة فى الخليج .

ولقد خلق هذا التهديد مشاكل مختلفة للغرب إبتداءاً من المشكلة التى خلقتها إيران بمهاجمتها الناقلات والسفن فى المياه الإيرانية ، ومهاجمتها لسفن الدول الأخرى فى المياه الدولية المتجهة إلى الموانى فى منطقة الحرب .

وبالنسبة للأمريكيين لم تكن المشكلة هو مستوى حرب الناقلات الدائرة وإنما خطورة تأثير ذلك على سريان البترول إلى الدول الغربية المستوردة للبترول من المنطقة . فالمنطقة تنتج ٦٣٪ من إحتياطى البترول للغرب وتصدر ٢٥٪ من إجمالى تجارة البترول الدولية ، ٣٠٪ من البترول الذى تستهلكه دول أوروبا الغربية ، ٦٠٪ من إحتياجات اليابان . وحتى مع التوسع فى خطوط الأنابيب (المارة بتركيا والسعودية) فإن ١٧٪ من البترول الذى تستورده أوروبا يمر بمضيق هورمز . إن تهديد البترول الكويتى يشكل تهديداً للغرب إذ بها إحتياطى بترول مؤكد يساوى إحتياطى البترول الموجود فى إيران والعراق معاً ، فلديها ما يزيد عن مائة مليار برميل إحتياطى بترول أو ١٣٪ من إحتياطيات البترول على مستوى العالم فى مقابل ٣,٩٪ فقط فى الولايات المتحدة الأمريكية . كما أن للكويت إستثمارات فى الدول الغربية تزيد عن المائة مليار دولار .

وعليه ففى ١٣ يناير ١٩٨٧ طلبت الكويت رسمياً من الولايات المتحدة الأمريكية أن تقوم القوات البحرية الأمريكية بحماية ناقلات البترول التابعة لها وذلك بأن يرفع عليها علم الولايات المتحدة الأمريكية ، وكانت قد طلبت نفس الحماية من الإتحاد السوفيتى . وكانت حركة ناقلات البترول الكويتية بمعدل ناقلة يومياً على الأقل وكان إجمالى الحركة شهرياً حوالى ٧٠ — ٨٠ ناقلة . وفى أوائل عام ١٩٨٧ أصيبت سبعة ناقلات كويتية فقط من بين ٢٨٩ هجوم على السفن منذ بداية حرب الناقلات . وفيما بين أول عام ١٩٨٥ ، ١٧ سبتمبر ١٩٨٦ لم تهاجم إيران أى سفينة كويتية من بين ٣٤ سفينة هاجمتها إيران .

وبدأت الكويت تتعرض لهجوم سياسى عنيف من الإيرانيين لسماحها للعراق بإستخدام ميناء الشيبه لشحن أسلحة سوفيتية وأسلحة ومعدات عسكرية أخرى . كما أن الكويت خاطرت بإحتمال مهاجمة السفن الإيرانية بسماحها للطائرات العراقية بأن تطير عبر الأجواء الكويتية لكى تقترب من جنوب الخليج لتهاجم السفن الإيرانية دون إنذار . كما أن الكويت

سمحت للبحرية العراقية بإرسال سفن صغيرة عن طريق الممر المائى بين الكويت وبوبيان ، كما سمحت للهليكوبترات العراقية بطلعات من الأراضى الكويتية .

أربع عوامل أو أسباب أقنعت الحكومة الأمريكية بالموافقة على رفع العلم الأمريكى على السفن الكويتية :

أولها : أن الإتحاد السوفيتى وافق على الطلب الكويتى لرفع العلم السوفيتى على السفن الكويتية ، وأن الكويت عرضت أن يشترك الإتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية فى هذا فترفع أمريكا علمها على ست ناقلات والإتحاد السوفيتى على سبعة ناقلات .

والثانى : هو الحاجة إلى إعادة تأكيد النفوذ الأمريكى فى المنطقة بعد سقوط الشاه ، وإستمرار إمداد أصدقاء أمريكا فى الخليج بالسلاح ، وإزالة آثار فضيحة إيران جيت .

والثالث : هو أن إيران نشرت صواريخ سيلك وورم فى منطقة الخليج وأنها تبنى فرعاً جديداً بحرياً لقوات الحرس الثورى للعمليات البحرية .

وأخيراً : أن إيران لم تهاجم الناقلات التى ترفع أعلام القوى الرئيسية الدولية خلال الحرب وأنها سوف تستمر فى ذلك ، كما أن إيران غير قادرة على تحدى البحرية الأمريكية .

وفى نفس الوقت وخوفاً من أى تطورات بعد رفع العلم الأمريكى على الناقلات الكويتية وضع النبتاجون خطة طوارىء لضرب قواعد الصواريخ الإيرانية سيلك وورم ، ولكنها لم تخطط لفتح قوات يمكنها أن تتعامل مع كل التهديدات التى قد تواجهها الولايات المتحدة عندما تبدأ فى عملية حراسة القوافل بالخليج .

وفى ٧ مارس أبلغت الولايات المتحدة الكويت أنها مستعدة لحماية الإحدى عشر ناقلة كويتية ، وقبلت الكويت العرض فى ١٠ مارس . ووقعت الكويت الإتفاقية مع الولايات المتحدة فى ٢ إبريل ١٩٨٧ . وحرصت الكويت على عدم الإتفاق مع الولايات المتحدة على أى ترتيبات أخرى وتفادى الأعلام والدعاية للموضوع واستمرت فى إشاعة أنها استأجرت ناقلات سوفيتية لتوحى للعالم بأن النشاط هو نشاط دولى وبذلك تفادت المشاكل الإقليمية بالنسبة لقبول العرض الأمريكى .

ومثلها مثل الولايات المتحدة يبدو أن الكويت قللت من المخاطر المحتملة بالنسبة لموضوع رفع الأعلام الأمريكية فوق الناقلات الكويتية . ومن المؤكد أنها شعرت أن إيران لن

تتحدى ضمانات الولايات المتحدة الأمريكية والسوفييت فى الدفاع عن الكويت ضد أى هجمات أو غزو إيرانى . ويبدو أن الكويت لم تدرك المخاطرة بأن إيران قد تحاول إقامة علاقات ما مع الإتحاد السوفيتى أو تتحدى الولايات المتحدة بنفس الطريقة التى حدثت فى أزمة الرهائن الأمريكيين وأثناء التدخل فى لبنان .

وخلال الأيام الباقية من شهر فبراير وطوال معظم مارس استمرت إيران فى قصف البصرة . واستمر قادة إيران يتحدثون عن هجوم نهائى ، ولكن القوات الإيرانية لم تفعل سوى شن هجمات محدودة فى الشمال وإدارة معركة استنزاف فى الجنوب . وفى المقابل استمرت العراق فى إدارة معركة دفاعية ثابتة على البر والتركيز على إستخدام القوة الجوية فى قصف القوات البرية الإيرانية والأهداف البترولية والمدن الإيرانية . واستمرت العراق فى مهاجمة ١٣ مدينة رئيسية فى غرب إيران بالطيران طوال شهر فبراير . واستمرت الطائرات العراقية كذلك فى ضرب طهران وهو ما لم يحدث منذ حرب المدن عام ١٩٨٥ .

ولم يكن رد القوات الجوية الإيرانية مؤثراً حتى أن بعض المصادر قالت أن ثلث قوة الطائرات الإيرانية ١ ف ــ ٤ هو القادر على الطيران وأن أقل من ثلث الألف هليكوبتر الإيرانية المسلحة هى الصالحة للعمل . وكل ما أمكن لإيران عمله هو إطلاق بعض الصواريخ سكود على بغداد وإن كانت هذه الضربات غير مؤثرة . وظلت أيضاً وسائل الدفاع الجوى الإيرانى محدودة ولكن وصول الصواريخ هوك التى أرسلتها الولايات المتحدة لإيران عن طريق إسرائيل تمكنت من الحد من الضربات الجوية العراقية ضد خرج وسيبرى ولاراك وبعض الأهداف الحيوية الأخرى .

ومع ذلك يمكن القول بأن حرب المدن توقفت مؤقتاً فى حوالى ١٨ فبراير ١٩٨٧ واستمر ذلك حتى أبريل . ولم يعرف بدقة سبب هذا التوقف مع أن العراق أعلنت أنها قامت بذلك بناء على طلب « راجافى » الذى قال لصدام حسين أن هذه الضربات تؤذى الكتل الشعبية المعارضة للحكم ولا تؤذى القيادة الإيرانية . ويبدو أن السبب الحقيقى هو موافقة الخومينى على إيقاف قصف البصرة بالمدفعية فى مقابل إيقاف حرب المدن مؤقتاً .

إن العراق لم تتوقف فقط عن مهاجمة المدن الإيرانية بعد ١٨ فبراير ولكنها خففت من معاونتها الجوية للقوات البرية كذلك ، بل لقد اعترفت العراق بأنها فقدت ٥٪ من قوتها الجوية . وتسببت هذه الخسائر فى فقدان العراق لعدد من أكفأ طياريها . وفى الوقت الذى

وافق فيه الإتحاد السوفيتى على سرعة تعويض العراق عن هذه الخسائر فإن موقف الطيارين الأكفاء فى القوات الجوية أصبح حرجاً علماً بأن إيران أعلنت أن خسائر العراق أكثر من ذلك وأنها وصلت إلى ١٥٪ . كما أن إيران لم يكن لديها طيارون أكفاء سوى لحوالى ١٥ ــ ٢٥٪ من عدد الطائرات التى تملكها . ويبدو أن العراق قررت أنها لا يمكن أن تتحمل فقد طائرة ثمنها يصل إلى ١٥ ــ ٢٥ مليون دولار وكذلك الطيار فى تقديم المعاونة القريبة للقوات البرية . كما أن القيمة الإقتصادية للهدف الذى تدمره الطائرة أقل بكثير من قيمة الطائرة والطيار ، كما أن التأثير التكتيكى والإستراتيجى لأى أثر تدميرى لأهداف إيرانية تأثير محدود . وهذا معناه أن العراق اضطرت إلى التحول لضرب أهداف أخرى يمكن للطائرات إصابتها وتدميرها دون أن تتعرض للسقوط ، أو إلى ضرب تلك الأهداف التى لها أثار إستراتيجية وسياسية رئيسية .

ووجدت إيران طرقاً جديدة لتوجيه الضربات إلى العراق . فلقد زادت من ضغطها على الكويت لتجبرها على خفض معونتها للعراق ، وعلى العراق لتخفض هجماتها على المنشآت البترولية الإيرانية . كما قام الشيعة الموالون لإيران فى الكويت بسلسلة من المظاهرات والإحتجاج فى أبريل . والمخاطرة التى واجهت الكويت فى مجال التخريب أصبحت أكثر وضوحاً فى ٢٢ مايو عندما حاول البعض إشعال الحريق فى معامل التكرير . وكان الحريق مخططاً للقضاء على ٤٥٠٠٠ برميل من البروبين (Propane) وخزانات البوتان Butane والقضاء على كل المصفاة .

والأهم من كل ذلك أن إيران انتهت من إنشاء أربع منصات لإطلاق الصواريخ سيلك وورم بالقرب من المضيق . وبحلول النصف من أبريل ١٩٨٧ أصبح لدى إيران ١٢ قاذف صواريخ سيلك وورم ، ٢٠ صاروخ فى الخط الأول ، ٢٨ صاروخ إحتياطى . وكانت المشكلة الوحيدة فى تعطيل عمل هذه الصواريخ هى نقص بعض الأجزاء الهامة . وتم إكتشاف أول موقع فى جزيرة قاسم فى مدخل الخليج . وكان الموقع الثانى فى كوبستاك شرقاً . ورغم أن الصوايخ كانت ستغطى بالكاد مدى ٦٤ كيلو متر من عرض المضيق بدرجة دقة معقولة وبالحمولة العادية (الرأس المدمرة ١٠٠٠ كجم) أو مدى ٧٥ كم بدرجة دقة أقل وبرأس مدمرة ٥٠٠ كجم . وبدأت إيران تبنى قاعدة جديدة على الحافة الجنوبية لشبه جزيرة الفاو . وحقق هذا الموقع لإيران إمكانية إطلاق الصواريخ سيلك وورم على مدينة الكويت وموانئها وبالتالى يمكنها الضغط على الكويت وعلى ناقلاتها .

وعلى الرغم من فشل سلسلة العمليات كربلاء شنت إيران هجوماً آخر فى الشمال فى منتصف أبريل أطلقت عليه أيضاً كربلاء ــ ١٠ . وقبل الهجوم بوقت قصير دعمت إيران عدداً من الغارات التى شنها الأكراد الموالين لإيران . وفى ١٨ أبريل أعلنت أن قواتهم والأكراد قتلت ١٥٠٠ عراقى وأستولت على ٢٠ قرية وأستولت على عشرة هيئات حاكمة فى مقاطعة السليمانية .

وتمت عملية كربلاء ــ ١٠ فى صورة ثلاث هجمات تمت فى المناطق الجبلية جنوب شرق بانيه وشمال شرق السليمانية وكانت تهدف الإستيلاء على الطرق والمرتفعات بين ماوات وشوارته . ورغم أن ماوات ليست سوى قرية صغيرة فإنها كانت أحد النقط الدفاعية الرئيسية للعراق بالقرب من الحدود وكانت محاطة بحلقة من الملاجىء وحقول الألغام ، أما شوارته فكانت مركزاً سكانياً على الطريق إلى السليمانية . بدأ الهجوم يوم ٢٣ أبريل ١٩٨٧ وكان يوم الخميس وتم ليلاً فى وقت تصبح فيه القوات العراقية أقل إنتباهاً . وبنهاية أبريل أعلنت إيران أنها استولت على ١١ قرية ، ٣١٠ كيلو متر مربع وقتلت ٤٠٠٠ جندى عراقى وأسرت ٣٥٠ ومن بينهم ضابط عراقى برتبة العميد . وأعلنت العراق أنها صدت الهجوم الذى تم بواسطة آلايين إيرانيين وقتلت ١٥٠٠ جندى إيرانى ودمرت ٦٦ مركبة .

وبنهاية مايو أصبح واضحاً أن إيران لم تستولى على ماوات وشوارته أو أى موقع إستراتيجى آخر ولو أن الإيرانيين احتلوا المرتفعات المحيطة بجبل سليمانية . وهذا يعنى أن القوات الإيرانية على بعد ٤٨ كم من السليمانية وحوالى ١٠٠ كيلو متر من كركوك .

لقد هاجمت إيران منطقة لا تمثل أى أهمية إستراتيجية بالمرة . وفى الواقع كانت الأرض من الوعورة بحيث بدأ الناس يقولون أن القوات الإيرانية تتابع الهجوم فى تلك المنطقة لتعلن للشعب الإيرانى أنها تحقق إنتصارات على العراق ، بل لقد استغل رافسانجانى هذا الموضوع ليحقق فوزاً سياسياً على مناقسة منتظرى . ومن أهم التطورات التى حدثت خلال ما بقى من فصل الربيع لعام ١٩٨٧ فى الخليج أن إيران حاولت أن تتفوق على العراق فى حرب الناقلات وأن رفع الأعلام الأمريكية على السفن الكويتية أدى إلى تدويل الصراع البحرى فى الخليج . لقد بدأ ذلك بمواجهة بين إيران والإتحاد السوفيتى ولكن سرعان ما حدثت المواجهة بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية .

ففى أبريل ١٩٨٧ بدأت إيران فى الرد على موافقة الإتحاد السوفيتى على حراسة الثلاث ناقلات سوفيتية التى أجرتها الكويت فأعلنت إيران تحذيرها بأن هذا العمل سيخلق مشكلة موقفاً خطيراً . وأن الموقف فى الخليج قد يتحول إلى أفغانستان أخرى . وأطلق رافسانجانى تحذيراً مماثلاً للولايات المتحدة الأمريكية . ويبدو أن هذه التحذيرات الإيرانية اعتمدت على أن إيران تمكنت من تطوير قدرات بحرية للحرس الثورى الإيرانى . وكما سبق وذكرنا حاولت إيران أن تتحدى وتنافس العراق فى حرب الناقلات ، ولكنها أخذت تهاجم سفن دول العالم الثالث وليست السفن العراقية لأنه لم تكن هناك سفن عراقية تعمل فى الخليج . ومن الطبيعى أن ذلك سيحدث رد فعل مضاد من دول الخليج فى الجنوب والأساطيل الغربية . وكانت إيران قد فقدت عدداً من سفنها الحربية الرئيسية ولكنها كانت لا تزال قادرة على التعامل مع بحرية دول جنوب الخليج . وكانت المدمرة البريطانية أرتيميز (دفاع جوى) والمدمرات الأمريكية بابو وبالانج المزودتان بوسائل دفاع جوى حديثة كانت تعمل بالخليج . وكانت إيران لديها أربع فرقاطات (بريطانية) مزودة بالصواريخ سطح / سطح سى كيلر ، كما أن ثمانية لنشات مرور على الأقل إيرانية لا زالت تعمل وهى مزودة بمدفع ٧٦ مم ومدافع ٤٠ مم وقواذف هاربون ولو أن أعداد الصواريخ هاربون محدودة . وكان لدى إيران عدد لا بأس به من سفن أصغر مختلفة الأنواع . ولديها كاسحة ألغام ٣٢٠ طن ولكنها كانت فى بحر قزوين ، ولديها كذلك أربع سفن إنزال دبابات وتحمل كل منها هليكوبتر اجوستا مزودة بصواريخ AS-12 ، وسفينة إنزال صغيرة ومعدات بث ألغام . ودخلت الخدمة فى البحرية الإيرانية حديثاً ثلاث سفن إنزال وأربع سفن هولندية . وقامت إيران بتطوير سفينتين (بندر عباس وبوشيهار) حمولة ٥٠٠ طن فزودت كل بمدافع ٤٠ مم وهنجر لإيواء هليكوبتر . وكانت هناك عدد من الهوفركراف (حوالى ٦) لا زالت تعمل وبالخدمة ، وحوالى ١٥٠ لنش مرور رغم أن عدداً منها تم تدميره أثناء الحرب . ومع ذلك لم تكن هذه القوة البحرية الإيرانية قادرة على العمل بكفاءة وتأثير خارج الموانى أو تحدى الأساطيل الموجودة فى جنوب الخليج .

ولذلك كان عليها أن تجد حلولاً أخرى لإستخدام قوتها البحرية إذا كانت لا تزال تريد أن تلعب دوراً فى حرب الناقلات . وكان أول حل للمشكلة من وجهة نظر إيران هو بث الألغام كأسلوب غير مباشر للقتال البحرى . وكان لديها إحتياطى من الألغام المضادة للسفن المختلفة استوردتها من دول شرقية عديدة . وبدأت إيران فى تصنيع ألغام غير

مغناطيسية صوتية وعائمة وأخرى يسيطر عليها من بعد Remote Controlled . ولما كان لدى إيران كاسحة ألغام واحدة موجودة فى بحر قزوين فإنها اعتمدت فى بث الألغام على سفن أصغر بما فى ذلك المراكب الشراعية وسفن النقل الصغيرة .

وكان الحل الثانى أمام إيران هو إنشاء فرع بحرى جديد تابع لقوات الحرس الثورى بدأت فعلاً فى إنشائه منذ عامين . وفى أواخر ١٩٨٦ كانت قوة هذا الفرع حوالى ٢٠٠٠٠ رجل وكان أكبر من البحرية النظامية الإيرانية . وكانت عناصر هذه القوة مزودة بعدد كبير مختلف من السفن الصغيرة من بينها سفينة اعتراض سويدية الصنع وعدد كبير من قوارب زودياك المطاطية . ومن الطبيعى كان من الصعب إكتشاف هذه القوارب والسفن الصغيرة بواسطة الرادار ، وكانت مزودة بالصواريخ والرشاشات والأسلحة الصغيرة والمدافع ١٠٧ مم عديمة الإرتداء . وكانت سفن الإعتراض السويدية ٤٢ قدم طول ويمكنها حمل ستة أفراد وحوالى ١٠٠٠ رطل من الأسلحة ولمدى ٥٠٠ ميل بحرى ، ويمكنها أن تسير بسرعة ٤٦ عقدة وقد تصل سرعتها إلى ٦٩ عقدة . وقيل أن الحرس الثورى تعاقد على ٥٠ قطعة واستلم منها فعلاً ٢٩ على الأقل . وتم تزويد بحرية الحرس الثورى بسفن شراعية مزودة بأوناش . وكان من الصعب تمييز هذه السفن الشراعية من السفن التجارية بالمنطقة ، وكانت هذه السفن الشراعية الإيرانية قادرة على حمل حتى ٣٥٠ طن من الألغام . كما كان لدى بحرية الحرس الثورى عدد من سفن الأبرار الصغيرة وغواصة كورية صغيرة (٦ ــ ٩ متر) . وكانت هذه العناصر تتمركز فى عدد من الجزر وفى مناطق منصات البترول فى الخليج ، وكان أكبر حجم من هذه القوة متمركزاً فى الفارسية ، وسيرى وجزيرة هالى وأبوموسى وطنب الكبرى والصغرى ولاراك . وتم تدريب قوات الحرس الثورى البحرية بأسلوب القوارب الانتحارية التى تندفع وتصطدم بالسفينة لتفجيرها ، وقيل أن لديهم سفناً سريعة محملة بالأسمنت لإغراقها فى أى منطقة لمنع الملاحة (فى الممرات والقنوات) . وأعلنت إيران أن لديها قوة من الغواصين ومركز تدريب على الغوص فى بندر عباس . وتم تزويد بحرية الحرس الثورى بحوالى ٣٥ ــ ٤٦ طائرة بيلانوس PC-7 وهى طائرة تدريب / هجوم خفيفة حصلت عليها إيران من سويسرا وتم التدريب تحت إشراف خبراء من كوريا الشمالية . وقيل أنهم حصلوا على مقاتلات صينية ف ــ ٦ ، ف ــ ٧ ويحاولون الحصول على مقاتلات أفضل وأكثر تطوراً من الكتلة الشيوعية . وتم تدريب بعض الطيارين على تنفيذ هجمات إنتحارية بطائرات خفيفة ، كما

زودت بحرية الحرس الثورى بالصواريخ سيلك وورم .

وخلال فترة ما بعد إعلان الولايات المتحدة حراستها للسفن الكويتية بدأت قوات الحرس الثورى فى تحصين ثمانية مواقع للصواريخ سيلك وورم ، وأنشأت دشما خرسانية وملاجىء لأجهزة رادار التوجيه فى جزيرة قيشام وفى الأراضى الإيرانية ، وقاموا بتدعيم القوات فى جزر فارسى وأبو موسى وطنب الكبرى والصغرى ، ووصلت القوة بكل إلى ألف رجل فى مواقع حصينة ومعهم طائرات هليكوبتر .

وأدى ذلك إلى توفير قدرات للقوات الإيرانية أن تقوم بهجمات الضرب والفرار وإستخدام الألغام والسفن الصغيرة السريعة وإستخدام الصواريخ سلك وورم والهجمات الإنتحارية بواسطة القوارب والسفن . ومع كل الخسائر التى تعرضت لها إيران كانت لها أكبر قوة سطح نظامية فى الخليج . ومع ذلك فلقد أيقنت إيران أنها لن تتمكن من دخول معركة مع الأسطول الأمريكى أو السوفيتى . كما كان واضحاً أن كل ما يمكنها عمله هو إدارة حرب عصابات بحرية لإستغلال أى نقطة ضعف سياسية فى رغبة أى من القوى العظمى تحمل أى خسائر . كما كان لدى إيران إمكانيات كبيرة لبث الألغام البحرية وإدارة أعمال تخريب ربطها بايران .

وبدا واضحاً تماماً ماذا تنوى الحكومة الإيرانية فعله . وفى أبريل أعلنت ايران أن لديها سيطرة كاملة على شمال الخليج وأعلنت ما أسمته المنطقة البحرية للحرس الثورى التى اشتملت على جزيرة خرج وجزء كبير من مياه الخليج فى الجزء الشمالى منه . كما أعلنت أن مياهها الإقليمية فى الخليج تمتد ١٢ ميل بحرى ومنطقة محظورة تسير بحذاء شاطىء الخليج وبعمق حوالى ٤٠ ميل من الشاطىء . وكانت المنطقة من الضخامة بحيث خلقت نقطاً يضيق فيها الممر المؤدى للكويت . وفى مايو زادت إيران من نشاطها البحرى حتى أنها فى ٢ مايو اعترضت ١٤ ناقلة وصعدت جنودها فوق هذه الناقلات بغرض التفتيش . وقام الحرس الثورى بمهاجمة ناقلة بترول هندية . وفى ٤ مايو هاجمت وحدات من الحرس سَفينة بتروبالك ريجنت وفى ٥ مايو سفينة يابانية على بعد ٤٥ كم من شواطىء السعودية . وكانت معظم هجمات قوات الحرس تشن من أقرب قاعدة للحرس الثورى إلى البحرين والسعودية وهى جزيرة فارسى (فى منتصف المسافة من الساحل الإيرانى والشاطىء السعودى) . كما استخدمت قوات الحرس منصة بترول بالقرب من جزيرة هالول وجزيرة سيرى وأبو

موسى وعادة ما كانت تعترض الناقلات ليلاً وتطلب منها الإعلان عن هويتها ووجهتها . وكانت الهجمات تتم بالرشاشات وأحياناً بالقواذف الصاروخية وتوجه نيرانها إلى كبائن الأطقم . وكان أمام الولايات المتحدة حلان إما أن تلجأ إلى الأمم المتحدة لفرض وقف إطلاق النار الشامل للحرب الأمر الذى قد يؤدى إلى السلام على أساس إتفاقية الجزائر عام ١٩٧٤ والعودة إلى حدود ما قبل الحرب ، أو أن تتخذ إجراءاً عسكرياً لإحتواء الحرب فى الخليج وتقليص النفوذ السوفيتي وإجبار إيران على قبول وقف إطلاق النار. وأدى رد الفعل الأمريكى وتأجير الكويت لناقلات سوفيتية إلى شن إيران هجمات سياسية على الكويت وموضوع تأجير الناقلات . وفى ٦ مايو حذر رئيس الوزراء الإيرانى الكويت وطلب منها أن تمتنع عن اللجوء لحماية القوى العظمى . وفى ٨ مايو ١٩٨٧ قامت سفينة صغيرة إيرانية لا تحمل أى علامات أو أعلام بشن هجوم بالرشاشات والقواذف الصاروخية على سفينة شحن سوفيتية أثناء مرورها بالقرب من أحد منصات البترول الإيرانية (على مسافة ٣٠ ميل منها) . وكان واضحاً أن هذا الهجوم كان متعمداً قصدت به إيران تصعيد الأمور وإرهاب الكويت . وخلال الشهر التالى ظهر بوضوح أن بحرية الحرس الثورى الإيرانى لم تتصرف من عندياتها وإنما بناءاً على أوامر وسياسة الحكومة الإيرانية . وقامت البحرية الإيرانية بإستخدام الهليكوبترات والسفن الصغيرة ولنشات المرور لمراقبة حركة الملاحة فى الخليج لمعاونة بحرية قوات الحرس الثورى . وظهر أن قاعدة الفارسية وقاعدة أبو موسى تحت سيطرة الحكومة الإيرانية تماماً وتعمل بأوامر وتعليمات صريحة منها .

وكشفت العراق من هجماتها على السفن الإيرانية كرد على هذه الأعمال ، وفى ١٣ مايو شنت العراق هجوماً جوياً مركزاً على المصافى الإيرانية فى أصفهان وتبريز . وحاولت إيران تأجير طائرات نقل أمريكية وبريطانية لنقل مشترواتها من السفن الصغيرة والمحركات البحرية إلى بغداد لإستخدامها فى الأنهار والقنوات وفى الخليج . وفى الوقت الذى كان فيه القتال البرى هادئاً حاولت العراق إيقاف التمرد الكردى فشنت عدة غارات على القرى والمعسكرات الكردية . ويبدو أنها بدأت تستخدم غازات الحرب ضد القرى الكردية ومعسكرات الأكراد بالقرب من الحدود .

وردت إيران باستمرار تصعيد الموقف . وكانت خطوتها التالية تلغيم أحد الثلاث ناقلات بترول السوفيتية التى استأجرتها الكويت وفعلاً أصابت الناقلة مارشال تشوكوف بلغم أثناء تواجدها بمياه الخليج . وفى الوقت الذى قد يكون هذا الحادث غير متعمد وأن تكون

الإصابة من لغم طافى حر ولكن توقيت حدوثه كان له تأثير على الموقف خاصة وأن إيران أسرعت بإعلان أنها يمكن أن تشن هجمات من هذا النوع بدقة عالية . وفى نفس يوم الحادث أذاع راديو بغداد على لسان أحد المسئولين أنه إذا كانت إيران قد ترددت فى مهاجمة السفن الكويتية فإنها لن تتردد فى ضرب السفن الأجنبية .

وأدى هذا الحادث إلى مواجهة بين إيران والإتحاد السوفيتى . وفى مساء يوم ١٧ مايو هاجمت طائرة ميراج ف ـــ ١ عراقية فرقاطة أمريكية (ستارك) كانت على مسافة ٨٥ ميلاً شمال شرق البحرين ، ٦٠ ميل من المنطقة الإيرانية المخطورة وإصابتها بصاروخين اكسوزيت إصابة مباشرة أحدث بها أضراراً جسيمة وقتل عدداً من أفراد طاقمها . وأعلنت العراق أن الأمر غير متعمد وأنه حادثة صدفية بحتة . وأدى هذا الهجوم إلى مناقشات حادة وحول دور الولايات المتحدة الأمريكية فى الخليج والقدرات الدفاعية الأمريكية والعلاقات الأمريكية السعودية .

وأدت حادثة الفرقاطة الأمريكية ستارك إلى إزدياد تورط الولايات المتحدة الأمريكية فى الخليج وتحوله من نشاط سياسى عسكرى متواضع إلى أزمة سياسية أمريكية رئيسية ودارت تحقيقات فى الكونجرس الأمريكى أثيرت فيها شرعية الوجود الأمريكى فى الخليج وما إذا كانت تحتفظ الولايات المتحدة بتواجد عسكرى فى الخليج من عدمه .

وكان الهجوم على الفرقاطة الأمريكية ستلرك إشارة إلى كل دول الخليج بأن الولايات المتحدة قد تكرر ما حدث فى لبنان وتنسحب كلية من الخليج . كما أن هذا الحادث شجع إيران على أن تتخذ موقفاً أكثر تشدداً ، وأدى إلى شعور عام بأن كل دولة تتلقى مساعدات أمريكية ستكون هدفاً لأعمال عدوانية إيرانية . ومع ذلك لا يمكن التكهن بأن إيران قد تحاول تنفيذ عمل عسكرى تختبر به رد الفعل الأمريكى وإن كان الخبراء قد أجمعوا على أن إيران تخطىء كثيراً إذا ظنت أن أى عمل عسكرى مباشر ضد السفن الأمريكية أو ضد السفن التى ترفع العلم الأمريكى سيؤدى إلى أن يطالب الكونجرس والشعب الأمريكى بإلغاء إتفاقية رفع العلم الأمريكى على الناقلات الكويتية أو الإنسحاب من الخليج كلية .

وعموماً فإن إيران حاولت التحول تدريجياً من الإستفادة من أى توتر أمريكى عراقى ومحاولة إهانة الإدارة الأمريكية وإدارة حرب أعصاب بطيئة إلى حرب أعصاب تهدف إلى دفع الكونجرس الأمريكى إلى إلغاء خطط الولايات المتحدة لحماية الناقلات الكويتية بل

وإلى سحب التواجد البحرى الأمريكى من الخليج .

وبدأت إيران تنفيذ خطتها ببطء ، فقامت قوارب الحرس الثورى الإيرانى بإطلاق النيران على ناقلة نرويجية وأشعلت النيران فى كبائن طاقم الناقلة . بعد ذلك حاولت قوات الحرس الثورى الإستيلاء على مرفأ بالقرب من قاو ، واشترك فى العملية ٤٠ قارب صغير مسلحة بالمدافع ١٠٦ مم عديمة الإرتداء والرشاشات والقواذف الصاروخية . وأصيبت سفينة الشحن برايمروز لإصطدامها بلغم فى نفس المنطقة التى أصيبت فيها السفينة السوفيتية تشوكوف . وهاجم قارب سريع السفينة نيهامر دون إنذار وهى فى طريقها إلى رأس تنوره وأطلق عليها صاروخين لم يصيبا السفينة وأسرع القارب فى الفرار .

وفى مايو وأوائل يونيو ارتكبت إيران أعمالاً لها تأثير على المصالح الأمريكية إذ اعترضت سفينة تجارية أمريكية (باتريوت) وطلبت منها الإعلان عن هويتها وذلك عند دخولها الخليج فى طريقها إلى البحرين ، ولكن المدمرة الإيرانية غيرت إتجاهها بسرعة عندما شاهدت المدمرة الأمريكية كوينجهام تقترب لنجدة السفينة الأمريكية . وهدأ الموقف حتى يوم ١٨ يونيو عندما قامت طائرة مجهولة بمهاجمة الناقلة اليونانية اثنيك بالقرب من الكويت .

وفى ٢٠/١٩ يونيو شنت العراق أول هجوم جوى رئيسى فى حرب الناقلات منذ هجومها على الفرقاطة ستارك . ونتج عن ذلك إصابة ناقلة بترول إيرانية بصاروخ اكسوزيت . كما هاجمت العراق الحاجز الغربى لجزيرة خرج . وتمت هذه الهجمات بعد أن أوقفت العراق هجماتها على الأهداف بالخليج لمدة شهر تقريباً ، ويبدو أن العراق خشيت أن تفقد تأييد الغرب فى موضوع إيقاف إطلاق النيران ولكنها اضطرت للرد لأن إيران كانت تصدر ٢,٣ مليون برميل / يوم وانخفضت أسعار التأمين على الناقلات فى الخليج .

وفى الوقت الذى لم يكن فيه واضحاً عما إذا كان رد الفعل الإيرانى على هذه الهجمات العراقية هو تنشيط عمليات التلغيم فى شمال الخليج . ووصلت فعلاً بعض الألغام العائمة ميناء الأحمدى الكويتى . وأعلنت الولايات المتحدة الأمريكية أن السعودية وافقت على السماح للأربع كاسحات ألغام السعودية فى المعاونة فى تطهير الميناء الكويتى من الألغام . كما أعلنت الولايات المتحدة أن المملكة السعودية ستسمح للقوات الجوية الأمريكية بإستخدام الأواكس لمد نطاق الإنذار والإستطلاع فوق الخليج .

وفى ٢٥ يونيو هاجمت العراق ناقلة بترول تركية بالصواريخ بالقرب من جزيرة خرج

وفى ٢٧ يونيو هاجمت إيران ناقلتين بترول اسكندنافيتين حوالى ١٢٠ ميل جنوب ميناء الأحمدى ، ٦٠ ميل شرق السعودية . وفى ٣٠ يونيو قام لنش مدفعية إيرانى بإصابة ناقلة بترول كويتية .

وبإنتهاء يونيو رفضت الولايات المتحدة الأمريكية إقتراحاً إيرانياً بفرض وقف إطلاق نيرانى جزئى والذى كان يعنى: عدم مهاجمة الناقلات ومنع العراق من الملاحة فى الخليج مع إستمرار الحرب البرية . وزادت الولايات المتحدة من ضغوطها لمد قرار الأمم المتحدة رقم ٥٨٢ الذى صدر عام ١٩٨٦ ونادى بإيقاف إطلاق النار . وردت إيران على ذلك بإجراء مناورات بحرية وأطلقت تحذيراً للولايات المتحدة الأمريكية بأنها ستتعرض لدرس قاسى ومرير إذا ما حاولت تحدى إيران فى الخليج . وأصبح واضحاً أن إيران لن تتراجع أمام الجهود الأمريكية لحراسة الناقلات وحمايتها ، وأن الولايات المتحدة الأمريكية تواجه تهديدا خطيراً من الألغام والإرهاب والهجمات الإنتحارية وإغارات السفن والقوارب الصغيرة .

وفى الوقت الذى ركزت فيه إيران على حرب الأعصاب التى شنتها فى الخليج طوال خريف ١٩٨٧ استمرت فى هجماتها البرية . فلقد نفذت قصفاً نيرانياً رئيسياً بالمدفعية ضد مدينة البصرة فى ١٤ مايو ، واستمرت فى إدارة بعض الأعمال القتالية الصغيرة على طول الحدود وتدعيم الثوار الأكراد فى هجماتهم فى الشمال .

وفى الوقت نفسه استمرت العراق فى تدعيم وتقوية دفاعاتها البرية وزادت من عمقها وخاصة فى القطاع الجنوبى من الجبهة . وبعد أن كانت كثير من الدفاعات العراقية تتكون من خط (نطاق) دفاعى واحد أصبحت تتكون من عدة خطوط (نطاقات) وقامت إيران بمحاولة تجفيف بحيرة السمك وباقى الموانى المائية الأخرى الموجودة أمام البصرة . وقامت كذلك بإنشاء ساتر ترابى فى شرق البحيرة ، ويبدو أنها تعد لهجوم جديد على البصرة . وشنت إيران هجومين صغيرين فى ١٧ ، ١٨ يونيو ١٩٨٧ . كان الهجوم الأول مشترك مع الثوار الأكراد فى الشمال وحدث هذا الهجوم بالقرب من أربيل ولم يكن إلا صدام محلى بسيط . وفى الجنوب حدث هجوم فى قطاع ميسان ولكنه كان هجوماً فاشلاً لم يحقق شيئاً . وفى ٢٠ يونيو شنت إيران هجوماً آخر حول ماوات فى شمال المرتفعات الكردية على بعد ثمانية أميال من الحدود وأعلنت إيران أنها استولت خلاله على ١٥ قرية ومساحة ٢٤ ميل مربع من الأراضى الإيرانية ولكن العراق أعلنت فى ٢٧ يونيو أنها صدت الهجوم واستردت كل الأراضى التى استولت عليها قوات هذا الهجوم .

تأثير جهود هيئة الأمم لتحقيق السلام :

فى ٢٠ يوليو ١٩٨٧ اتفق مجلس الأمن على إصدار القرار ٥٩٨ الذى يعلن قلق الأمم المتحدة بالنسبة لتكلفة وإخطار الحرب العراقية الإيرانية ، وأدان الهجمات ضد المدنيين الآمنين وإستخدام الأسلحة الكيماوية :

- طالب كلاً من العراق وإيران بوقف إطلاق النار فوراً وإيقاف الأعمال العسكرية فى البر والبحر والجو وإنسحاب كل القوات إلى الحدود الدولية المعترف بها دون أى تأخير .
- طلب من سكرتير عام الأمم المتحدة إرسال فريق لمراقبة تنفيذ وقف إطلاق النار .
- تبادل الأسرى فور توقف الأعمال العسكرية .
- طالب كل الدول الأخرى بالإمتناع عن تصعيد الصراع .
- طالب سكرتير عام الأمم المتحدة أن يناقش مع إيران والعراق موضوع تكليف لجنة لدراسة ومعرفة المسئول عن الحرب وتقديم تقرير للسكرتير العام فى أسرع وقت ممكن .
- طلب من السكرتير العام تعيين فريق من الخبراء لدراسة مسألة إعادة التعمير وتقديم تقرير بذلك للسكرتير العام .
- طلب من السكرتير العام دراسة الإجراءات التى تساعد على سرعة تحقيق الإستقرار والأمن فى المنطقة مع الأطراف المعنية .
- قرر الإجتماع مرة أخرى لدراسة الخطوات اللازمة والضرورية لتنفيذ القرار .

ولقد نص القرار ٥٩٨ على إنسحاب القوات الإيرانية فوراً من الأراضى العراقية التى استولت عليها وتبادل الأسرى فوراً . وكان القرار يطالب إيران بكثير من التنازلات فى مقابل تنازلات أقل من الجانب العراقى ما عدا الإعتراف بالحدود الدولية والذى يعنى الإعتراف بحقوق إيران فى شط العرب التى حصلت عليها فى إتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ . ويجب القول بأنه ليس من المستغرب القول بأن هذا القرار الجديد لم يحدث تغييراً فى الموقف الإيرانى ولم يجبرها على تنفيذ شىء ، بل اتهمت القرار بأنه يحابى العراق وطالبت بأن مسألة المسئولية عن الحرب يجب أن تقرر قبل أى وقف رسمى للنيران . واستمرت إيران فى التركيز على فكرة الإيقاف الجزئى للنيران وزادت من هجماتها على الولايات المتحدة الأمريكية ، كما حاولت إصلاح وتوطيد علاقاتها مع الإتحاد السوفيتى حتى تضمن عدم مرور قرار فى مجلس

الأمن بمقاطعة إمدادها بالتسليح والمعدات . كما بدأت إيران فوراً التفاوض مع الصين الشعبية لضمان إستمرار إمدادها بالسلاح ولضمان وقوف الصين الشعبية ضد أى قرار بالمقاطعة فى مجلس الأمن .

وفى ٢١ يوليو ١٩٨٧ بدأ رفع العلم الأمريكى فوق ناقلات البترول الكويتية وبدأت البحرية الأمريكية فى القيام بحراسة قوافل الناقلات فى الخليج ، وأطلق على هذه العملية الإسم الرمزى Operation Earnest Will . واستغرقت الولايات المتحدة حوالى أربعة شهور فى الإعداد لهذه العملية ومع ذلك فإن القوة الأمريكية التى كلفت بهذه المهمة كانت لها جوانب قوة وجوانب ضعف . وكانت أهم جوانب القوة أن القوة الأمريكية التى رافقت أول قافلة تتكون من حجم كبير نسبياً من القطع البحرية رافقت قافلة من ناقلتين بترول فقط . فلقد اشتملت هذه القوة على أربع فرقاطات وثلاث طرادات ومدمرة واحدة فى منطقة الخليج ومضيق هرمز .

وقامت هذه القوة بإجراء ثلاث تجارب عملية لتنفيذ المهمة قبل التنفيذ الفعلى لها كما كان للولايات المتحدة مجموعة حاملة طائرات فى المحيط الهندى ، كما كانت البارجة ميسورى وحاملة هليكوبترات فى الطريق للإنضمام لباقى القوات البحرية الأمريكية فى منطقة الخليج . وكانت الخطة تقضى بقيام من ٣ إلى ٤ قطع بحرية بمرافقة قافلة ناقلات تتكون من ناقلتين . وكلفت طائرات أ ــ ٦ ، ف ــ ١٨ ، وطائرة شوشرة ومقاتلات ف ــ ١٤ بتوفير الحماية والدعم للقوة المرافقة للقافلة . كما استخدمت طائرات الأواكس لتوفير الإنذار والتوجيه .

وخططت الولايات المتحدة أن تدبر حراسة للقوافل مرة كل أسبوعين خلال شهرى يوليو وأغسطس . وكان الفاصل لاختيار نجاح فكرة العملية ولمعرفة رد الفعل الإيرانى ؛ كما أنها قللت من عبء البقاء فى حالة إستعداد دائم ضد الهجمات الإنتحارية أو الوسائل الغير تقليدية الأخرى للحرب . وتم إختيار المدمرة فوكس والطراد كيد لأن المدافع ٧٦ مم المسلحة بها توفر قوة نيران مؤثرة ضد الإغارات الإيرانية المفاجئة وكذا ضد الأهداف البرية . وكانت جميع القطع البحرية الأمريكية مزودة برادارات بعيدة المدى وشبكات معلومات ومدافع الفالانكس المضادة للصواريخ . ومع ذلك كانت توجد عدة نقاط ضعف فى القوة الأمريكية أهمها عدم وجود قواعد بحرية وجوية محلية يمكنها أن تعمل منها ، وعدم

جدول يوضح حجم القوات البحرية لمختلف الدول
فى منطقة الخليج فى يوليو ١٩٨٧

الدولـة	طـراد	مدمـرة	فرقاطـة	فرقاطـة كورفيـت	FAC	لنـش مـرور	برمائـى	التأميـن
الولايات المتحدة	٢	١	٤	—	—	—	—	—
إيـران	—	٣	٤	٢	٨	٧	٨	٢
العـراق	—	—	٢	١٢	١٥	١١	٧	٥
بريطانيـا	—	١	١	—	—	—	—	—
فرنسـا	—	٢	—	—	—	—	—	—
الإتحاد السوفيتى	—	—	١	—	—	—	—	—
الكويـت	—	—	—	—	٨٠	٥٠	١٣	—
السـعودية	—	—	٤	٤	١٢	٤٦	١٥	٤
البحـرين	—	—	—	—	—	٤	—	—
قطـر	—	—	—	—	٣	٦	—	—
الإمـارات	—	—	—	—	٦	٩	—	—
عمـان	—	—	—	—	٨	٩	٧	—

قدرتها على توفير دفاع متقاطع للسفن التى تعمل خارج القافلة لتقليل نجاح الهجوم المكثف ، وكذا عدم توفر وسائل دفاعية ضد حرب الألغام التى ستستغلها إيران أساساً .

إن عدم وجود دفاع ضد حرب الألغام كان أحد نقط ضعف التخطيط الأمريكى للعملية إذ لم تتضمن الخطة أى إجراءات تأمين ضد هذه الوسائل رغم أن مخابرات البحرية الأمريكية حذرت من هذا الخطر . ومع ذلك لم تكن البحرية الأمريكية جاهزة لتحمل مسئولية مقاومة حرب الألغام ، واعتمدت فى ذلك على حلفائها الأوربيين أساساً . فلم يكن يوجد بالبحرية الأمريكية سوى ٢١ كاسحة ألغام قديمة عمرها ٣٠ سنة . وكل هذه الكاسحات عدا ثلاثة فقط كانت فى قوات إحتياطى البحرية . أما الكاسحات الثلاثة العاملة بالبحرية الأمريكية فكلفت بمهمة التفتيش ولم تكن مستعدة لتنفيذ مهمة حرب الألغام .

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية تواجه مدى واسع من التهديدات جزء منها فقط كانت مستعدة للتعامل معها . فإيران تمتلك مدى واسعاً للإمداد بالألغام ، ولديها ألغام

سطح وألغام قاعية وألغام زمنية وغير ذلك من الأنواع (مغناطيسية ، صوتية ، ألغام ضغط ، حرارية ، متحكم فيها عن بعد ... إلخ) ، ومنها ألغام معدنية كبيرة الحجم يمكن إكتشافها بواسطة السونار وألغام صغيرة الحجم يصعب إكتشافها ، وأخرى مغناطيسية

والمشكلة الأخرى هى المسافة التى تقطعها القافلة وكونها معرضة من وقت اقترابها من المضيق إلى لحظة دخولها ميناء الكويت . وكان على القافلة أن تتبع مساراً يشتمل على رحلة ١٠٠ ميل من دبيا خارج الخليج إلى المضيق . وبالنسبة لقافلة سرعتها ١٦ عقدة فإن الرحلة تستغرق ثمانية ساعات . وخلال الخمسين ميلاً التالية على القافلة أن تمر خلال المضيق على بعد ٢٠ ميل من المنطقة المحظورة الإيرانية وصواريخها السيلك وما بعد ذلك عليها أن تقطع ٩٠ ميلاً إلى نقطة بالقرب من أبو نوير فى مواجهة سواحل دبى . ومعنى ذلك المرور على أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى . ثم بعد ذلك تواجه رحلة ٦٠ ميل إلى الإمارات (الزقوم) تليها رحلة ٦٠ ميل إلى جزيرة هالول القطرية . وبعد ذلك رحلة ٩٠ ميل إلى شاه الوم الضحلة على بعد ميل واحد من المياه الإيرانية . بعد ذلك كان على القافلة أن تقطع ٢٨٥ ميل من مكان قرب فنار رأس تنوره إلى الكويت . وطول كل هذا يمكن لإيران اختيار مكان الهجوم المناسب . ولم تتمكن القيادة الأمريكية من المحافظة على السرية بالنسبة للقافلة (التوقيتات — الطريق — التشغيل ... إلخ) بسبب تدخل وسائل الإعلام .

وبدأت أول قافلة فى الإبحار طبقاً للجدول يوم ٢٢ يوليو ١٩٨٧ ترافقها أربع قطع حربية أمريكية من بينها طراد مسلح بصواريخ موجهة . وكانت القافلة تشتمل على ناقلة البترول العملاقة بريدجتون والناقلة جاس برنس . ولسوء الحظ ركزت الولايات المتحدة كثيراً من الصواريخ ضد التهديد المحتمل بالقرب من المضيق وقليل من الصواريخ بالنسبة للمناطق الأخرى المحتملة للهجوم . واتضح هذا الخطأ بجلاء فى الساعة السادسة والنصف من صباح يوم ٢٤ يوليو فلقد اصطدمت الناقلة العملاقة بريدجتون بلغم فى موقع خط عرض ٥٨ ٢٧° شمالاً وخط طول ٥٠ ٤٩° شرقاً . وتسبب اللغم فى إحداث ثقب كبير فى البدن وغمرت المياه ٤ عنابر من بين ٣١ عنبر بها . واضطرت القافلة أن تبطىء من سرعة تحركها (من ١٦ عقدة إلى ٥ عقدة) واضطرت القطع البحرية أن تسير خلف الناقلة . وكل ما أمكن للقطع البحرية عمله هو تشغيل أجهزة السونار وأن تنشر رجالاً مسلحين بالبنادق فوق سطحها لإصطياد الألغام التى يمكن رؤيتها .

لقد نجحت إيران فى إستغلال نقطة الضعف الوحيدة فى قافلة الولايات المتحدة الأمريكية دون أن تترك أثراً واضحاً يربط حادثة اللغم بإيران . ومع أنه ثبت فيما بعد أن إيران بثت ثلاث حقول ألغام مختلفة (٦٠ لغم على الأقل) لم يمكن إثبات أى علاقة بين إيران وهذا العمل .

وزاد من تأثير الهجوم الإيرانى أنه جاء بعد أن أعلنت حكومة الولايات المتحدة على لسان أحد القادة الأمريكيين أن كل شيء سار كما خطط له ، ودون أى تدخل من جانب إيران . وقال أن الحرب الطويلة أضعفت إيران وأن قواتها الجوية ضعيفة وقواتها البحرية ضعيفة ، وأنه ليس من مصلحة إيران أن تدخل فى مواجهة مباشرة مع القوات الأمريكية . وأدى حادث الناقلة بريدجيتون إلى إستفادة إيران دعائياً وإعلامياً ، حتى أن رئيس الوزراء الإيرانى قال أن الحادث ضربة ضد سياسة أمريكا ومكانتها العسكرية لا يمكن إزالة آثارها ، وكان حريصاً حينما قال الضربة نفذتها أيدى مجهولة . ثم أعلن رافسانجانى مرة ثانية تهديداته للكويت حينما قال : « إذا تعرضت منشآتنا البترولية ومراكزنا للضرب فإننا سنضرب منشآت ومراكز أصدقاء العراق » . وأعلن الخومينى أن لإيران سياسة جديدة للرد وأن الكويت هى الدولة الوحيدة فى المنطقة التى تدعم العراق فى الحرب علناً . وهدد الكويت بأن الصواريخ الإيرانية أرض / أرض يمكنها أن تصل إلى أى هدف داخل الكويت . وفى التالى رصدت ألغام أكثر فى جنوب المنطقة التى أصيبت فيها الناقلة بريدجتون ، وتم يوم ٢٧ يوليو إكتشاف سبعة ألغام بحرية صناعة كوريا الشمالية . وبدأ المعلقون يقولون أن الولايات المتحدة ليس لديها خطة جاهزة لمواجهة الموقف . وفى ٢٨ يوليو أعلن الخومينى أنه لا نهاية للحرب طالما بقى صدام حسين فى السلطة .

واستغرقت الولايات المتحدة بعض الوقت لتجابه الموقف . فلم يكن فى مقدورها فتح كاسحات ألغام أمريكية فى مدة تقل عن ١٠ — ١٥ يوما ، ولم يكن فى مقدورها إستخدام الهليكوبترات بدون فتح سفن دعم مناسبة . وكنتيجة لذلك كل ما أمكن للولايات المتحدة أن تفعله هو تدفع جواً ثمانى هليكوبترات RH-53D من قاعدة دييجوجارسيا وأن تجهز أربع سفن أبرار بحرى للعمل فى الخليج .

وواجهت الولايات المتحدة مشاكل خطيرة فى إيجاد التسهيلات اللازمة للهليكوبترات ووحدات القوات الخاصة وأى عناصر أخرى تريد فتحها فى الخليج . ورغم أن الكويت

استضافت مفرزة صغيرة لتطهير الألغام وسمحت للطائرات العسكرية الأمريكية العمل من الكويت فى حوالى ١٧ حالة إلا أنها ظلت مترددة فى تقديم قاعدة رسمياً للوحدات المقاتلة الأمريكية لأسباب سياسية .

وكانت البحرين والسعودية على إستعداد لتقديم أى دعم ممكن للولأيات المتحدة ولكنهما لم يوافقا على إعطاء أى قواعد للأمريكيين رسمياً . فكلاهما كان يرغب فى أن يحافظ على مظهر عسكرى هادىء فى الوقت الذى كان الضغط الداخلى الأمريكى يريد أن تفعل الإدارة الأمريكية كل شىء فى ضوء النهار وليس سراً .

وفى النهاية وافقت الكويت على حل وسط وهو توفير مركبين كبيرتين (larg farge) ترسيان فى المياه الدولية بالخليج ووافقت البحرين والسعودية على توفير ما يلزم لهاتين السفينتين . وبذلك تم تفادى مشكلة القواعد العسكرية وتم توفير مكان يمكن أن تدير منه أى عمليات هجومية أو استطلاعية ووضع معدات حرب إلكترونية ، وقوات كوماندوز وفتح مستشعرات ... إلخ . وتم تنظيم الدفاع عن السفينتين بواسطة صواريخ ستينجر ونظم الفالانكس المضادة للصواريخ وتم رص شكاير رمل باسلوب يقلل من أى تأثير تدميرى لصاروخ فردى أو هجوم جوى .

وقامت القوات الأمريكية بوضع إحدى هذه السفن وكذا منصة بترول خاصة جهزت خصيصاً لهذا النوع من الإستخدام على بعد ٢٠ ميل من جزيرة فارسى الإيرانية . وأطلق إسم رمزى على السفينة « هرقل » . وبذلك أمكن توفير نقطة مراقبة مستمرة لكل نشاطات الجانب الإيرانى فى جزيرة فارسى . وكانت هذه العملية ناجحة وأمكن للقيادة الأمريكية أن تخطط لتدبير وسيلة أخرى بالقرب من قاعدة القوارب السريعة الإيرانية فى أبو موسى .

ووافقت السعودية كذلك على توسيع نشاط أربع كاسحات ألغام سعودية ساعدت فى إكتشاف عدد من الألغام . ولكنها لم تقحم قوتها البحرية الصغيرة فى حماية الملاحة إلى الكويت لأنها كانت أيضاً معرضة للتهديدات الإيرانية ، ووافقت على إمداد البحرية الأمريكية بالوقود والسماح بالرسو الإضطرارى . ووافقت البحرين على تأجير بعض الأرصفة ، وسمحت بإستغلال منصات البترول التابعة لها التى عملت كقواعد صغيرة للعمل فيها .

وجاء الرد الإيرانى فى موسم الحج إذ نظمت مظاهرات إحتجاج قام بها ٧٠ ٠٠٠ حاج إيرانى فى مكة المكرمة ، ولكن الحكومة السعودية نجحت فى مواجهتها وإحباطها .

وإنتهى شهر يوليو بتصاعد فى المواجهة بين إيران وجاراتها فى الخليج وكل من فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة . ورغم تحدى إيران للولايات المتحدة إلا أن الأخيرة لم تبدى أى تراجع فى موقفها وبقيت إيران كما هى عرضة لردود فعل حاسمة . فبالرغم من الحرية التى كانت تمتلكها إيران فى إدارة حرب ذات مستوى منخفض كانت عرضة لهجمات أمريكية أو لحصار بحرى ومقاطعة بترولية مؤثرة . ويبدو أن الولايات المتحدة لم ترغب فى إستغلال نقاط الضعف الإيرانية ربما لأن الإدارة الأمريكية خشيت ألا تحصل على موافقة الكونجرس الأمريكى لأى إجراء عسكرى عنيف تريده القوات الأمريكية .

وكان الإتحاد السوفيتى المستفيد من هذا التصاعد ، ففى يونيو ويوليو أبدى دعمه للموقف العراقى والعربى ، بل وأرسل علناً أسلحة للعراق وندد بإيران ومواصلتها القتال ، وفى الوقت نفسه ندد بموقف الولايات المتحدة الأمريكية وإتهمها بأنها سبب تصاعد الصراع فى الخليج ، وأعلن أنه لن يقوم بحماية الناقلات ، وندد بالخطط الأمريكية وأعلن أنه على إستعداد لسحب قواته من الخليج إذا حذت الولايات المتحدة حذوه .

وفى أغسطس ١٩٨٧ استمرت الحرب وزادت حدة التوتر بين إيران والغرب . ولم يمر إسبوع دون محاولة إيرانية فى توجيه ضربة للبحرية الأمريكية بطريقة غير مباشرة ولم تترك فرصة لتستغل كل الوسائل الممكنة لمهاجمة السفن لإخراج الولايات المتحدة وإجبارها على سحب قواتها . وفى نفس الوقت إستمرت إيران فى تصعيد الضغط السياسى والعسكرى علىّ الكويت والسعودية . وفى المقابل استمرت الولايات المتحدة فى تدعيم إمكاناتها العسكرية بالمنطقة الأمر الذى ظهر منه أنها تنوى مواجهة إيران .

وظهرت أول خطوة فى هذا التصاعد يوم ٤ أغسطس عندما أعلنت إيران عن قيامها بمناورات بحرية فى الخليج ، وتم إختيار توقيتها ليتعارض مع عملية مرافقة إحدى القوافل . وفى ٨ أغسطس إعترضت طائرات ١ ف ـــ ١٤ من على حاملة الطائرات كوتستالليشن طائرة إيرانية فانتوم رفضت الإنذار وتابعت طيرانها فى إتجاه طائرة أمريكية بحرية طراز P-3C كانت تقوم بداورية إستطلاع . ولما اقتربت الطائرة الإيرانية لمسافة تمثل خطورة على الطائرة P-3C أطلقت إحدى القاتلات الأمريكية ١ ف ـــ ١٤ صاروخاً AIM-7F ولكنه لم يصيب

الطائرة الإيرانية التى غيرت إتجاهها وفرت هاربة ، ولم تحاول الطائرات الأمريكية ١ ف ـــ ١٤ متابعتها .

وانضمت إلى القوة البحرية الأمريكية فى الخليج السفينة الأمريكية جوادلكانال فكانت إضافة إلى قدرات حرب الألغام ، بالإضافة إلى الهليكوبترات الهجومية المسلحة بالتاو التى وصلت معها (على سطحها) وأطقم الصاروخ ستينجر لتضيف إلى القوات الأمريكية الموجودة بالخليج وسائل دفاع جوى ووسائل هجومية إضافية . كما كانت البارجة ميسورى فى طريقها إلى المنطقة ومعها طراد وأربع لنشات مرور ، وكذا فريق القوات الخاصة للبحرية (SEAL) وعناصر أخرى كثيرة .

وفى أغسطس قامت العراق بقصف المنشآت البترولية الإيرانية من جديد . كما اصطدمت ناقلة بترول بنميه بلغم جنوب المضيق فى خليج عمان . وكانت هذه سادس ناقلة تصيبها الألغام فى الثلاث شهور الأخيرة ، ولكنها كانت أول حادث خارج الخليج .

وفى اليوم التالى اكتشفت خمسة ألغام جديدة بالقرب من الفجيرة وكانت كلها ألغام سوفيتية الصنع . وكان ذلك دليلاً على أن إيران قررت توسيع مناطق بث الألغام بما فى ذلك خارج الخليج حيث تنتظر كل الناقلات قبل عبور المضيق . وحاول رافسانجانى أن يوهم الرأى العام الدولى بأن الولايات المتحدة وحلفاؤها هم الذين بثوا هذه الألغام ، واتهم العراق بنفس التهمة ، وأنه أمر البحرية الإيرانية بالخروج لتطهير هذه الألغام .

ومهما كانت حسابات إيران بالنسبة لشن حرب الألغام فإنها لم تدرك أو تتفهم ردود الفعل التى قد تقوم بها الدول الأوروبية . وأعلنت بريطانيا أنها سترسل قانصة (صائدة) ألغام إلى الخليج لتنضم للمدمرة البريطانية هناك ، وأعلنت فرنسا عن إرسال ثلاث كاسحات ألغام لنفس الهدف ولتنضم إلى حاملة الطائرات الفرنسية كليمنصو والمدمرتين الفرنسيتين هناك . ومعنى ذلك أن حجماً من وسائل إزالة الألغام بدأ يتجمع فى الخليج لمواجهة حرب الألغام التى شنتها إيران .

ووجدت الولايات المتحدة نفسها أمام إلتزام تتزايد أعباؤه يوماً بعد يوم ، فلقد تورطت فى صراع مع إيران وهى فى ذلك تعتمد أساساً على خوف إيران من قدرات أمريكا العسكرية القادرة على إحداث تدمير كبير فى قدرات إيران العسكرية إذا ما تطور الصراع إلى صراع عسكرى حقيقى . ومع ذلك فإن إكتفاء أمريكا ودول أوروبا الغربية (فرنسا

وبريطانيا) بحماية القوافل التى تحمل أعلام بلادها طبقاً لخطة محكمة يعنى أن إيران يمكنها الإستمرار فى إستراتيجيتها وتقوم بمهاجمة الناقلات الخاصة بالدول الأخرى والتى لا تحمل أعلاماً أمريكية أو بريطانية أو فرنسية . ولكن تظل خطورة محاولة أى من الطرفين محاولة إختيار حدود الطرف الآخر ، كما أن الإتحاد السوفيتى لابد وأن يعمل على إستغلال هذا التوتر بصورة أو بأخرى .

وجاءت الخطوة التالية فى تصعيد حرب الناقلات فى خليج عمان . فأثناء قيام البحرية الإيرانية بإنهاء مهمة تطهير وإزالة ألغام بالقرب من الفجيرة (ست سفن وست هليكوبترات) قام لنشان مرور إيرانيان بمهاجمة سفينة ليبيرية تحمل مواد كيماوية خارج المضيق ، وكان ذلك بمثابة أول إستخدام لسفن الحرس الثورى فى هجوم مباشر خارج الخليج . كما أن هذا التصعيد حدث فى وقت كان مجلس الأمن يدعو إلى الضغط على إيران للإلتزام بقرار وقف إطلاق النار وكان السكرتير العام للأمم المتحدة يرتب لزيارة كل من إيران والعراق . ويبدو أن هذا الهجوم أقنع صدام حسين بعدم نجاح أى سعى لإيقاف إطلاق النار فبدأ من جديد فى توجيه هجمات عراقية ضد المدن الإيرانية فى ١٠ أغسطس وقصف تبريز وجاشاران ، كما قامت الطائرات العراقية بالإغارة على أهداف إيرانية مثل حقول البترول ومصانع البترو كيماويات ومصانع الأسمنت والسكر ومحطات الطاقة ومصنع للألومنيوم .

وهددت العراق بتحويل ضرباتها الجوية ضد الأهداف البرية لمهاجمة الأهداف البحرية فى الخليج . وأعلنت بوضوح أن إستراتيجيتها تعتمد على عاملين : استثمار مبادرة هيئة الأمم والجهود الخارجية الأخرى للوصول إلى إتفاق شامل لوقف إطلاق النار ، ومحاولة إستخدام سوق البترول والضربات ضد الأهداف البترولية الإيرانية لفرض السلام . ولما لم تجد هذه التهديدات آذاناً صاغية بدأت العراق فى تنفيذها . ففى ٣٠ أغسطس بدأت ضرباتها فى الخليج بعد توقف دام ٤٥ يوماً . فقامت بضرب جزيرة خرج ومجمع بترولى إيرانى فى سيرى ولافان . وفى نفس اليوم كانت القافلة الأمريكية الرابعة المتجهة صوب الكويت قد دخلت لتوها الخليج .

ونظرياً فإن إيران تعتبر شديدة التعرض لضربات ضد محطات القوى ومصافى البترول وكل المنشآت البترولية الهامة . وبحلول منتصف عام ١٩٨٧ كان تصدير البترول يمثل ٣٠٪

من مصادر النقد الأجنبى لإيران ، وكان ٨٠٪ من بترول إيران يتم إستخراجه من جزيرة خرج . وعلى الورق كانت الضربات ضد جزيرة خرج أكثر إغراءاً ، إلا أن جزيرة خرج استمرت فى الإنتاج والتصدير . وكانت مصممة لإنتاج ٦ مليون برميل يومياً . وكان لإيران قدرة على تصدير حوالى ربع مليون برميل يومياً من جزيرتى لافان وسيرى فى جنوب الخليج ، ومنذ أن كانت حصة الأوبك ٢٤ مليون برميل / يوم فقط وكانت حصة إيران ٣ مليون برميل / يوم فإن إيران تمكنت من تصدير إحتياجاتها من جزيرة خرج إذا تمكنت من خدمة ١,٨ مليون برميل / يوم بالناقلات .

إن كثيراً من منشآت خرج كانت محصنة ووسائل السيطرة عليها توجد فى مبانى محصنة كذلك . كما أن مرفأها فى الغرب وفى الشرق عبارة عن منشآت خرسانية محصنة ومن السهل إصلاحها . وكان هذا يعنى أنه يجب على العراق أن تستمر فى قصفها بإستمرار بأعداد كبيرة من الطائرات حتى يمكن إحداث التأثير التدميرى فى تلك المنشآت الخرسانية الحصينة . ورغم عدم وجود دفاع جوى صاروخى قوى عن الخرج إلا أن وسائل الدفاع الجوى بها كانت كافية لتحدث خسائر مؤثرة فى القوات الجوية العراقية إذا ما حاولت الإستمرار فى ضرب منشآت الجزيرة .

وفى منتصف عام ١٩٨٧ كانت إيران مؤمنة نسبياً ضد الخسائر المؤقتة فى جزيرة خرج وقدرات التصدير ، بل وحتى بالنسبة لإنتاج معامل التكرير والمصافى . فلقد كانت تستهلك فقط ٢٥٠٠٠٠ برميل / يوم داخلياً ولديها أسطول من الناقلات فى لارك تم به تخزين كميات كبيرة من البترول كاحتياطى (٦ ناقلات عملاقة تحتفظ بحوالى ١٩ مليون برميل نفط خام ، ١١ ناقلة بها إحتياطى الوقود) . وهذا يوفر لإيران ٧ أيام وقود إحتياطى فى حالة أى خسائر مؤقتة فى خرج .

واستمرت العراق فى إستخدام صواريخ الأكسوزيت رغم أن طائراتها تطلقها دون أن تصل إلى مدى الرؤية المتبادلة . ولم تكن هذه الصواريخ من القوة بحيث يمكنها تدمير الناقلة . وكانت معظم الناقلات العاملة فى الخليج طولها حوالى ١٠٠٠ قدم أو أكثر ولذلك فهى أقل تعرضاً للغرق عن معظم السفن الحربية . وبدنها من ألواح صلب بسمك ٢٢ — ٢٦ ملليمتر وهى قادرة على مقاومة إختراق طلقات معظم الرشاشات أما القواذف الصاروخية والصواريخ فإنها قادرة على إختراق هذه الألواح بسهولة ولكن إنفجار الرأس المدمر لأى

صاروخ مثل المافريك والاكسوزيت والهاربون أو سى كيلر عادة ما يخمده النفط ، ونادراً ما يشتمل النفط نتيجة هذا الإنفجار والناقلات الفارغة تقوم بغسيل خزاناتها بالعادم الناتج من محركاتها لطرد الأكسجين وبخار البترول وهى عملية روتينية عادية . كما أن الناقلة بها ١٧ خزان معزولة عن بعضها البعض ولذلك فعادة ما تملأ المياه خزان واحد فقط فى حالة الإصابة بصاروخ .

بل أن ناقلات الغازات السائلة تجهز ببدن مزدوج (ثنائى) ، ويتم عزل الضغط فى البدن الداخلى عن الضغط فى البدن الخارجى بمسافة قدمين . وهذا الفاصل يقلل من تأثير الصواريخ الصغيرة . كما أن وسائل نقل الحركة والمحركات لمعظم الناقلات يصعب إصابتها . ويمكن القول بأن ناقلات الجازولين هى الناقلات الوحيدة الأكثر تعرضاً للتدمير وهى نادرة فى الخليج العربى .

وعليه فنادراً ما نجحت العراق فى تدمير أى ناقلة بترول إيرانية أو حتى تعطيلها لفترة طويلة . ولما كانت إيران تحتاج لعشرة ناقلات فقط لتحقق لها الإحتياطى المطلوب فإنها بما تمتلكه من ناقلات للتخزين (١٧ ناقلة من بينها ٦ ناقلات عملاقة) فى أمان كامل بالنسبة لإحتياجاتها من الوقود . وكان من الممكن للضربات العراقية أن تكون أكثر تأثيراً لو استخدمت خليطاً من القنابل التقليدية والنابالم والقنابل العنقودية والألغام المضادة للدروع والقنابل الموجهة بالليزر أو إستخدام قنابل Cluster Bombs تحتوى على عناصر مضادرة للدروع وعناصر حارقة كما أن القنابل الثقيلة يمكنها قتل أطقم الناقلات الأجنبية وبالتالى تمتنع الشركات عن إرسال ناقلاتها للخيلج . وعليه فإن العراق افتقرت إلى الحنكة لاستنباط ما تحتاجه لتصبح هجماتها مؤثرة ، أو لم تتمكن من الحصول على الوسائل المناسبة . وقد يكون هذا هو السبب فى تركيز العراق على ضرب المصافى ومحطات القوى عندما ترغب فى الضغط على إيران ، وهى أهداف أقل إثارة للغرب ولدول مجلس التعاون ، كما أنها أسهل فى ضربها ، وتحقق فى آن واحد التأثير على قدرات التصدير الإيرانية وعلى الإقتصاد الإيرانى وعلى الشعب الذى يتعرض لأجواء الشتاء الباردة فى حالة نقص الوقود . ومع ذلك فإن هذه الضربات تحتاج للإستمرارية لنجاحها وإلى درجة دقة عالية فى الإصابة وهو ما لم يتوفر للطائرات العراقية سوفيتية الصنع .

ومن المؤكد أن قوات جوية أكثر تطوراً وأحسن تدريباً كان من الممكن أن تحدث التأثير

المطلوب دون خسائر رئيسية فيها ، ولكن القوات الجوية العراقية افتقرت للطيارين الأكفاء بالأعداد المناسبة ، وإنخفاض مستوى التأمين الفنى كما افتقرت إلى وسائل الإستطلاع الجيدة لتكتشف الأهداف وتحدد أماكنها بدقة .

وأصبحت حرب الناقلات أكثر خطورة بنهاية أغسطس وأوائل سبتمبر فلقد إنتهى الإنفاق الثنائى الذى عقده صدام حسين فى إيقاف إطلاق النار ضد الملاحة فى الخليج فى ٢٩ أغسطس . وبدأت العراق فى زيادة معدل ضرباتها ضد الأهداف البحرية فى الخليج بالإضافة إلى ضرباتها ضد الأهداف الإقتصادية والسكانية التى بدأتها فى ١٠ أغسطس وردت إيران حريصة ألا تكون السفينة من بين السفن التى ترفع العلم الأمريكى . وتبادلت العراق وإيران سلسلة من التهديدات وأعلنت إيران أنها سترد على الضربة بضربة واتهمت العراق بمهاجمة المدنيين . وقامت إيران بإصابة ناقلتين تحملان بترولاً عربياً . وأدى كل ذلك إلى تزايد معدل الهجمات ضد السفن فتم مهاجمة سبعة سفن فى يوم واحد . وأعلنت العراق أنها أصابت ١١ سفينة فى خمسة أيام ، ٢ محطة قوى ومركز مواصلات .

واستمر هذا النمط طوال ما بقى من عام ١٩٨٧ واستمر فى أوائل عام ١٩٨٨ . وكانت العراق تزيد من التصعيد عندما تشعر بفتور فرصة وقف إطلاق النار ، وعندما تكون تحت ضغط عسكرى ، أو عندما تحس أن التصعيد يزيد من ضغط الغرب على إيران . أما إيران فكانت تزيد من التصعيد كلما كان ذلك فى صالحها .

وأخذ دور أوروبا فى النمو بالخليج . فقرار بريطانيا وفرنسا إرسال سفن حربية إلى الخليج فى ١١ أغسطس ١٩٨٧ تبعه ضغط بريطانى على بلجيكا وإيطاليا وهولندا أن تأخذ دوراً أكثر إيجابية . ونتيجة لذلك تم عقد إجتماع بين دول غرب أوروبا ولكن المؤتمر فشل فى تحقيق أى نتائج إيجابية وكل ما خرج به المؤتمر هو نداء بحرية الملاحة . فلقد رفضت ألمانيا إتخاذ أى إجراء عملى ، وأصرت إيطاليا على أن تقوم الأمم المتحدة بمبادرة ما ، أما بريطانيا وفرنسا فكانتا قد اتخذتا فعلاً خطوات عملية . أما هولندا فلقد حاولت الحث على إتخاذ إجراء موحد من قبل دول أوروبا الغربية فى الخليج ولما فشلت تصرفت متفردة ولجأت إلى بريطانيا طلباً للحماية الجوية والتأمين الإدارى لكاسحة ألغام ترسلها إلى الخليج ووافقت بريطانيا على ذلك . وفى ٧ سبتمبر ١٩٨٧ أعلنت هولندا أنها سترسل كاسحتين ألغام إلى الخليج ، وقررت بلجيكا أيضاً إرسال كاسحتين للخليج . وأقلعت السفن الهولندية

والبلجيكية معاً أواخر سبتمبر . وبعد هجوم إيرانى على ناقلة إيطالية أعلنت إيطاليا أنها سترسل ثمانى سفن حربية إلى الخليج من بينها ثلاث كاسحات ألغام وفرقاطة لوبو وفرقاطتين طراز ميسترال أقلعت فى ١٥ سبتمبر ١٩٨٧ إلى الخليج ويوضح الجدول التالى حجم القوات البحرية الموجودة بالخليج أو فى الطريق إليه حتى ٢٠ سبتمبر ١٩٨٧ .

الولايات المتحدة	فرنسا	بريطانيا	إيطاليا وبلجيكا وهولندا
قوة الشرق الأوسط : سفينة قيادة ، ٢ طراد ، مدمرة ، ٥ فرقاطة ، سفينة نقل معاونة ، سفينة أبرار **عناصر لمهمة مؤقتة :** ٢ طراد ، مدمرة ، ٢ فرقاطة ، سفينة ذخيرة ، سفينة إمداد ، **مجموعة قتال ميسورى :** بارجة + ٢ طراد + مدمرة + فرقاطة ، سفينة دعم ، ٥ كاسحة ، ٢ سفينة سحب ألغام	حاملة طائرات ، ٢ مدمرة ، مدمرة ، ٣ فرقاطة ، ٣ قانصة ألغام ، ١ سفينة معاونة ، ناقلة بترول ، سفينة دعم ، سفينة ألغام	مدمرة ، ٣ فرقاطه ، ٤ قانصة ألغام ، سفينة إصلاح ، سفينة دعم ، سفينة إمداد ، طائرة نمرود	٣ فرقاطة ، ٦ كاسحة ألغام ، ٢ سفينة إمداد ، سفينة وورشة

وهو حجم كبير ومؤثر من الوحدات البحرية للدول الغربية له القدرة على التدخل المؤثر عند اللزوم وفرض الإدارة إذا تقرر ذلك..

واستمرت العراق فى توجيه ضربات متفرقة ضد أهداف بالخليج طوال شهر سبتمبر ولكن إيران هى التى بدأت السباق . ففى ٢٠ سبتمبر قام قارب سريع إيرانى بمهاجمة ناقلة سعودية فى المضايق . وفى ٢١ سبتمبر هاجمت إيران ناقلة بريطانية اشتعلت فيها النيران وقتل طاقمها . وأدى ذلك إلى رد فعل بريطانى فطردت كل أفراد مركز الإمداد الإيرانى فى لندن والذى كان مكلفاً بشراء الأسلحة والمعدات .

حادث الطائرة الإيرانية

بعد حادثة الناقلة بريدجتون حذرت الولايات المتحدة إيران عدة مرات من أن تصرفاتها قد تؤدى إلى أنها ستقوم بضرب أى سفينة إيرانية تقوم برص ألغام بحرية أو تحاول رص الألغام بدون أى إنذار وذلك فى المياه الدولية . وقامت الولايات المتحدة بدفع وحدة من القوات الخاصة بالجيش إلى الخليج فى سبتمبر ، وتم إعداد خطة لمتابعة وإكتشاف أى سفينة إيرانية ترص الألغام وقامت الولايات المتحدة بإستخدام الأقمار الصناعية وطائرات الإستطلاع SR-71 وكذا كل وسائل جمع المعلومات وخاصة الهليكوبترات المزودة بأجهزة خاصة لمتابعة النشاطات الإيرانية فى بث الألغام البحرية من لحظة التحميل فى الميناء إلى البث الفعلى للألغام . وفعلاً تم صد إحدى السفن الإيرانية (سفينة تسمى Iran Air) وتتبعتها من لحظة تركها للميناء حتى وصلت إلى نقطة تبعد حوالى ٥٠ ميل من البحرين شمالى قطر ورصت ست ألغام . ويبدو أن السفينة الإيرانية كانت تشعر أنها آمنة لأنها كانت تعمل ليلاً . وفعلاً قامت طائرتان هليكوبتر بالإقتراب لمسافة ٥٠٠ متر من السفينة الإيرانية وشاهداها وهى ترص الألغام وطلبوا الإذن بمهاجمتها ، وتم ذلك وفتحت الهليكوبترات النيران على السفينة وأصاباها بعطب وقتلا خمسة من أفراد طاقمها . ثم قامت مجموعة خاصة من القوات البحرية بالإستيلاء على السفينة وأسرت ٢٦ فرد من الطاقم ، ثم بعد ذلك تم نسف السفينة وإغراقها . وبذلك تم كشف الأعمال الإيرانية للعالم ، وتوقفت إيران بعد ذلك عن الإدعاء بأن أيدى مجهولة هى التى تقوم ببث الألغام . وحدث هذا الهجوم أثناء وجود خومينى فى الأمم المتحدة وكل ما قاله أن هذه السفينة هى سفينة تجارية وأن رص الألغام مجموعة من الأكاذيب . وكانت القوة الأمريكية قد وجدت بالسفينة ثمانية ألغام سوفيتية الصنع وخريطة توضح أين تقوم برص الألغام ، وصورت فيلماً للطاقم والألغام تحدث فيه الطاقم عن مهمة رص الألغام بالتفصيل . ولقد حظى الإجراء الأمريكى بتأييد دولى واسع وهذا بالتالى ساعد الإدارة الأمريكية على الإحتفاظ بتواجد بحرى قوى فى الخليج . ولم تحظ إيران بتأييد مطلق من الإتحاد السوفيتى فالمتحدث الرسمى السوفيتى كان حذراً عند تلافى القول بأن إيران لها الحق فى بث الألغام بالخليج لأن الإتحاد السوفيتى كان حريصاً على عدم اغضاب العرب .

وفى نفس الوقت تسببت حركات الإستقلال الكردية فى خلق الكثير من المشاكل لكل من العراق وتركيا . وما أن أوقفت إيران عملياتها الهجومية فى الجنوب أخذت فى زيادة مساعداتها للأكراد المناهضين للعراق . وكان رد الفعل العراقى ضد أى هجوم كردى جديد بأخذ موقف

أكثر تشدداً وقامت العراق بطرد سكان أكثر من ٢٠٠ قرية كردية فى أواخر عام ١٩٨٧ ووضعتهم فى أماكن أخرى ، وقامت الحكومة العراقية بتشديد قبضتها على بقية الأكراد .

وكانت إيران تواجه مشاكل داخلية خاصة بها فحركة المجاهدين بزعامة مسعود راجانى أقلقت حكومة الخومينى ، وكانت هذه الحركة تتلقى دعماً مالياً خارجياً وتمكنت من إنشاء ميليشيات خاصة بها فى إيران أطلقت عليها جيش التحرير الشعبى . وقامت قوات هذا الجيش ببعض الإغارات الصغيرة وتفجير بعض القنابل . وأدى ذلك إلى قيام قوات الحرس الثورى بإنشاء وحدة خاصة فى غرب إيران للعمل ضد هذه الحركة . وعموماً لم تشكل هذه الحركة خطراً كبيراً على الأمن الداخلى حتى فى المناطق التى تتمركز فيها .

وفى أوائل أكتوبر ١٩٨٧ أخذت الحرب طابعاً خاصاً يتسم بثلاث إتجاهات متوازية :

- تصاعد المواجهة بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية .
- إستمرار المعركة السياسية داخل الأمم المتحدة من أجل مبادرة السلام ، وتزايد الضغط الأمريكى لفرض المقاطعة ، وسعى الإتحاد السوفيتى لتدعيم علاقاته مع العرب .
- إستمرار الصدامات الحدودية المحدودة بين العراق وإيران .

وخلال أغسطس وأكتوبر شنت إيران عدة هجمات بواسطة لنشات المدفعية ضد عدد من الناقلات ، وردت العراق بنفس الطريقة ، ومع هذا فإن هذه الأعمال لم تحدث أثراً يذكر فى تقليل حجم إنتاج البترول لأى من الطرفين .

الهجوم الإيرانى بالصواريخ سيلك وورم على الكويت :

فى ١٥ أكتوبر أضافت إيرلن بعداً جديداً للحرب فى الخليج بإطلاقها صاروخ سيلك وورم على الكويت من شبه جزيرة الفاو أصاب ناقلة بترول ليبيرية كانت فى المرسى . وتسببت الإصابة فى إحداث أضرار جسيمة بالناقلة ، ولم يحدث رد فعل أمريكى أو كويتى على الهجوم . وفى ١٦ أكتوبر أطلقت إيران صاروخاً ثانياً ضد ناقلة بترول كويتية تحمل العلم الأمريكى وكانت على بعد سبعة أميال شرق ميناء الأحمدى . وأعلنت الولايات المتحدة أنها سترد على الهجوم لأن السفينة تحمل العلم الأمريكى . ورداً على هذا العمل قامت البوارج الأمريكية بقصف منصة بترول إيرانية فى جنوب الخليج وأشعلت فيها النيران ، وقامت قوة خاصة من القوات البحرية بتدمير منصة أخرى . وكان هذا الإجراء لردع إيران عن أى عمل مماثل آخر .

ولقد إيدة الدول الغربية العمل الذى إتخذته الولايات المتحدة ، أما الإتحاد السوفيتى فاستمر فى تباعده عن السياسة الأمريكية . وانخفض التواجد السوفيتى فى المنطقة إلى فرقاطة واحدة وست كاسحات ألغام وسفينة إمداد، وطالب إيران والعراق إيقاف حرب الناقلات وإنسحاب كل الأساطيل الأجنبية واللجوء إلى الحلول الدبلوماسية . وفى نفس الوقت إستمر الإتحاد السوفيتى فى طوير علاقاته مع إيران وتوريد السلاح لكل من العراق وإيران .

وكان أول رد فعل للعملية الأمريكية إذاعة عدة تهديدات ضد الولايات المحدة ، وقصف شمال الكويت بالمدفعية . وفى الوقت الذى غادرت فيه القافلة الثانية عشر الخليج دون حوادث إتهمت إيران الولايات المتحدة بأنها تسببت فى خسائر قيمتها ٥٠٠ مليون دولار وخفض إنتاج البترول الإيرانى بمقدار ٢٥٠٠٠ برميل / يوم . وبادرت إيران فى التشاور مع الإتحاد السوفيتى الذى أذان الهجوم الأمريكى وإتهمته بأنه عمل إرهابى . ومع ذلك استمرت إيران فى أعمالها العسكرية ففى ٢٢ أكتوبر أطلقت صاروخ سيلك وورم جديد على الكويت وإصابة منصة بترول أمام ميناء الأحمدى . ولم ترد الولايات المتحدة على هذا الهجوم وأعلنت أنها لا تدافع عن الكويت . ولكنها ساعدت الكويت فى إعادة توزيع قواتها لتأمين جزيرة بوبيان ومنع أى هجوم برمائى إيرانى سريع للإستيلاء على هذا الهدف الإستراتيجى الهام الواقع بين شبه جزيرة الفاو والأراضى الكويتية . واتفقت الولايات المتحدة مع الكويت على وضع سفينة كبيرة Larg barge فى المياه فى مقابل الأراضى الكويتية لتستخدم كمنطقة إنطلاق للعناصر المختلفة من القوات الأمريكية وذلك لتلافى المشاكل التى قد تنجم عن منح الكويت قواعد أو تسهيلات فى الأراضى الكويتية .

بعد ذلك حرصت إيران على إلا تثير الولايات المتحدة الأمريكية ، وأبحرت القافلة الثالثة عشر دون أى حوادث . ويبدو أن إيران انتظرت لترى ما إذا كانت الولايات المتحدة ستتقدم بمبادرة من عدمه ، وأوقفت معظم نشاطاتها البحرية فى الخليج .

واستمرت العراق فى إدارة حرب الناقلات والبترول ، واستخدمت قواتها الجوية لتبين أنها لا توافق على أى صورة من صور إيقاف إطلاق النار الجزئى . وفى الوقت نفسه غيرت فى إستراتيجيتها التى بدأتها فى أواخر أغسطس . فلقد حاولت ضرب نظام تكرير البترول الإيرانى ومحطات توليد القوى وذلك بهدف خلق صعوبات لإيران فى توفير الوقود الكافى للتدفئة فى الشتاء . ولهذه الإستراتيجية ميزة أنها قد تؤدى إلى إصابة الإقتصاد الإيرانى

بالشلل أسرع من منع تصدير البترول ، كما يمكن للعراق تقليل عدد هجماتها فى الخليج وتلافى الضغط عليها لإيقاف حرب الناقلات . واتهمت إيران العراق بأنها تقصف الأهداف المدنية وحذر راديو طهران حكام بغداد من إنتقام القوات الإيرانية ، وطلبت من أهالى العراق الذين يسكنون بالقرب من الأهداف الإقتصادية والعسكرية أن يتركوا منازلهم واللجوء إلى المدينتين المقدستين كربلاء والنجف فى محاولة لبث الذعر بين أفراد الشعب العراق خوفاً من الصواريخ سكود الإيرانية والتى أطلقت أربعة صواريخ منها على بغداد فيما بين ٤ أكتوبر ، ٢٠ أكتوبر .

والجدول التالى يوضح نمط الهجمات الإيرانية والعراقية فى حرب الناقلات ما بين عام ١٩٨٤ وعام ١٩٨٧ .

السنة	نظم جوية صواريخ	نظم جوية طلقات	نظم جوية قنابل	صواريخ اطلقت من الهيل	صواريخ اطلقت من السفن	صواريخ قنابل يدوية من السفن	ألغام	غير معروف	اجمالى الهجمات
(١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)	(٦)	(٧)	(٨)	(٩)	(١٠)
عام ١٩٨٤									
العراق	٣٥	—	—	—	—	—	١٦	٢	٥٣
ايران	١٨	—	—	—	—	—	—	—	١٨
اجمالى	٥٣	—	—	—	—	—	—	١٦	٧١
عام ١٩٨٥									
العراق	٣٢	—	١	—	—	—	—	—	٣٣
أيران	(١٠)	—	١	٣	—	—	—	١	١٤
اجمالى	(٤٢)	—	—	٣	—	—	—	١	٤٧
عام ١٩٨٦									
العراق	٥٢	٤	١	١	—	—	—	٨	٦٦
ايران	(٩)	—	—	٢٦	٤	١	—	٥	٤٥
اجمالى	(٦٥)		١	٢٧	٤	١	—	١٣	١١٠
ناقلات ١٢ أكتوبر									
العراق	٥٧	—	٣	—	—	—	—	٢	٦٢
ايران	—	—	—	١	١٤	٣٤	٨	٥	٦٢
اجمالى	٥٧	—	٣	١	١٤	٣٤	٨	٧	١٢٤

عـــام
ناقلات ١٩٨٧

العراق	١٧٦	٤	٥	١	—	—	٢	٢٦	٢١٤
ايران	٣٧		—	٣٠	١٨	٣٦	٨	١١	١٣٩
اجمالي		٥	٣١	١٨	٣٦	١٠	٣٧	٣٥٣	

الهجوم العراقى والتدخل الغربى
لفرض وقف اطلاق النيران
سبتمبر ١٩٨٧ ـ مارس ١٩٨٩

لقد ادارت العراق معارك دفاعية ناجحة عند البصرة وضد معظم الهجمات الايرانية التى اعطيت الاسم الرمزى كربلاء ولكن ايران لم تتوقف عن زعمها بأنها ستنفذ هجوما نهائيا يحقق لها النصر واستمرت فى طلب التطوع لهذا الهجوم من افراد الشعب الايرانى . وخلال معظم المعارك التى دارت عام ١٩٨٧ احتفظت ايران بالمبادأة ، ولم تتمكن العراق الا من توجيه بعض الهجمات المضادة . ومع ذلك كانت الظواهر خادعة ، فمسار الحرب تغير جذريا فى ربيع عام ١٩٨٨ لينتهى بعدد من الانتصارات العراقية التى أدت الى ارغام ايران على قبول نفس شروط وقف اطلاق النيران التى عرضت عام ١٩٨٢ . لقد ادت ثلاث عوامل الى تحديد شكل المرحلة الجديدة من الحرب :

- سلسلة من التغيرات التى حدثت فى القوات المسلحة العراقية وطرق ادارتها للحرب .
- التغير الذى حدث فى قدرات ايران عى الاستمرار فى القتال بسبب تأثير الخسائر الايرانية الاقتصادية والعسكرية سياسيا وسوء ادارتها للحرب .
- التواجد الغربى فى الخليج وازدياد عزلة ايران سياسيا .

لقد بدأت القوات العراقية فى تطوير قدراتها وخبراتها والتغلب على الأخطاء والقصور الذى حدث فى سبع سنوات طويلة من القتال . كما طورت العراق وحسنت من تكتيكاتها البرية والجوية . لقد استفادت من كثير من النصائح التى اعطيت لها من مصادر خارجية ، كما أنها كانت قادرة على الحصول على الأسلحة والتكنولوجيا من مصادر عديدة ، كما أن التدخل الغربى فى الخليج ساعدها كثيرا خاصة وأن تصرفات ايران جعلتها معزولة عن العالم تقريبا الى جانب تعرضها لضغوط متزايدة من المعسكر الغربى .

اخطاء سياسية واستراتيجية ايرانية :

خلال عام ١٩٨٧ عانت ايران الكثير ، فلقد كررت هجماتها التى ارهقت قوتها البشرية وافقدتها التأييد الشعبى فى الحرب ولم تتمكن من استبدال ما يمكن يسمى الحمى

الثورية الايديولوجية بالاحترام العسكرى والاسلحة الحديثة . كما أن ايران صممت فى كل عملياتها على اتباع خطة فاشلة وهى الاعتماد على الموجات البشرية فى الهجوم . لقد فقدت القيادة الايرانية التأييد الشعبى نتيجة الخسائر البشرية الضخمة ونتيجة الوعود الكثيرة بالنصر الذى لم تتمكن من تحقيقه . وكان هذا خطأ سياسى جسيم .

كما ارتكبت ايران اخطاءاً استراتيجية كثيرة ، فلقد استمرت فى تورطها فى مواجهة عسكرية بحرية مستمرة مع الولايات المتحدة الامريكية والدول الغربية الأخرى ، واستمرت فى رفضها الاتفاق على ايقاف شامل للنيران واصرت على الايقاف الجزئى له فى البحر فقط وكان هذا أمر مستحيل التحقيق . وادى هذا الرفض الى ازدياد عزلة ايران دبلوماسياً واستراتيجياً . وكان لذلك اثره فى قدرة ايران الاستمرار فى الحرب ، ونسيت ايران حكمة هامة ثبت صحتها دائما وهى ان قليل من الحروب لا تنتهى بتدمير القوة العسكرية للعدد دائما تنتهى بمزيج من العوامل السياسية والعسكرية التى تدمر قدرة العدو على الاستمرار فى القتال

كما أن ايران لم تحسن استخدام مالديها من امكانيات ، ولم تحاول تطويرها طبقا لمسار الحرب ، ولم تؤمن قيادتها العسكرية بنظرية عملية ومعركة الاسلحة المشتركة ، ولم تؤمن بأن التدريب الجيد يوفر الدم فكانت تدفع شبابها فى القتال بعد فترة تدريب لا تتعدى الأسبوعين ظنا منها أن الحمى الثورية بديل للخبرة القتالية .

سير الحرب عام ١٩٨٨ :

فى ١٥ يناير ١٩٨٨ شنت ايران سلسلة من الهجمات اعطتها الاسم الرمزى بيت المقدس ــ ٢ وذلك فى منطقة الحدود عند موات فى القطاع الشمالى من الجبهة شرق السليمانية . وكانت ايران تقاتل فى تلك المنطقة منذ ربيع عام ١٩٨٧ . وأعلنت ايران أنها استولت على ٤٢ كيلو متر مربع بها ١١ تل . ٢٩ قمة جبلية وأنها قتلت وجرحت ٣٥٠٠ جندى عراقى واسرت ٧٥٠ . ولكن العراق انكرت ما اذاعته ايران وكانت المنطقة لها بعض الأهمية الاستراتيجية بالنسبة لايران لأنها ساعدتها على تحسين أوضاعها بالنسبة للعمليات المستقبلية فى القطاع الشمالى ، وكذا تدعيم قدراتها فى امداد الثوار الأكراد . أما بالنسبة للحرب الجوية فلقد استمرت العراق فى ضرب السفن وأهداف أخرى مثل السدود والكبارى ومصافى البترول طوال شهرى ديسمبر ويناير ومارس . ولم تفعل إيران سوى

القليل ازاء ذلك رغم أنها استخدمت الطاؤرات ف ــ ٤ اطلاق صواريخ موجهة مافريك ضد السفن فى شهر يناير . ويبدو أن القيادة الايرانية انتهت الى رأى أن هذه الصواريخ المافريك قديمة وانتهى عمرها الافتراضى ، وكان الواجب اطالة أعمارها قبل استخدامها وذلك بعد أن فشلت فى اصابة الأهداف .

وفى ٧ فبراير ١٩٨٨ هاجمت العراق جزيرة خرج ، واستمرت فى دفع طائراتها فى مهام قصف جوى لاختبار واستطلاع الدفاع الجوى الايرانى . وادى ذلك الى قيام ايران بدفع طائرات ف ــ ١٤ لعمل عدة كمائن للطائرات العراقية فى فبراير ، وكانت الطائرات اف ــ ١٤ مسلحة بالصواريخ جو / جو AIM-9 وتمكنت من اسقاط طائرة ميراج ف ــ ١ عراقية . وعلى الرغم من أن ايران فقدت معظم قوتها الجوية الا أنه لازال لديها ٢٠ طائرة اف ــ ٤ ، ٢٠ طائرة اف ــ ٥ ، ٧ ــ ٩ طائرة اف ــ ١٤ .

وحدث تغيير هام فى الحرب الجوية بدأ فى فبراير ١٩٨٨ فلقد بدأت العراق فى مهاجمة معمل التكرير الايرانى فى طهران يوم ٢٧ فبراير اصابه بتدمير كبير أجبر ايران على البدء فى توزيع الوقود بالبطاقات . وردت ايران بتجديد حرب المدن فاطلقت عدداً من صواريخ سكود ــ ب على بغداد ، وكان هذا القصف هو أكبر هجوم صاروخى شنته ايران منذ بدء الحرب . فلقد اطلقت ايران أكثر من ٢١ صاروخ على بغداد . ولكن التأثير العسكرى لهذه الضربة الصاروخية كان ضئيلا . وردت العراق فى ٢٩ فبراير باطلاق خمسة صواريخ بعيدة المدى طراز الحسين على بعض المدن الايرانية فى العمق ثم كررت هذه الضربة عدة مرات . وكانت هذه الصواريخ بعيدة المدى مفاجأة لكل من ايران واجهزة المخابرات الغربية . وحقيقة هذه الصواريخ أنها تطوير للصاروخ سكود ــ ب بأن تم تقليل وزن الرأس المدمر فزاد المدى . بحيث أصبحت طهران ومدن أخرى فى العمق فى مرمى الصواريخ الجديدة . ويبدو أن العراق أرادت أن تثبت للشعب الايرانى خطورة الحرب ، وأن تحفز الأمم المتحدة على فرض ايقاف لاطلاق النار . كما أن العراق هدفت من هذه الضربات الصاروخية دق اسفين فى العلاقات السوفيتية الايرانية . ويبدو أنها نجحت الى حد ما ، فلقد اذاعت ايران أن اجزاءاً من هذه الصواريخ تدل على أنها صناعة سوفيتية .

وكان تأثير الضربات الصاروخية العراقية الجديدة ضد المدن الايرانية أقوى بكثير من ضرباتها السابقة . فلقد ازداد قلق القيادة والشعب الايرانى خاصة مع احتمال استخدام

رؤوس كيماوية لهذه الصواريخ ، لدرجة أن بعض التقارير أفادت بأن أكثر من مليون فرد تركوا طهران حتى منتصف مارس ٨٨ ، وزاد العدد الى ثلاث ملايين فى أواخر ابريل .

معارك برية جديدة فى مارس :

بدأت إيران فى فتح قوات جديدة لتدعيم قواتها فى الشمال وبدأت فى ادارة بعض الأعمال الهجومية فى منطقة قرب الحدود حول مدن هلابشة وخورمال وخرمار ودوجالا وداربنذكهان العراقية غرب توسود فى ايران على بعد حوالى ٢٥٠ كم شمال بغداد . وبدأت بقصف هذه المدن بالمدفعية واستولت على ست قرى حدودية وحوالى ٢٥ كيلو متر مربع من محافظة السليمانية . وأعلنت العراق أنها صدت الهجوم الذى تم بلوائين وقتلت ألف جندى ايرانى . وفى نفس القوت الذى تم فيه هذا الهجوم اطلقت العراق سبع صواريخ أرض أرض على طهران وقصفت ٦ مدن ايرانية أخرى بالطيران . وكان هدف ايران هو الاستيلاء على أكبر مساحة ممكنة فى شمال العراق ليمكنها التقدم فى اتجاه السليمانية وتستولى على بحيرة (خزان) داربنكهان . وكان هذا الخزان (أو البحرية) هو أكبر الخزانات فى العراق ويمد شمال العراق وبغداد بالطاقة الكهربائية المولدة من هذا الخزان .

وفى الوقت الذى كانت فيه ايران تهاجم فى أراضى جبلية وتستخدم طرق مواصلات فقيرة فان هذا الهجوم يفتح طريقا داخل العراق فى منطقة تسمح باستغلال طبيعة الأرض والاكراد للتغلب على تفوق القوات العراقية فى قوة النيران ، وتمكن القوات الايرانية من تحقيق المفاجأة التكتيكية . ولذلك حققت هذه الهجمات نجاحات أولية . وكانت العراق تحتفظ بأحسن قوات لها فى الجنوب لتستعد للتحول للهجوم ولخوفها من قيام ايران بهجوم عام جديد . وكان للعراق فى المناطق الأمامية فرقتان فقط كان من الصعب عليهما القتال فى الأراضى الجبلية .

وارتكبت العراق بعض الأخطاء التكتيكية وهى انسحاب قواتها من عدد كبير من الهيئات الحاكمة لتدافع عن المدن على الحدود . وبتركها هذه الهيئات سمحت للقوات الايرانية بالالتفاف والتطويق الأمر الذى ساعد على سقوط عدد من المدن نتيجة الاستيلاء على الهيئات المشرفة عليها . كما أدى محاولة الدفاع عن المدن والحدود الى بعثرة القوات العراقية ولم تنجح فى تحقيق الكثافة اللازمة لتنظيم دفاع قوى . هذا الى جانب مشكلة الاكراد الغير موالين للعراق وتسللهم خلال الخطوط العراقية وقطع خطوط المواصلات

العراقية . والنتيجة النهائية أن الفرقتين العراقيتين فقدتا حوالى ٢٠٠٠ ــ ٣٠٠٠ رجل وعدد كبير من الدبابات والعربات المدرعة وقطع المدفعية والذخيرة . ومع ذلك لم تتمكن القوات الايرانية من التقدم لعمق كاف لمنع العراق من ارسال دعم لقواتها ، ولم تتمكن من تحقيق ميزة تكتيكية أو تعبوية أو استراتيجية من هذه الأعمال .

تطورات فى حرب المدن :

تابعت العراق توجيه ضرباتها الصاروخية ضد المدن الايرانية ، ووصل عدد الصواريخ التى اطلقت فى شهر مارس حوالى ١٠٦ صاروخ . واعلنت ايران يوم ٢٧ مارس ٨٨ أن العراق بدأت فى استخدام صواريخ جديدة ذات رؤوس مدمرة أثقل . ومن بين المدن التى تم قصفها مدينة قم وطهران ، كما شنت اربع غارات جوية مكثفة على اربع مدن ايرانية ووصل عدد المدن الايرانية التى تعرضت لضربات صاروخية وغارات جوية الى ٣٧ مدينة .

وفى ٧ ابريل ارتفع حجم ضربات العراق الصاروخية ضد ايران الى ١٤٠ صاروخ . وردت ايران باطلاق ٦٥ صاروخ سكود ــ ب ولكن معظمها فشل فى احداث أى آثار تدميرية واضطرت ايران لاستخدام العدد القليل الباقى لديها من الطائرات فى شن غارة جوية على بغداد فى ٧ ابريل ٨٨ ، وكان تأثير هذه الغارة تأثير ضعيف وفقدت ايران احدى طائراتها .

العراق تحرر الفـاو :

بدأت العراق فى شن سلسلة من الهجمات البرية التى حولت مسار الحرب ، فجأة تحولت العراق من الدفاع الى الهجوم المضاد الشامل . وكان التحول مفاجئا ولم تفطن ايران لهذا التحول .

فى أوائل عام ١٩٨٨ دعمت العراق عدة هجمات قام بها جيش التحرير الشعبى الايرانى على مواجهة حوالى ٢٠ كيلو متر بالقرب من شوش . وفى نفس الوقت كانت العراق تحشد قواتها فى الجنوب ولم تفطن ايران لهذه النوايا واعتبرت ما يحدث أنه تدعيم للدفاعات فى المنطقة . ونفذت العراق خطة خداع تعبوى لمدة شهر بأن زادت من تحركات القوات بطريقة لا توحى بأنها تستعد للهجوم .

وعندما بدأ الهجوم العراقى كان أكبر هجوم لها منذ عام ١٩٨٠ . وكانت العراق قد

دعمت قوات الفيلق السابع واعادت تمركز معظم قوات الحرس الجمهورى ، وشونت كميات كبيرة من الذخيرة وحشدت وحدات كبيرة من المدفعية . وانتظرت العراق حتى يوم ١٧ ابريل الذى وافق أول رمضان ، وتواكب ذلك مع غبار للقوات الايرانية . كما أن بعض التقارير افادت أن حجم القوات الايرانية فى الفاو كان قد تم تخفيضه من ٣٠٠٠٠ رجل الى حوالى ٨٠٠٠ رجل . ويقول كثير من المعلقين العسكريين أن هؤلاء الجنود كانوا جنودا من الدرجة الثانية قليلى الخبرة وتدريبهم منخفض سىء ، ومعظمهم من المتطوعين وأن قادة الوحدات كان ردهم بطيئا ، وقالوا أن تنظيم الدفاعات كان سيئاً وغير مجهز ويفتقر الى العمق ولا توجد به أى موانع . والمنطقة الوحيدة التى اعتبروا أن بها دفاعات جيدة كانت مدينة الفاو ، كما أن كثيراً من المواقع الدفاعية كانت غير كاملة ، ويبدو أن الجنود الارانيين لم يكن لديهم وسائل الوقاية ضد غازات الحرب .

وضعت القيادة العراقية خطة محكمة ومنسقة لتحرير الفاو واختاروا توقيتا يحقق لهم المفاجأة التكتيكية الكاملة . وعندما بدأ الهجوم كان معظم الجنود الايرانيين يحتفلون بحلول أول أيام شهر رمضان المعظم . وشنت العراق هجوما ليليا دون أى انذار وبدأت قوات الفيلق السابع تقدمه فى الفجر . وتم التقدم على طول شاطىء شط العرب ، كما تم تنفيذ هجومين برمائيين لتطويق المواقع الدفاعية الرئيسية ، وتوسعت القوات العراقية فى استخدام الغازات وكلفت قوات الحرس الجمهورى بالهجوم فى المنتصف (حوالى ٣٥ كم جنوب شرق المواقع بين الزبير وام قصر) وحققت القوات العراقية نسبة تفوق ٦:١ . وقام الفيلق الثالث بالهجوم جنوبا على الجانب الآخر للفاو ، وقامت القوات الخاصة بالتقدم عبر المستنقعات وبحيرة الملح العظمى غرب الفاو . واستخدمت القوات العراقية غازات الأعصاب لتحقيق اختراق ساحق وسريع للخطوط الدفاعية مستغلة جفاف التربة نسبية والاحوال الجوية المواتية ونجحت فى تحقيق اختراق سريع . وقامت قوات الاقتحام البرمائى بالتغلب على حقول الالغام والاسلاك الشائكة واقتحام الموانع المائية بنجاح ملحوظ رغم تكبدها للخسائر . ونجحت المدفعية العراقية فى تنفيذ تمهيد نيرانى قوى واجراء الانتقالات بكفاءة وتمكنت من تنفيذ المعاونة بالنيران فى صورة حشود وتجمعات نيران بامتياز . ورغم تعرض القوات العراقية لخسائر اثناء عبورها حقول الالغام والموانع الأخرى حول مدينة الفاو فان القوات الايرانية لم تتمكن من الصمود ، ولم تقابل القوات العراقية المقاومة التى اعتادت أن تواجهها فى المعارك السابقة . وبدأ المدافعون يرتدون بسرعة عبر شط العرب ولكن

القوات العراقية نجحت فى تدمير ٢ كوبرى عائم الأمر الذى اضطرت معه القوات الايرانية الى التقهقر دون سيطرة تاركة معداتها واسلحتها . واعلنت العراق انها نفذت ٣١٨ طلعة / طائرة / يوم وهليكوبتر مسلحة لمعاونة الهجوم فى اليوم الأول قتال .

وبعد ٣٥ ساعة من بدء الهجوم ارتفع العلم العراقى مرة أخرى على الفاو . واستولت العراق على كل معدات القتال الثقيلة والمدرعات والمدفعية وكل التكديسات التى كانت بشبه الجزيرة .

وأعلن كثير من المراقبين والمحللين العسكريين أن العراق تلقت نصائح خارجية مؤثرة فى التخطيط للعملية والاعداد لها . كما اتهمت ايران الكويت بأنها سمحت للقوات العراقية باستخدام جزيرة يوبيان ، وأن الهليكوبترات الهجومية الامريكية اشتركت فى قصف الفاو . وكانت النتيجة السياسية المباشرة لهزيمة القوات الايرانية فى الفاو تغيير رئيس أركان القوات المسلحة الايرانية ، وانخفاض المعنويات داخل ايران .

استرداد السلامكة والمنطقة حول البصرة :

بعد تحرير الفاو دارت بعض الأعمال القتالية الغير رئيسية طوال شهر ابريل وأوائل شهر مايو . وقامت ايران بمناورة بحرية رئيسية اطلقت عليه « ذو الفجر ــ ٣ » اشتركت فيها ٥٠ قطعة بحرية (تشمل مدمرات وفرقاطات وكاسحات ألغام وقانصة غواصات ... الخ) . واشتركت القوات الجوية الايرانية وبحرية الحرس الثورى وقوات الابرار البحرى فى هذه المناورة . وكانت هذه المناورة لاظهار القوة خاصة بعد الهزيمة التى لحقت بايران فى الفاو ، ويبدو أن المناورة لم تنجح فى تحقيق ذلك .

وفى نفس الوقت استمرت العراق فى استراتيجيتها وهى قصف الأهداف الاقتصادية الهامة ومهاجمة السفن الايرانية والمدن . وبدأت ايران فى حشد وفتح جزء كبير من قواتها على القوات العراقية فى مواجهة البصرة . وبدأت العراق فى تجفيف بحيرة السمك أوائل ١٩٨٨ ، وفى المقابل حاولت ايران اغراقها بالمياه ولكنها فشلت فى ذلك . وأدى ذلك الى جفاف منطقة بالقرب من المواقع الايرانية المواجهة للبصرة وبذلك اصبح فى امكانية القوات العراقية استخدام مدرعاتها بتأثير فى هذا الهجوم . ودعمت العراق قوات الفيلق الثالث حول البصرة بقوة ١٣٠٠٠٠ رجل اشتملت على وحدات من الحرس الجمهورى ووحدات أخرى جهزت ودربت لهذه المهمة . وكانت القوات العراقية قد انشأت نموذجا للمدرعات

الايرانية تم التدريب على أسلوب اقتحامها والتغلب عليها مستفيدة من خبرة القوات المصرية فى اقتحامها لقنال السويس وخط بارليف . وقامت العراق بعمليات خداعية لاقناع ايران بأن العراق ستهاجم مجنون ، كما قامت بتكديسات الذخيرة اللازمة للعملية .

وفى مايو دفعت القيادة العراقية بمدرعاتها وقوات الحرس الجمهورى ومشاة بحرية الى المواقع الابتدائية للهجوم بعد أن انشأت محاور خلال دفاعاتها لتتحرك عليها هذه القوات الى مواقع الهجوم . وكانت مواقع الهجوم منظمة تنظيما جيدة ومجهزة هندسيا لتتحمل أى تمهيد نيرانى مضاد من الجانب الايرانى فى حالة حدوثه وذلك بتزويدها بالملاجىء والخنادق وكلها محصنة وساتر ترابى عالى لاخفاء التحركات .

وفى التاسعة والنصف من صباح ٢٥ مايو قام الفيلق الثالث وقوات الحرس الجمهورى بالهجوم على مواجهة حوالى ٢٥ كم شرق وجنوب شرق البصرة تحت ستار غلالة نيران مدفعية تعتبر من أكثف الغلالات التى عرفها التاريخ العسكرى (على حد قول الخبراء العسكريين والمراقبين) ، كما استخدمت الغازات السامة بكثافة فى المرحلة الأولى للهجوم . وباستغلال جفاف التربة والتفوق العراقى فى المدرعات وكذا لانهم فهموا ووعوا ونفذوا فكرة معركة الاسلحة المشتركة كان الهجوم ناجحا . وكانت الضربة الرئيسية ضد حافة بحيرة السمك على بعد نحو عشرة كيلومترات جنوب البصرة ، وهجوما ثانويا شمالى البصرة . وحققت القوات العراقية تفوقا ١:٤ فى اتجاه المجود الرئيسى وحتى ٢ ـــ ١:٣ فى الاتجاهات الأخرى وتمكنت القوات العراقية من اقتحام نهر جاسم على الشاطىء الشرقى لشط العرب وطهروا ممرا عرضه ٢٥ كيلومترا الى الشرق والجنوب الشرقى .

وكانت المواقع الايرانية بالمنطقة مجهزة جيدا ومزودة بخليط من الخنادق والتحصينات بشكاير الرمل والاسلاك الشائكة وشراك للدبابات وحقول الغام . وقاومت القوات الايرانية فى بداية العملية جيدا وكبدت القوات العراقية المهاجمة خسائر مؤثرة أثناء اختراق الدفاعات الايرانية رغم محاولة القوات العراقية الالتفاف حول وتطويق المواقع المدافع عنها جيداً . كما أن القوات العراقية اضطرت لمواجهة هجوم مضاد ايرانى واحد الذى نجح فى أخذ عدد من الأسرى العراقيين . واستدعيت الهليكوبترات العراقية المسلحة على عجل لتقديم المعاونة القريبة للقوات التى ادت مهمتها بنجاح .

واستمرت العراق فى دفع مدرعاتها فى المعركة ، واستخدمت المدفعية بكفاءة وبدأ

الهجوم العراقى يسترد قوته الدافعة بعد نجاح القوات العراقية فى صد الهجوم الايرانى المضاد وتمكنت القوات العراقية فى النهاية من كسر المقاومة الايرانية ، وبدأت خمسة فرق ايرانية فى الارتداد بسرعة ، وتركت بعض الوحدات الايرانية مدافعها واسلحتها وفرت هاربة ، واستولت القوات العراقية على كميات كبيرة من الاسلحة والمعدات . وخلال خمس ساعات تمكنت القوات العراقية من طرد القوات الايرانية من المواقع الأمامية وارتدت بسرعة الى الاهواز وخورمشهر بصورة يشوبها الارتباك والخوف . وكانت الخسائر الايرانية عشرة أضعاف الخسائر العراقية تقريبا . واستولت العراق أيضا على عدد من بطاريات ومدفعية وعدد كبير من المركبات المدرعة وحوالى ٩٠ دبابة .

وبعد قتال استمر عشر ساعات رفرف العلم العراقى فوق مدينة سلامكه على بعد ٢٥ كيلومتر شرق البصرة . وفقدت ايران المكاسب من الأرض التى حققتها عام ١٩٨٧ بخسائر ٥٠٠٠٠ رجل فى يوم واحد . ولم يفعل راديو طهران سوى اعلان الانسحاب .

وأصبح واضحاً أن ايران تعرضت لهزيمة كبرى ثانية عام ٨٨ ، ولم يكن بمقدورها أن تفعل شيئا ازاء ذلك . لقد فقدت حوالى ١٠٪ من معدات القتال الرئيسية وفى الوقت الذى امكنها فيه استعواض الـ ١٥٠ قطعة مدفعية التى خسرتها فانها لم تتمكن من استعواض الدبابت والمدرعات . وطبقا لبعض المصادر انخفض التطوع داخل ايران بمقدار ٧٠٪ . واضطر الخمينى أن يخاطب قواته محاولا أن يفيد بأن الخسائر لا تعنى شيئاً لأنهم يحاربون حربا مقدسة وان ما فقدوه ، وكما أن الحرب ستستمر وقال : « ان مستقبل العراق التى بدأت الحرب سيتحدد فى ميدان القتال وليس على مائدة المفاوضات » .

وحققت العراق نصرا آخر فى الشمال فى تلك الفترة . ففى الشمال لم تشن هجوما رئيسيا ولكن شنت سلسلة من الهجمات فى كل انحاء المناطق الكردية التى استولت عليها ايران عام ٨٧ وأوائل ٨٨ . وحققت العراق سلسلة من الانتصارات الثانوية وردت القوات الايرانية للخلف .

الموقف فى يونيو ١٩٨٨ :

فى بداية يونيو ١٩٨٨ كان الأمر يوحى بأن الهزائم التى تعرضت لها ايران فى البر وفى البحر فى اتجاه قبول وقف اطلاق النار . وفى الوقت الذى افتقرت فيه القيادة الايرانية للتأييد الشعبى للحرب والذى بدأ فى أوائل ١٩٨٧ الا أن انتخابات المجلس زادت من قوة

المتطرفين المؤيدين للحرب ، وكان الخوميني اقرب ما يكون للموافقة على ايقاف اطلاق النار . ولقد أدى ذلك ببعض المسئولين العراقيين مثل وزير الدفاع الى التهديد بالهجوم والاستيلاء على المدن الايرانية القريبة من الحدود . كما هددت العراق بالاستمرار فى القصف الصاروخى والهجمات الجوية ضد المدن الايرانية والأهداف البترولية الى أن تجبر ايران على انهاء الحرب .

وبالنسبة لحرب الناقلات اكتشفت البحريات الغربية اكثر من ١٣ لغم جديد بالمنطقة وأصابت ايران ٣١ ناقلة منذ أول عام ١٩٨٨ فى مقابل ٢٠ ناقلة اصابتها العراق . وهذا فى مقابل ٩٢ هجوم ايرانى ، ٨٧ هجوم عراقى عام ١٩٨٧ . وكان لايزال للولايات المتحدة ثلاثون قطعة بحرية بالخليج من بينها حاملة الطائرات انتربرايز . وكان لبريطانية مدمرة واحدة وفرقاطتان واربع كاسحات الغام وسفينتان معاونة . وكان لبلجيكا كاسحتان الغام وسفينتان معاونتان . أما فرنسا فكان لديها مدمرة وفرقاطة وكاسحة الغام ، ولايطاليا ثلاث فرقاطات وثلاث كاسحات الغام وسفينتان معاونة . وكان لهولندا كاسحتان الغام .

وحصلت ايران على صواريخ سيلك وورم جديدة من الصين الشعبية ، وصواريخ ستوكس (وهى شبيهة بالسيلك وورم) من كوريا الشمالية . واقامت ايران قواعد أخرى للصواريخ سيلك وورم على طول الخليج من بينها عدد من المواقع المحصنة ومخازن وملاجىء خصينة كل مخزن يمكنه استيعاب اربعة صواريخ ، كما انشأت منشآت تأمين فنى وادارى فى كوهستاك وهى مدينة قريبة من مضيق هرمز . وكان واضحا أن ايران على وشك الانتهاء من اقامة موقع اطلاق حصين بالقرب من المضيق بحلول الخريف عام ١٩٨٨ .

وردا على ذلك ارسلت الولايات المتحدة الامريكية القطعة فينسنس المسلحة بالصواريخ كروز ومعدات حرب الكترونية واسلحة قادرة على هزيمة الصواريخ سيلك وورم ، ودفعتها الى منطقة شمال الخليج . كما فتحت نوعاً جديداً مطوراً من الصواريخ توماهوك البحرية والمزودة برؤوس لها قدرات اختراق عالية . وفتحت طائرات حرب الكترونية الى حاملات الطائرات .

وبالنسبة لجهود الأمم المتحدة لم يتضح ما اذا كان القتال الجديد سيدفع الطرفين تجاه ايقاف اطلاق النار أو أن يجعل من قرار مجلس الأمن ٥٩٨ غير فعال مثله فى ذلك مثل زميله القرار ٤٣٥ (ناسيبيا) والقرار ٢٤٢ (العربى ــ الاسرائيلى) . وبدأ السكرتير العام للأمم

المتحدة سلسلة جديدة من المبادرات فى أواخر مايو وطالب ايران والعراق ارسال ممثلين لاجراء محادثات مكثفة فى يونيو ٨٨ . ولم يستجب أى من الطرفين لطلب السكرتير العام . وطالبت العراق بأن تعلن القيادة الايرانية كل شروط القرار ٥٩٨ قبل أن تقبل حتى لوقف اطلاق النيران المؤقت . وبدا أن القيادة الايرانية تتعرض لضغوط سياسية واجتماعية داخلية ولكن القيادة الايرانية التزمت الصمت . وفضل الاتحاد السوفييتى والصين الشعبية البقاء بعيدا عن الجهود التى تحاول فرض عقوبات على الدولتين .

ومع ذلك ادت الخسائر الايرانية بالقرب من البصرة الى تغييرات فى القيادة العليا الايرانية . ففى ٢ يونيو اعلن الخومينى تعيين رافسانجانى القائد العام للقوات المسلحة الايرانية . ولم يكن واضحا ما هى الدوافع وراء ذلك خاصة وأن الرئيس خامينى كان يرأس مجلس الدفاع الأعلى . وقالت بعض التقارير أن هذا التغيير يعنى استعداد ايران لاعطاء بعض التنازلات وأنها اسقطت من مخططها فكرة انشاء جمهورية اسلامية شيعية فى العراق وانها تقبل رجلا مواليا للغرب يحل محل صدام حسين . كما قد تعنى هذه التغييرات التركيز على الثورة الداخلية فى ايران وأنهاء الحرب . وفوجىء المجتمع الدولى بتركيز رافسانجانى وتأييده للحرب واعلانه « لا تنازلات ــ لا استسلام ــ لا تراجع » .

والأمر الذى لا شك فيه أن القيادة الايرانية بدأت تنظر بعين الاعتبار والقلق للسياسة الداخلية والمعارضة النامية للحرب داخل الرأى العام الايرانى . فلقد تكررت المظاهرات ضد الحرب . وفى نفس اليوم الذى عين فيه رافسانجانى قائدا عاما تعرض للهجوم من بعض السياسيين الايرانيين بسبب موقفه من الحرب . ويبدو أن هذا الضغط أدى بالقيادة الايرانية الى اظهار أنها لا زالت قادرة على شن هجوم رئيسى ضد العراق . وفى ١٣ يونيو ٨٨ شنت القوات الايرانية هجوما على مواقع الجيش الثالث العراقى فى منطقة السلاموه شرق البصرة ، اذ قامت قوة من الحرس الثورى قوامها ٢٥٠٠٠ رجل على الأقل (مشكلة فى حوالى ٥٠ كتيبة) . ويبدو أن القوات الايرانية اخترقت (عبرت) حقول الألغام وموانع الاسلاك الشائكة ولكنها لم تتمكن من الاستيلاء أى جزء من المواقع العراقية . وفورا اعلنت ايران أنها قتلت وجرحت ١٩٠٠٠ جندى عراقى واسرت ٢١٠٠ عراقى . وكان القتال عنيفا . وقامت القوات الجوية العراقية بحوالى ٣٠٠ طلعة / طائرة / يوم . لمعاونة القوات البرية وعدد ٦٥٠ طلعة / هيل مسلحة / يوم خلال الأيام الثلاثة الأولى قتال . وفى قمة التقدم

الايرانى بدى كما لو كانت القوات الايرانية قد اخترقت لعمق عشرة كيلو مترات داخل الاراضى العراقية . وكان الجيش الثالث العراقى لديه ٤٠٠٠٠ جندى ، ١١ لواء فى المنطقة وقام باعادة فتح احتياطياته . واستمرت القوات العراقية فى شن هجوم مضاد قوى . وبعد حوالى ١٩ ساعة من القتال العنيف تمكن العراقيون من دفع القوات الايرانية للخلف ، وتكبدت القوات الايرانية خسائر جسيمة . ومع أن الهجوم فشل فى تحقيق أهدافه الا أنه أظهر أن ايران يمكنها الهجوم على العراق وهو ما أراد رافسانجانى اثباته من هذا الهجوم . وفى نفس الوقت دفعت ايران خسائر أكثر فى مقابل هذا الهدف .

واستمرت العراق تحرز نجاحا تلو آخر ببطء فى استعادة السيطرة على الأراضى التى فقدتها فى الشمال . ولذلك حاولت ايران تنظيم الاكراد المعادين للعراق فى جيش كردى منظم قوامه ٥٠٠٠٠ رجل وابدت استعدادها لامداد هذا الجيش بالاسلحة والمعدات . ومع ذلك استمرت العراق فى نجاحها التدريجى فى الاستيلاء على عدد من المرتفعات الحيوية بالمنطقة الشمالية . وفى يونيو — على سبيل المثال — تمكنت العراق من الاستيلاء على خمسة هيئات حاكمة فى منطقة حول السليمانية . وسمحت انتصارات العراق فى الجنوب بارسال تدعيمات لمواقعها فى الشمال وأن تدفع اعداد أكبر من الهليكوبترات المسلحة ووحدات المدفعية . وعليه فان ايران فقدت المبادأة فى المنطقة .

الهجوم العراقى على مهران ومجنون

كان الصراع الدبلوماسى فى يونيو معقدا ، ولم يتحقق أى نجاح لفرض حظر على التسليح بواسطة الأمم المتحدة رغم مجهودات سكرتير عام الأمم المتحدة المتواصلة . واستمر الاتحاد السوفيتى فى امداد العراق بالاسلحة والمعدات فى هدوء فى الوقت الذى نادى دائما بأن ترحل القوات الأمريكية عن منطقة الخليج . واظهرت ايران بعض النوايا لتحسين علاقاتها ببريطانيا وفرنسا ولكنها لم تظهر أى مرونة بالنسبة لموضوعات كثيرة مثل الرهائن . وفى يونيو أعلنت ايران أنها لن تسمح للحجاج بالذهاب الى السعودية لاداء فريضة الحج .

وفى الوقت الذى كانت تسعى فيه العراق للحصول على تأييد الأمم المتحدة ألغى وزير خارجيتها لقاءه مع وزير الخارجية الأمريكى عندما علم باللقاء الذى تم بين مسئولين امريكيين من وزارة الخارجية وطلبانى أحد زعماء الأكراد . وحدث شجار حاد بين ايران والعراق فى احد اجتماعات الأوبك حول خصص البترول .

وكانت العراق تركز على الحرب البرية وليس على الدبلوماسية . وفى منتصف يونيو . فتحت حجماً كبيراً من المدرعات وعناصر كثيرة من قواتها الكيماوية فى منطقة بالقرب من مهران . وفى ١٨ يونيو شنت هجوما جديدا (أطلقت عليه « النجوم الأربعون ») على المواقع الايرانية فى المنطقة واستولت على المدينة وعلى عدد من الهيئات بالقرب من مهران . واشترك فى الهجوم قوات من مجاهدى خلق (حركة ضد الحكم الخوميني) نجحت فى القضاء على فرقة ايرانية كاملة واستولت على معظم معداتها واسلحتها . وبعد ثلاثة أيام انسحبت القوات العراقية من المنطقة وتركوا فيها قوات مجاهدى خلق (أو جيش التحرير الشعبى) . وحتى تلك اللحظة لم يكن لايران الا قوات محدودة فى المنطقة فيما بين الجبهة وكيرمانشاه ، فاسرعت بدفع بعض الاحتياطيات التى أمكن تدبيرها واعلنت ايران أنها نجحت فى صد هجوم على المواقع الايرانية فى ثلاثة نقاط بمنطقة بالقرب من موات ومدينة على الحدود فى السليمانية على بعد حوالى ٣٢٠ كم من بغداد . وفى نفس اليوم هاجمت العراق مهران مرة أخرى وأعلنت استيلائها على ثلاثة عشرة قمة جبلية .

وشنت العراق أيضا سلسلة من الضربات الجوية الاستراتيجية على الأهداف البترولية الايرانية . وكان هذا أعنف هجوم جوى شنته العراق خلال هذه الحرب ، فلقد نجحت فى اشعال النيران فى عشرة منشآت بترولية بما فى ذلك وحدات انتاج بترول خام فى الأهواز ، ومحطتين ضخ فى بيبى حكيمه والمنشآت البترولية فى كاج ساران . وكانت هذه أول غارات رئيسية مراقبة منذ هدنة حرب المدن التى عقدت فى ١٩ ابريل . وشنت العراق ضربة جوية مركزة ضد محطة توليد قوى عند نيكا شمال شرق طهران . واستمرت العراق فى شن هذه الغارات خلال أواخر يونيو وأوائل يوليو وأصابت محطة غازات طبيعية ومنصة بترول .

وكان مفتاح النشاط الغراقى خلال يونيو هو الاعداد لهجوم على باقى المواقع الايرانية فى مجنون وخلف جزر مجنون . ومرة أخرى قامت العراق ببناء القوات المدعمة بالمدفعية ووسائل الدعم الأخرى لشن عدة هجمات رئيسية . كما قامت ببناء نماذج للمواقع لتدريب القوات على اقتحامها . واستعدت لهجوم بالمواجهة على باقى المواقع الايرانية فى الجزيرة الشمالية وهجوم مدرع مركز حول مناطق المستنقعات لمهاجمة مؤخرة القوات الايرانية .

وبدأ الهجوم العراقى فى ٢٥ يونيو بقوات أساسها المشاة فى قوارب صغيرة وقوات الحرس الجمهورية على مركبات برمائية على المواقع فى جزر مجنون تعاونها عدة مئات من

قطع المدفعية والدبابات التى اتخذت لها مواقع اختيرت بعناية للضرب المباشر . وبمجرد نجاح الاقتحام أنشأت القوات العراقية عدداً من الكبارى والبلدوزرات لانشاء محور للمنطقة التى استولت عليها . ولم تتمكن القوات الايرانية بالجزر من مواجهة قوة النيران الضخمة والتفوق الايرانى فى قوة النيران فانهارت مقاومتها بعد ثمانى ساعات من بداية الهجوم . ثم قامت قوات الحرس الجمهورى والجيش الثالث مزودة ببضعة آلاف من الاسلحة المدرعة بالهجوم واخترقت الحدود . ولقد ذكرت بعض التقارير أن عدد الدبابات العراقية التى اشتركت فى الهجوم ۲۰۰۰ دبابة بالاضافة الى ٦٠٠ قطعة مدفعية فى مقابل ٦٠ دبابة ايرانية وعدد قليل من قطع المدفعية ، أى كانت المقارنة ٢٠ الى ١ لصالح القوات العراقية . كما قامت القوات العراقية بابرار لواء مظلى فى مؤخرة القوات الايرانية . وبسرعة أمكن للقوات العراقية من تطويق المواقع العراقية (قوات الحرس الجمهورى من الشمال وقوات الجيش الثالث من الجنوب) فى كل من مجنون والمستنقعات ووصلت الى عمق ٣٠ كم داخل الأراضى الايرانية دون مقاومة تذكر .

لقد تكبدت ايران آلاف الخسائر واستسلم كثير من الايرانيين للقوات العراقية . واعلنت ايران أن ٦٠ جندى ماتوا من تأثير الغازات السامة ، ٦٠٠٠ جندى تعرضوا لجروح وحروق بسببها (غازات الاعصاب وغاز السيانيد) . ويؤكد الخبراء أن العراق استخدمت غازات الحرب فى هذه العملية ، وأن العراق لم تنكر ذلك ولم تعلق على النبأ مما يوصى بصمته .

وفى أول يوليو اعترف طارق عزيز بذلك ولكنه قال أن ايران هى التى بدأت باستخدامها . ومرة أخرى استولت القوات العراقية على معدات واسلحة كثيرة وكل الامدادات والتكديسات الايرانية التى كانت فى المواقع . كما يبدو أن العراق كبدت ايران خسائر رئيسية فى القوات الجوية الايرانية التى اشتركت فى القتال (اشتركت ٣٥ طائرة ايرانية فى محاولة يائسة لايقاف الهجوم العراقى) . ويبدو أن الطائرات والهليكوبترات المسلحة العراقية نفذت ٤٠٠ طلعة ولذلك كان التفوق الجوى العراقى ساحقا . وفى نفس اليوم استولت القوات العراقية على مجنون واعلنت أنها استولت على ٤٠ هيئة حاكمة فى الشمال منذ بدأت هجماتها فى مارس . واحتفل صدام حسين بهذه الانتصارات وقال ان معارك اليوم هى آخر الحلقات القوية التى تربط السلسلة ، وان النصر النهائى فى الخليج

قريب ، وانها ارادة الله . وفى المقابل طالب راديو ايران القوات بأن تذهب الى الجبهة ، وانه يجب أن تعطى ايران اسبقية لإرسال المقاتلين المدربين الى الجبهة وان يعبىء الشعب كل امكاناته للحرب . واعلنت ايران أنها حققت نصرا فى الشمال وقالت أنها فى ٢٨ يونيو هزمت الهجمات العراقية فى مرتفعات الشيخ شيمبران وفى منطقة بالقرب من دار بندبكان وأن العراق فقدت ٧٠ فى المائة من ثلاث لواءات وكتيبتين وآلاف الخسائر . ويبدو أن العراق استخدم الغازات السامة فى كلا الهجومين وانها استولت على منطقة خزان ماوات (أوات) وعلى أربع مواقع على طول هضبة الشهابى وان الخسائر العراقية كانت محدودة جداً . ولم يعد لايران أى قدرات هجومية فى الشمال .

ولقد أصبح واضحاً ان هذه الانتصارات العراقية زادت من تساؤلات القيادة الايرانية عن كفاءة القوات المسلحة الايرانية وقدراتها وامكانية الاعتماد عليها ، وزاد حدة الانقسام بين القوات الثورية والجيش النظامى اذ أخذ كل طرف يلقى باللوم على الطرف الآخر حتى أن آية الله منتظرى قال فى خطاب له : « ان مسألة قوات الجيش وقوات الحرس الثورى هى مشكلة اليوم ... ، ويجب حل هذه المشكلة بطريقة عقلانية وذلك بانشاء تنظيم عسكرى واحد قوى تحت أى اسم لمنع الازدواج . يجب أن نحل هذه المشكلة مرة والى الأبد » . وهو اقتراح ممتاز نظريا ولكنه مستحيل التنفيذ خلال حرب وقتال وهزائم . وكل ما يمكن لايران عمله هو انشاء قيادة جديدة تقود الجيشين (القوتين) وكل أفرع القوات

هجوم عراق جديد فى المنطقة الوسطى

تابعت العراق ضغطها على ايران . وبانتهاء القتال عند مجنون نجحت العراق فى طرد القوات الايرانية من معظم الأراضى التى استولت عليها ايران منذ عام ١٩٨٢ ، واصبح واضحا أن القوات الايرانية لم تعد راغبة فى المقاومة . لقد حققت القوات العراقية هزائم رئيسية للقوات الايرانية واستولت على كميات كبيرة من الأسلحة والمعدات كما أن استخدام الغازات السامة سبب رعبا وفزعا بين القوات الايرانية .

وفى ١٢ يوليو قصفت المدفعية العراقية المواقع الايرانية حول زبيدات على الحدود الايرانية ومجموعة حقول البترول فى العمارة . وكانت بها آخر مواقع ايرانية فى الأراضى العراقية . وبعد القصف النيرانى شنت قوة عراقية قوامها خمسة فرق (من الحرس الجمهورى ومن الفيلق الرابع) تقدمت نحو المواقع الايرانية ، وانهارت المواقع الايرانية

بسرعة وخلال ساعات سيطرت القوات العراقية على كل المواقع واسرت حوالى ٢٥٠٠ ايرانى .

ويبدو أن الجيش النظامى الايرانى كان يعتمد فى كل ما يتصل بالشئون الادارية والامداد على قوات الحرس الثورى ولذلك لم يتلق التدعيم والمعاونة المتوقعة . وتابعت القوات العراقية تقدمها لمسافة ٤٠ كم داخل الأراضى الايرانية واستولت على ديهلوران وحوالى ١٥٠٠ ميل مربع من الأراضى الايرانية . وبعد بضعة أيام انسحبت من الأراضى الايرانية . وفى نفس اليوم تبادلت اثنين هليكوبتر أمريكيان النيران مع لنشين مدفعية ايرانيين فى الخليج على بعد ٢٥ ميل من جزيرة فارسى واجبرت اللنشين على الفرار ومنعتهما من مهاجمة ناقلة بترول (يونيفرسال مونارك) . ورغم الخسائر التى تعرضت لها بحرية الحرس الايرانى الا أنها استمرت فى الاغارة ومهاجمة ناقلة أخرى يوم ١٥ يوليو . وردا على ذلك قامت العراق بقصف محطتين ضخ بترول بالقرب من ديزفول .

وبعد بضعة أيام سارت مظاهرة داخل ايران تندد بالضعف الايرانى . وفى ١٣ يوليو هددت العراق بغزو جنوب ايران اذا لم تنسحب القوات الايرانية من حلابشة وباقى المواقع التى تحتلها فى كردستان . وكان واضع أن ايران اصبحت غير قادرة على تنظيم دفاعات فعالة بعد الهزائم التى تعرضت لها ، اذ لم يبق لديها سوى ٢٠٠ دبابة فى مواجهة آلاف الدبابات العراقية وآلاف العربات المدرعة . كما أن العراق استولت على عدد كبير من الأسلحة والمعدات الايرانية عرضتها على الشعب الايرانى فى معرض أقيم خصيصا لذلك فى ضواحى بغداد اشتمل على أكثر من ٥٧٠ دبابة ايرانية وآلاف من قطع الاسلحة الايرانية المختلفة وأكثر من ١٣٠ عربة مدرعة ب‌م‌ب ودبابات خفيفة سكوربون وحوالى ٣٠٠ عربة مدرعة من أنواع أخرى ، ٣٢٠ قطعة مدفعية مجرورة ، ٤٥ مدفع ذاتى الحركة ، وأكثر من ٣٠٠ مدفع مضاد للطائرات وآلاف من الرشاشات . وكانت كل هذه الأسلحة والمعادة بحالة جيدة وسليمة وصالحة للاستخدام بل كثير منها كان جديداً . وهذا يعنى امكانية استخدام هذه الأسلحة فى معظمها وباصلاحات بسيطة يمكن استخدامها جميعها . واعلنت العراق انها استولت منذ مارس على ١٢٩٨ دبابة ، ١٥٥ عربة مدرعة ب‌م‌ب ، ٥١٢ مدفع ميدان ، ٦١٩٦ هاون ، ٥٥٥٠ مدفع مضاد للدبابات عديم الارتداد ، ٨٠٥٠ طلقة صاروخية ، ٦٠٦٩٤ بندقية . ٣٢٢ مسدس ، ٦١٥٦ جهاز لاسلكى ، ٥٠١ معدة ثقيلة للمهندسين ، ٤٥٤ لورى ، ١٦٠٠ عربة خفيفة وجرار ، ١٦٨٦٣ جهاز واقى ضد

الغازات السامة ، ١٦٨٦٣ خوذة . وردت ايران خلال ساعات أنها على استعداد للانسحاب وأعلن رافسانجانى يوم ١٧ يوليو أن كل القوات الايرانية يمكن ان تنسحب من الأراضى العراقية شمال حاج عمران والتى استولت عليها ايران منذ عام ١٩٨٦ . وفى ١٨ يوليو أعلن صدام حسين أنه على استعداد لعقد سلام مع ايران ، ولكنه حذر من أن العراق لن تعطى ايران الفرصة لاعادة بناء قواتها وانه فى هذه الحالة سيستمر فى ضرب الأهداف الاقتصادية الارانية . وكان على ايران أن تنصت هذه المرة ، فالانتصارات العراقية والخسائر الايرانية ، والخوف من الأسلحة الكيماوية ، ومن تجدد حرب المدن ، ومن تهديد الاساطيل الغربية ، والعزلة الدبلوماسية ــ كل ذلك دفع ايران بقبول تطبيق قرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨ .

وطبقا لتقرير صحفى فان قبول ايران لوقف اطلاق النيران جاء بعد اجتماع استمر ثمانى ساعات عقده الخومينى مع حوالى اربعين من قمم المسئولين الايرانيين . ويبدو أن الخومينى وافق على ذلك بعد أن قيل له أن الحرب يمكن كسبها بعد خمس سنوات أخرى من القتال ، وأن ايران عليها أن تدبر حربا دفاعية حتى عام ١٩٩٣ ، وانها آنذاك يمكنها التحول للهجوم بعد أن ترفع حجم قوات الحرس الثورى بمقدار ٧٠٠٪ والجيش النظامى بنسبة ٢٥٠٪ .

وعلى أى حال فان النظام الإيرانى لم يتعرض للهزيمة فى ميدان المعركة فقط بل يكاد أن يكون قد افلس اقتصاديا أيضا . فلقد استنفذت ايران معظم احتياطياتها من النقد الأجنبى وصناعة ايران على حافة الهاوية تقريبا ، والعملة الايرانية تكاد لا تساوى شيئا ، وأسواق ايران على وشك الانهيار . وأصبح واضحا لمعظم القادة الايرانيين أن ايران معرضة لأعمال عسكرية خطيرة عراقية جديدة وان الثورة الايرانية أصبحت فى خطر داخليا وهو الأمر الأكثر خطورة .

ورفضت العراق العرض الايرانى الأول لوقف اطلاق النار وأعلنت أن قبول ايران لوقف اطلاق النيران غامض وغير واضح بعد أن أعلن الخومينى أن قد يقبل وقف اطلاق النيران وأن العراق لن تتحمل تعبئة ايرانية . وفى ١٨ يوليو ارادت العراق أن تجسد موقفها فشنت مجموعة من الضربات الجوية الاستراتيجية ضد المفاعل النووى الايرانى فى بوشاهر وضد المنشآت الصناعية فى بندرخومينى والأهواز . وردت ايران بغارة صغيرة على عدة أهداف بالقرب من الفاو وكركوك . وفى ٢٠ يوليو أعلن الخومينى قبوله لوقف اطلاق النيران .

وفى الأشهر التى تلت تمكنت هيئة الأمم من تنفيذ معظم شروط وقف اطلاق النار عدا بعض الحوادث الفردية الصغيرة التى حدثت قبل وصول قوة الأمم المتحدة لمواقف بين الجانبين . وبدأ أول اجتماع بين الايرانيين والعراقيين يوم ٢٤ أغسطس ١٩٨٨

دروس من الحـــرب

١ ـــ ميكنة القيادة والسيطرة وادارة المعركة

كانت المشكلة الواضحة فى الحرب العراقية الايرانية بالنسبة لفاعلية ونجاحات القوات هى القيادة والسيطرة . فبالنسبة لايران سيطر رجال الدين على الدولة وعلى القوات المسلحة وعليه فان القرارات العسكرية كانت تبنى على أساس فكر هؤلاء الرجال واعتقادهم بتفوق القوات الثورية على الجيوش المحترفة ولذلك فرضوا تكتيكات الموجات البشرية وفضلوها على التنظيم العسكرى والتكنولوجيا . وأدى ذلك الى خسائر بشرية جسيمة وضعف وعدم كفاءة فى الاداء العسكرى الأمر الذى ادى فى النهاية الى تعرض القوات الايرانية لهزائم مكلفة وقبول ايران فى النهاية وقف اطلاق النيران على مضض .

وبالنسبة للعراق استغرق الأمر حقبة كاملة (ما يقرب من عشر سنوات) أن تعى القيادة أن أى جيش وأى قوات مسلحة لابد أن يعاد تنظيمها على أساس من الاحتراف وأن تنظيم القوات المسلحة وتنظيم القيادات وأساليب التدريب يجب أن توضح بحيث يتم خلق قوات قادرة على ادارة حرب حديثة تعتمد على المناورة وخفة الحركة وتكتيكات معركة الأسلحة المشتركة . وتعلمت القيادة العراقية ذلك فى النهاية ولكن بعد أن دفعت القوات المسلحة العراقية ثمناً باهظاً ، وتمكنت فى أواخر عام ١٩٨٧ وعام ١٩٨٨ من أن تطور قواتها المسلحة فى هذا الاتجاه فحققت نجاحات ملموسة فى ادارة العمليات والمعارك . وإلى ما قبل وقف اطلاق النار كان لا يزال الجيش الشعبى العراقى دون المستوى ، ولم يترك للقادة حرية المبادرة واتخاذ القرارات فى أرض المعركة طبقا للموقف وانما كانت القرارات كلها فوقية الأمر الذى أدى الى مآسى كثيرة ، كما أن بناء وتنظيم هذا الجيش كان دون المستوى ولم يظهر تأثيره فى القتال ، وكثيرا ما اضطرت القيادة العراقية الى استخدام قوات الحرس الجمهورى الأكثر تنظيما وانضباطا وتدريبا لنجدته فى مواقف حرجة كثيرة .

والدرس الذى يمكن استنباطه هنا أن فاعلية القوات المسلحة فى دول العالم الثالث ، مثلها فى ذلك مثل باقى دول العالم ، يجب الحكم عليها على أساس التقييم الدقيق لأسلوب وطبيعة القيادة العامة . وبافتراض أن قوة الجيوش تتوقف على حجمها ومعداتها واسلحتها ومستوى

التدريب ومستوى الاحتراف الذى يتمتع بها الأفراد فان ذلك لا يمكن بسهولة تطبيقه على الدول التى يتدخل فيها المدنيون السياسيون تدخلا مباشراً ومستمراً فى كل الأنشطة العسكرية على جميع المستويات . وهذه حقيقة واقعة فى الدول التى يسيطر عليها حكم الفرد أو مجموعة من الأفراد ، كما أنها حقيقة واقعة فى كثير من الدول لدى قياداتها السياسية وقواتها المسلحة خبرة فى ادارة حروب ذات مستوى كبير . فتحت هذه الظروف والأحوال قد يؤدى تدخل الصفوة من القيادات الى نسف فاعلية القوات المسلحة وتقليل كفاءة سلسلة القيادة بصورة مؤثرة . فالمبدأ القائل أنه اذا بدأت الحرب فانه تترك للجنرالات لادارتها وليس للسياسيين مبدأ سليم .

٢ ــ تقيم التكنولوجيات ونظم الانذار والاستطلاع

كانت المشكلة الرئيسية لكل من العراق وايران هى تطوير نظام مخابرات واستطلاع مؤثر وهادف ، فلقد كانت الأجهزة القائمة بذلك اجهزة سياسية أكثر منها أجهزة فنية ، ويجدر بنا أن نؤكد ان كلا الطرفين بدأ الحرب دون مصادر وعناصر فنية يمكنها تحقيق ذلك ، ولكن أى منهما لم يفعل شيئا سوى اجراء بعض التحسينات قبل ايقاف اطلاق النار . فلم تحسن أى من العراق وايران استخدام نظام الاستطلاع اللاسلكى (Signal Intellegence) SIGINT ، وكان استخدام الاستطلاع الالكترونى (Electronic Intellegence - ELINT) محدودا الى أن قامت العراق بتطوير استخدامها لهذا النظام خلال السنة الأخيرة من الحرب .

وكان كلا الطرفان يمتلكان أجهزة اتصالات مزودة بوسائل تشفير تجارية ، Decription gear لم يتضح إلى أى مدى استغلت وسائل المواصلات المؤمنة وإلى أى حد أمكن لكل منهما تأمين سريتها . كما اعتمدا على خطوط المواصلات السلكية الخطية والميكروويف والمؤتمرات وهى وسائل يصعب التصنت عليها .

ويبدو أن العراق حصلت على بعض المعلومات من صور بها امدتها بها دولة ما ولكن لم يكن لديها امكانياتها الخاصة للتصوير الجوى واعتمدت كلية على مقاتلاتها فى الاستطلاع بالنظر والمزودة بوسائل تصوير نهارى تعمل فقط فى الأحوال الجوية المناسبة ، وهى قدرات ضعيفة ومحدودة . وكان نظام تلقى الافلام وتحميضها ... الخ بطيئا وسيئا . ومع ذلك يبدو أن العراق بدأت فى تطوير قدرات الاستطلاع بعد عام ١٩٨٦ .

وقام الطرفان باستخدام طائرات استطلاع بدون طيار (RPVs) عام ١٩٨٧ ويبدو أنها

استخدمت بنجاح فى عمليات عام ٨٧ ، ٨٨ . ويبدو أن العراق بدأت تدرك أهمية هذه الوسيلة فى الحصول على معلومات استطلاع فى الوقت الحقيقى Teal time (أى فى نفس لحظة الحصول عليها) فوق أرض المعركة لم توفرها لها طائرات الاستطلاع المقاتلة لأنها كانت أكثر تعرضا وليست مزودة بوسائل الارسال الفورى للمعلومات Data Link وكذا لمحدودية مدة البقاء فى الجو . ويبدو رغم كل ذلك أن الطرفين لم يتوسعا فى استخدام هذه الوسيلة خاصة وأن الطائرات بدون طيار العراقية قابلتها فى بداية الأمر مشاكل كثيرة فنية . وبعد ايقاف اطلاق النار بدى الطرفين كان لديهما طائرات استطلاع بدون طيار جيدة وفعالة .

ورغم وجود العديد من رادارات القيادة والسيطرة ورادارات الانذار ، والرادارات البحرية ، ورادار الاستطلاع البرى ، واجهزة الرؤية الليلية فإن الحرب العراقية الايرانية كانت حرب الرؤية بالنظر اذا جازت هذه التسمية . لقد اديرت الحرب بين طرفين تمكنا من الحصول على كميات ضخمة من الاسلحة والمعدات المتطورة ولكن بدون وسائل جيدة لتحديد الأهداف أو تقييم التهديدات ، وتقدير التدمير الذى يحدث بعد كل هجوم أو ضربة وبدون نظم انذار واستطلاع لاستخدامها . وكما سبق وذكرنا كانت أجهزة المخابرات للطرفين ايديولوجية سياسية أكثر منها عسكرية .

ويجب أن نضع فى الاعتبار طبيعة المسرح التى كانت خليطا من المدن والمستنقعات والصحارى القاسية والأراضى الجبلية ، والاعتماد على التحركات الليلية وطبيعة حرب الخنادق والمواقع المجهزة وما تفرضه من تحديات لوسائل الاستطلاع وجمع المعلومات ، اذ أنه من الصعب حتى على احدث نظم الاستطلاع وجمع المعلومات فى الحصول على معلومات دقيقة عن تحركات المشاة وأن تقدر نوايا وتوقيتات استعداد القوات للهجوم .

ومع ذلك فمن المؤكد أن نظما مثل البحث والاستطلاع (search and reconnaicense) SAR رادارات النظر الجانبية الجوية SLAR (Ride-looking Airborne radar) أجهزة الأشعة التحت حمراء الليلية المحمولة جواً FLIR (Forward-looking infrared) والأجهزة البصرية الالكترونية ، وأجهزة الرؤية الليلية يمكنها توفير الانذار ضد كثير من الهجمات التى نفذت خلال الحرب . وكل هذه الانظمة تعتبر من أكثر النظم تطورا لمعالجة المعلومات لم تتوفر لأى من العراق أو ايران ، ولكنها نظم كانت ستمكن قوات الدول الغربية من تحسين أدائها اذا ما تعرضت لنفس الظروف والأحوال . وتاريخ هذه الحرب يؤكد أن الطرفان كان فى

مقدورهما الاستفادة من طائرات الاستطلاع بدون طيار (RPVs) ومن معدات الاستطلاع الاكترونية المركبة على الطائرات ، وكذا وسائل الاستطلاع الأرضية وهو ما لم يحدث بكفاءة .

٣ – نظم الدفاع الجوى

لم تتمكن أى من العراق أو ايران من استخدام نظم الانذار والاستطلاع الجوى التى كانت موجودة لديهم قبل الحرب بفاعلية . فبالنسبة لايران كانت شبكة الرادار قد بنيت فى عهد الشاه وتكونت من خليط من الرادارات FPS-88 ورادارات ماركونى S-330 ونظام دفاعي جوى نصف آلى اطلق عليه Seek Sentry . ولم يستكمل هذا النظام بسبب الثورة . وتم فتح الرادارات بعيدة المدى FPS-113, FPS-100 على قمم الجبال أما الرادارات تى بى اس–٤٣ ، ADS-4 فكانت موزعة فى كل انحاء ايران . وكانت بعض هذه الاجهزة تعمل ولكنها لم تعمل كنظام موحد عملياتى أو لعبت دورا هاما فى توجيه طائرات الاعتراض . ولم تستطع ايران تصحيح هذا الوضع خلال الحرب لأنها افتقرت الى قطع الغيار وللتأمين الفني. وكانت بطاريات الهوك المعدلة المضادة للطائرات والتى تم ربطها بشبكة رادارات الانذار الايرانية لم يحدث أن وصلتها أى معلومات أو انذار مبكر ولا كانت تخضع لمركز سيطرة من أى نوع . ورغم ان هذه البطاريات حققت بعض الاصابات لعدد قليل من الطائرات العراقية لا يوجد سجل أو دليل على أن صاروخا هوك أصاب طائرة مراقبة ما . وعليه يمكن القول بأن فاعلية الصواريخ هوك الايرانية ورادارات الدفاع الجوى تعود الى التعقيد الزائد للتصميم الأصلى لنظام سى سينترى Peace Pyby C³ / See Sentry . كما أن تقرير اللجنة الفرعية لمجلس الشيوخ الأمريكى تشكك فى البداية على قدرة السلاح الجوى الامبراطورى الايرانى فى استخدام الصواريخ هوك بنجاح وذلك فى منتصف الثمانينات (قبل سقوط الشاه) . ومن المعروف أن نظام الصواريخ هوك نظام يحتاج إلى صيانة منتظمة ومشكلة ايران وفشلها فى استخدام النظام مع رادارات المتيسرة لدى ايران أمر غير واضح . ولم يكن من المفروض أن يؤدى نقل التكنولوجيا الى خلق هذه المشكلة الخطيرة ، رغم أن قيام الثورة الخومينية وطرد الخبراء الفنيين الأجانب (أو انسحابهم) قد يكون أحد الأسباب فى استفادة ايران من هذه التكنولوجيا الجديدة .

وبالنسبة للعراق كان نظام الانذار وشبكة السامات أيضا غير فعالة طوال الحرب ، على

الرغم من وجود ١٠٠٠٠ رجل فى قوات الدفاع الجوى العراق ، وعشرة مواقع رادارات انذار على الأقل ومئات من الرادارات والصواريخ سام ــ ٢ ، سام ــ ٦ عندما بدأت الحرب . ومع ذلك لم يكن نظام الدفاع الجوى العراقى منسقا ومدمجا بأسلوب ناجح ، كما أن التدريب كان ضعيفا . كما كان أسلوب ربط نظام القيادة والسيطرة الآلى العراقى C^3 I مع الطائرات والصواريخ سيئا ، ولذلك ظهرت ثغرات رئيسية خطيرة فى النظام وخاصة على الأرتفاعات المنخفضة . ففى عام ١٩٨٠ كانت الطائرات الإيرانية تخترق الاجواء العراقية باستمرار ولم يحدث أن تعرضت لأى خطورة من نظام الدفاع الجوى العراقى . ونجحت القوات الجوية الايرانية رغم قلة عدد الطائرات بها الى إحداث خسائر فى القواعد الجوية العراقية والبنية الاساسية العراقية مما اضطر العراق الى سحب وحدات الصواريخ سام ــ٦ بأعداد كبيرة لتوفير وقاية إضافية للمنشأت العراقية ومدينة البصرة . وسرعان ما أنخفض حجم الهجمات الجوية الايرانية بسبب النقص فى قطع الغيار والتأمين الفنى . ومع ذلك لم تتمكن العراق من إنشاء نظام إنذار وقيادة وسيطرة ٢٤ ساعة ولو حتى ليغطى الحدود مع إيران . ولهذا تطلب الامر أن تشترى العراق وتفتح اعدادا كبيرة من رادارات الاستطلاع قصيرة المدى فرنسية وصواريخ مضادة للطائرات خفيفة مثل سام ــ ٨ وسام ــ ٩ ورولاند لتقوم بتوفير نظام دفاعى عن نقطة (موقع) لسد الثغرات .

ويبدو أن إيران بدأت الحرب ولديها نظام تعارف IFF جيد وفعال ، ولكن العراق أما أنها افتقرت الى نظام تعارف مؤثر وفعال أو أعتمد على تكتيكات الممرات Corridor tactics والذى يقضى بأن تطير طائراتها الصديقة فى ممر ضيق محدد وتسقط أى طائرة تكتشف خارج هذا الممر . كما أعتمد العراق على نظام المظلات فى الدفاع الجوى لتلافى مشكلة التعارف . وأكتشفت العراق أنه نظام معيب وأنه من الضرورى وجود نظام تعارف عراقى . كما أن رادارات الأنذار العراقية لم تتمكن من توفير الوقت الكافى للاشتباك أو لدفع طائرات اعتراض للأهداف المعادية ، كما أنها فشلت تماما طوال الحرب فى أكتشاف الطائرات الإيرانية على الأرتفاعات المنخفضة . وزادت حدة عدم وجود نظام تعارف عندما التحمت القوات العراقية والإيرانية فى معارك وأصبحت القوات قريبة من بعضها البعض خاصة وأن العراق لم يكن لديها تكنولوجيا تعوضها عن صغر العمق الإستراتيجى لها . وكان الموجهين البريين للطائرات غير مدربين ولم ينجحوا فى أداء مهامهم بكفاءة . ولم تكن لدى الطائرات العراقية طراز ميج ــ ٢١ ، ميج ٢٣ أى قدرات Look up أو Look down

وكانت راداراتها جو ـــ جو فقيرة فى قدراتها وفاعليتها .

ولما وصلت للعراق الطائرات الفرنسية ف ـــ ١ قلت بعض هذه المشكلات وخاصة بالنسبة لقدرات الطائرة ، ولكن العراقيين ظلوا غير سعداء بمعدات الحرب الإلكترونية السوفيتية وحاولوا بكل الطرق الحصول على معدات غربية متطورة فى هذا المجال .

٤ ـــ أهمية طائرات الأنذار المبكر والأقمار الصناعية

تعتبر طبيعة الأرض عاملا هاما فى تحديد فاعلية المستشعرات المختلفة ومراكز القيادة والسيطرة . ولقد عانت العراق وإيران من عدم وجود وسائل استشعار وإنذار محمولة جوا أو طائرات إنذار مبكر من أى نوع ، وإن كانت ايران قد أستغلت طبيعة الأرض فى عرقلة التغطية بالرادارات . فلقد نجح الطيارون الإيرانيون فى إستخدام الهيئات الأرضية التى حققت لهم طرق اقتراب مستورة لضرب ومهاجمة الأهداف العراقية . وعلى العكس من ذلك كانت الطائرات العراقية تتبع ما جاء فى الكتاب كما يقال فكانت تطير على أرتفاعات متوسطة وعالية ، وحاولت تفادى الصواريخ الإيرانية بالطيران خارج مرماها . ولقد ساعد ذلك المقاتلات الإيرانية فى اتوقع اقتراب الطيران العراقى وتقوم باعتراضها فى الوقت المناسب ونجحت فى ذلك بشكل ملحوظ قبل أن ينخفض حجم القوة الجوية الإيرانية بشكل مؤثر بسبب التأمين الفنى والنقص فى قطع الغيار .

ثم قامت العراق بتطوير نظام إنذار جوى منخفض التكلفة محمول جوا وذلك فى منتصف الثمانينات أطلقت على أول طائرة من هذا النوع « بغداد ـــ ١ » ، وهى طائرة سوفيتية اليوش ٧٦ مزودة بجها، رادار تايجر (نمر) فرنسى معدل . وتم تصنيع هذا الجهاز فى العراق بترخيص من طوسون وأطلقوا عليه SDA-G ، ووفرت هذه الطائرة إنذارا مبكرا للتحركات الجوية الإيرانية على الأرتفاعات المتوسطة والعالية فوق منطقة محدودة . وكان مدى الكشف الرادارى للطائرة محدود ولا يمكنها كشف الأهداف التى تطير على أرتفاع منخفض ، وغير مجهزة بوسيلة تعارف متطورة أو نظم قيادة وسيطرة ومعلومات .

أن الدرس المستفاد من قيمة وأهمية أى طائرة أو أكس (أستطلاع وإنذار مبكر) والتغطية بالأقمار الصناعية درس واضح وخطير . فالولايات المتحدة الإمريكية لديها هذه النظم التى تحقق لها التغطية الكاملة والمستمرة فى أى منطقة . وهذه الوسيلة بالإضافة

رادارات سفت البحرية الإمريكية وفرت للقوات المسلحة الإمريكية مستوى من الكشف لاى تحركات جوية أو بحرية فى الخليج بصورة دقيقة وفى الوقت الحقيقى وعلى كل الأرتفاعات وفى كل الإتجاهات الأمر الذى مكن القوات البحرية الإمريكية فى الخليج من مراقبة أى نشاط إيران فى الوقت والمكان المناسبين وإتخاذ الإجراءات السليمة وفى الوقت المناسب لمواجهته بنجاح .

وعلى ذلك فالأستطلاع والأنذار الجوى له أهمية بالغة وخاصة بالنسبة للمناطق الوعرة . فالأرض الجبلية والمليئة بالهيئات تحدد من قدرة الرادات الأرضية على الكشف ، كما تؤثر على وسائل الكشف الحرارية . والطائرات الأواكس وال أى تو سى تتغلب على هذه العقبات ولها قدرات على الكشف نهارا وليلا وتغطى مساحات كبيرة لكبر مدى الأجهزة الموجودة بها فالطائرات الأواكس تغطى مدى يصل إلى ٥٠٠ ميل عندما تطير على أرتفاع مناسب ، ولأجهزتها قدرات تمييز عالية .

أما بالنسبة للأقمار الصناعية فيمكن القول أن الولايات المتحدة الإمريكية والأتحاد السوفيتى وبعض الدول الأوروبية تتمتع بانفرادها تقريبا بالتغطية بالأقمار الصناعية لكل أنحاد العالم ، وأن كانت لبعض الدول ومنها إيران والعراق تمكنت من شراء معلومات من الأقمار الصناعية التجارية وخاصة من فرنسا فى آخر مراحل الحرب . ولكنها لم تحصل على أى معلومات عسكرية من هذه المصادر . وبدأت اسرائيل تدخل مجال الأقمار الصناعية العسكرية التى ستحقق لها تغطية كاملة لكل منطقة الشرق الأوسط والمنطقة العربية بالذات . ورغم توفر التمويل بالنسبة للدول العربية فهى لا تملك إلا قمراً صناعياً تجاريا لا يمدأيا من أن الدول العربية بأى معلومات استطلاع من أى نوع .

أن الأقمار الصناعية العسكرية وسيلة آمنة ودائمة للاستطلاع والأنذار يجب أن نهتم به و أن يتفق العرب فيما بينهم على إطلاق قمر عسكرى عربى يضيف إلى الأمن القومى للدول العربية منفردة ــ طالما لا ترغب أما جماعيات فسيوفر الكثير والكثير .

٥ ــ القيادة والسيطرة الآلية

لم يكن لاى من العراق أو إيران وسائل اتصالات أمنة (سرى للغاية) فكلاهما لم يتمكن من الحصول على أجهزة اتصالات حديثة أو أجهزة جمع معلومات متطورة بها أنظمة

تشفير عالية الدقة يصعب التصنت عليها أو حل شفرتها وهو ما يطلق عليه درجة « سرى للغاية » . وتقول الدوائر الغربية أن كلا الدولتين كانت لديها أجهزة لاسلكية تعتمد على النظم التجارية فى التشفير الأمر الذى يسهل مأمورية من يريد التصنت وحل هذه الشفرة . ومما لا شك فيه أنها نقطة ضعف خطيرة وهى ظاهرة سائدة فى كل دول العالم ، لأن الأمر يحتاج إلى وجود تكنولوجيا تصنيع المفتاح محليا أى بالجهود الذاتية وهو ما لا يتوفر فى غالبية دول العالم الثالث . ولهذا تلجأ هذه الدول عادة للتغلب على هذه المشكلة اللجوء إلى الأعتماد على المواصلات الخطية أو على أسلوب المؤتمرات بمعنى اللقاءات فى غرف مغلقة .

كما لوحظ كذلك أن إيران والعراق لجأت فى حربهما الطويلة إلى استخدام نظام القيادة والسيطرة الآلى المسمى C³ I باسلوب اطلق عليه الخبراء « أكذب لتسعد أو لتسعد Lie to please» وذلك على كل المستويات القيادية . فبالنسبة لايران كان نظام القيادة والسيطرة والإنصالات بالكذب وذلك لاسباب خاصة بالعلاقة بين القوات المسلحة بعنصريها الجيش والحرس الثورى والقيادة الدينية فى الدولة . وفى عام ١٩٧٩ فشلت إيران فى تطوير نظام القيادة والسيطرة C³/وتوسيع نطاق ليشمل قواتها البرية ، ويبدو أن ذلك بسبب فشلها فى الحصول على الأجهزة والمعدات اللازمة . ومن الأسباب فى فشل النظام المجالس الثورية أو المكاتب الثورية التى كان لها الحق فى التدخل واعاقة سلسلة القيادة على القوات . كما أن قوات الحرس الثورى التى تم أنشاؤها لتواجه الجيش لخلق توازن داخلى حتى لا يفكر الجيش فى الإستيلاء على السلطة وما ينتج عن ذلك من تناقص وصراع . وكقوة جديدة تفتقر إلى الخبرة والكوادر لم تتمكن قوات الحرس الثورى من استيعاب التكنولوجيا الحديثة ، كما أنها كثيرا ما استجابت للتعاون والتنسيق مع الجيش والقوات الجوية فى العمليات المشتركة وفى السنتين الأولتين من الحرب كان الصراع بين الرئيس الإيرانى بنى صدر والملات فى طهران صراعا خطيرا ومؤثرا وخلق إنقساما داخل القيادة العامة للقوات المسلحة وأثر على النظام بصورة حادة . فلقد حقق بنى صدر علاقة خاصة مع الجيش النظامى وعليه كان بنى صدر بمثابة قائد عام خفى رأى فيه رجال السلطة الدينية فى طهران أنه يريد عزل الجيش عن نفوذ الثورة . وكان رجال الدين يسيطرون على مجلس الدفاع الأعلى ويركزون على قوات المتطوعين (قوات الحرس الثورى) ويعينون ممثلين لهم (المندوب الدينى) فى كل مستويات القيادة . كل هذا أدى إلى إنقسام داخل جميع المستويات القيادية للقوات المسلحة الإيرانية .

ولم يختلف الأمر كثيرا بالنسبة للقوات المسلحة العراقية فلقد كان الطابع السياسى هو الذى

يحكم كل عناصرها فى بداية الحرب . ولم يكن للقادة العسكريين المحترفين الكلمة الأخيرة فى التخطيط والتنفيذ ، بل العكس على طول الخط كان للقيادة السياسية الأمر الفصل حتى فى خطط العمليات للتشكيلات . وإذا ما حدث فشل فالعقاب من نصيب العسكريين ، وإذا ما حدث نصر فهو من نصيب السياسيين بل وصل الأمر إلى أن الضباط الأصاغر وضباط الصف كانوا يرفضون التقدم ما لم تصل اليهم أوامر من المستويات العليا ، أى أن القادة على جميع المستويات حرموا من المبادرة . وأدى فشل القوات العراقية فى استغلال وتطوير النجاح التكتيكى الأمر الذى عرض القوات لتحمل خسائر جسيمة فى المعدات والأرواح .

ويتساءل الخبراء والمعلقون كيف لم تستفد العراق مما كان لديها من معدات وأجهزة حديثة متطورة فى نظام القيادة والسيطرة الآلى C³I ، ولو أنها كانوا قد فعلوا ذلك لتغيرت النتائج فى بداية الحرب ، ولما تعرضت القوات المسلحة العراقية التى كان لديها التفوق فى كل شيء على إيران لهذه الهزائم وتلك الخسائر . وتجمع الخبراء على أن مشكلة القيادة والسيطرة الالية العراقية كانت مشكلة سياسية فلقد كان تركيز العراق على السيطرة السياسية على القوات لمنع حدوث انقلابات ضد النظام ، وبالتالى لم تكن القوات المسلحة العراقية مستعدة لاستخدام الميكنة فى القيادة والسيطرة .

وعليه فالدرس الذى يمكن الخروج به من الية القيادة والسيطرة هنا هى :

- ألية القيادة والسيطرة حيوية وهامة للحرب الحديثة ، وأستخدامها بكفاءة يوفر النجاح ويوفر الأرواح ويحقق السيطرة على القوات وإدارة العمليات بكفاءة .
- لا يجوز للسلطة السياسية متى بدأت الحرب أن تتدخل فى أمور لا تعرفها ولا تتقنها ، وتدخلها يفرغ ألية القيادة والسيطرة من المضمون ، وهذا التدخل يقضى على النظام ويؤثر على مسار الحرب .

٦ ــ معركة الأسلحة المشتركة والحرب البرية

لقد قدمت الحرب العراقية الإيرانية دروسا كثيرة عن مشاكل نقل التكنولوجيا ، وتحول القوات الإيرانية فى العالم الثالث إلى قوات ميكانيكية قادرة على ادارة عمليات الأسلحة المشتركة ، وأول ملحوظة يمكن رؤيتها بوضوح فى هذه الحرب أن العراق وإيران رغم امتلاك كل منهما لمعدات وأسلحة متطورة وبحجم كبير فان أى منهما لم يستغل هذه المعدات والأسلحة الأستغلال الكامل .

ولما كنت ايران قد حرمت من مصادر الأسلحة الحديثة والمعدات من المعسكر الغربى بسبب الثورة فان المشاكل الرئيسية التى واجهتها ايران والعراق هو التنظيم والتدريب ، وبتعبير أدق كان تنظيم القوات ومستويات التدريب فى الدولتين لا يتفق مع الحرب الحديثة . وهذا يفسر لماذا معدلات التقدم البطىء فى المعارك ، والوزن النوعى للأفرع والأسلحة فى تشكيل القتال الأمر الذى أثر على نتيجة المعركة . لقد علمنا باشتراك احجام عددية ضخمة من القوات فى المعركة أو الموقعة الواحدة ، ولكن المشكلة هى الحجم المشترك فى القتال الفعلى ونوعيته وتكوينه ومستواه . وهذا قد يفسر كيف أمكن لتكتيكات الموجات البشرية الإيرانية من تحقيق بعض النجاح ضد قوات عراقية لديها قوة نيرانية متفوقة .

الأسلحة المشتركة :

بدأت العراق وإيران الحرب دون اتقان لفن الحرب الحديثة ، ولم يكن أى منهما بخلاف ذلك . وأستمر ذلك طوال الحرب رغم التحسن فى الأداء العراقى عام ١٩٨٧ وعام ١٩٨٨ . وأعتقد أن القيادة العسكرية للطرفين أقتنعت الأن بأن مجرد الحشود الضخمة لا يمكنها أن تغنى عن أسلوب عملية الأسلحة المشتركة . لقد تعلمت ايران ذلك بعد أن كانت تصر على تكتيكات الموجات البشرية ، وتعلمت العراق الدرس بعد أن أتبعت أسلوب الدفاع الثابت المعتمد على قوة النيران والتحصينات .

لقد فقد الطرفان اعداد كبيرة من الدبابات والعربات المدرعة خلال الخمس سنوات الأولى من الحرب لأن كليهما كان يدفع بمدرعاته فى القتال بدون دعم مدفعى كاف وبدون مشاة مرافقة لها ، أو بسبب الأستخدام الغير مرن واستخدامها أساسا فى دور دفاعى ثابت بمهمة الرمى المباشر فحرموا الدبابة من أهم ميزة لها وهى خفة الحركة وقوة الصدمة . وتسبب ذلك فى مشاكل خطيرة خاصة فى المراحل الأولى من الحرب . فمن أهم الأسباب التى أدت إلى فشل الهجوم العام العراقى فى بداية الحرب هو أستخدام العراق لدباباتها دون مشاة مرافقة لها أو معاونتها بنيران المدفعية والطائرات أى بتعبير آخر لم تلجأ إلى معركة الأسلحة المشتركة . ومع مرور الوقت بدأت العراق تدرك أهمية التعاون الوثيق بين المشاة والدبابات ولكنها مع ذلك لم تتمكن من خلق جندى المشاة الذى يتقن هذا التعاون ، كما أنها لم تتمكن من خلق تشكيل القتال المناسب لشن هجوم مضاد أو ضربة مضادة ناجحة .

ويبدو أن إيران أضطرت الى أتباع استراتيجية هجوم المشاة الكثيف لأن مدرعاتها لم

تكن على مستوى وكانت اعداد دباباتها الصالحة محدودا وفشلت فى تحقيق تأمين فنى سليم لهذه الدبابات ، ولذلك تركت مشاتها تقاتل منفردة فى معظم المعارك ، أو مع قليل من الدعم بالمدفعية . ومع أنها حاولت استغلال طبيعة الأرض من مستنقعات الى أراضى جبلية ولكنها لم تتمكن (أى المشاة) من تحقيق استمرارية فى الهجوم ولذلك لم تتمكن من تحقيق اختراقات إلا لاعماق صغيرة وسرعان ما أضطرت للتراجع تحت ضغط الهجمات المضادة العراقية وأمام التفوق النيران للقوات العراقية . وفيما بين ١٩٨٦ ، ١٩٨٨ تعلمت إيران درسا هاما دفعت ثمنا غاليا له وهو أن قواتها لا يمكنها أن تنجح فى تطوير النجاح بدون مدرعات أكثر ومدفعية أكثر ونظام إمداد جيد بالإحتياجات أثناء القتال .

ويمكن القول بأن الطرفين أعتمدا على المدفعية كما أعتمد من قبل على المشاة . فلقد تفوقت إيران فى إدارة نيران المدفعية وتحديد الأهداف وسرعة نقل نيران المدفعية من منطقة الى أخرى (المناورة بالنيران) ، وتفوقت العراق فى حشد المدفعية وفى تحقيق نيران أعلى . ولكن كلاهما فشل فى تطوير أسلوب يجعل من نيران المدفعية أكثر فاعلية وتأثيرا لمعاونة القوات . فلقد كان طلب نيران المدفعية يمر بسلسلة طويلة من القيادات الأمر الذى أدى إلى تأخير فى تقديم المعاونة بالنيران . وكلاهما لم يحسن إستخدام مراكز الملاحظة ، كما أن مراكز الملاحظة لم تكن مزودة بالوسائل الحديثة لتحديد أحداثيات الأهداف بدقة وبسرعة . ولم ينجح أى منهما فى دمج المدرعات والمدفعية والمشاة والهليكوبترات المسلحة (Gunships) للعمل معا فى معركة اسلحة مشتركة منسقة . كما نلاحظ أن كثيرا من أسلحة القوات البرية لم تحسن التعاون فيما بينها إلا فى حالة القتال فى الدفاع الثابت المنظم وفى المراحل الأولى من العمليات الدفاعية فقط . وكثيرا ما كان هذا التعاون يتفكك وينهار عندما يصبح القتال أكثر سيولة أى أن القتال بعد تحقيق المهمة المباشرة أفتقر الى تعاون الأسلحة المقاتلة وتضييع سمة معركة الأسلحة المشتركة . فعندما تبدأ الأنتقالات نجد أن المدفعية تتخلف عن اللحاق بالمدرعات ، وتتخلف المشاة عن مرافقتها .... الخ فتتعرض القوات المهاجمة للكثير من المشاكل التى كثيرا ما أدت الى حدوث فوضى وتموت القوة الدافعة للهجوم ويتحول القتال مرة أخرى الى قتال ثابت لا حركة فيه .

٧ ـ المشاة فى الحرب العراقية الإيرانية

لقد أثبتت الحرب العراقية الإيرانية أن المشاة لا زال فى مقدورها أن تلعب دورا حاسما فى الحرب الحديثة فى العالم الثالث . فلقد سادت المشاة المراحل الأولى للقتال فى تلك الحرب بل سيطرت على كل المعارك الى أن حدث الهجوم العراقى العام عام ١٩٨٨ . ولم تكن العراق قد أعدت نفسها لقتال المشاة عندما بدأت الحرب . وطبقا للعقيدة السوفيتية التى تتبعتها العراق فإنها وضعت آمالها فى الوحدات المدرعة والميكانيكية فى المراحل الأولى من الحرب . لقد أشترك فى الغزو العراقى الإبتدائى لايران أربع فرق مدرعة وفرقتان ميكانيكيتان ومعها وحدات الدعم المختلفة . وتمكنت هذه القوة من إختراق منطقة خوزستان بدون أى دعم من وحدات مشاة غير ميكانيكية (أى مشاة عادية) . ولكن بسبب وجود عدد كبير من الموانع المائية والدفاعات القوية فى المناطق الأهلة بالسكان (المدن الصغيرة والكبيرة) خلقت ظروفا وأحوالا لا تناسب ظروف حرب المدرعات والقوات الميكانيكية . وواكب ذلك مشاكل القيادة والسيطرة الآلية العراقية (C^3) التى سبق وتحدثنا عنها الأمر الذى أدى إلى تأخير تقدم القوات العراقية فى المراحل الأولى من العملية (معدلات تقدم بطيئة) . وأدى هذا البطء والتأخير الى قيام القيادة العراقية باعادة تقدير الموقف وأكتشاف حاجتها الى قوات من المشاة لمرافقة وتدعيم المدرعات . وكان على القوات العراقية وقوات الحرس الجمهورى أن تتعلم درس حرب المدن وتكتيكات المشاة فى المناطق المفتوحة . ولقد أستغرق ذلك بعض الوقت . لقد كان نقص وجود وحدات مشاة عراقية كافية ومدربة لتستولى على المناطق المجهزة فى المدن ذو تأثير كبير فى عدم استيلاء العراق على مدينتى خورمشهر وعيدان .

وبذلت العراق جهودا مكثفة لتشكيل وحدات مشاة جديدة بعدما تعرضت له خلال عام ١٩٨٠ . وتم استدعاء قوات الإحتياطى ومئات الألوف من ميليشيات الجيش الشعبى عام ١٩٨١ ، فوصل الحجم الى ما بين ٤٠٠٠٠٠ جندى ، ٦٥٠٠٠٠ جندى . وتم تشكيل هذه القوات فى حوالى الف لواء ، ولكن كانت القيادة ونظام التدريب لهذه القوات ضعيفة .. وكانت القيادة العراقية تعى هذه المشكلة ولذلك أستخدمت هذه الوحدات كقوات حراسة لبعض المناطق فى المؤخرة أو لتأمين مناطق ذات اسبقية ثابتة

ولقد ساعد ذلك على تحرير الوحدات الأكثر خبرة للعمل بالجبهة ، ولكن نتيجة زيادة ايران لحجم مشاتها اضطرت العراق لأرسال وحدات ضعيفة التدريب الى الجبهة فى الخط الأمامى للدفاع . وأدى ذلك الى تعرض العراق لعدة هزائم عام ١٩٨١ وعام ١٩٨٢ ، وزاد من أنتقال واسع للمشاة العراقية كعنصر تنقصه الكفاءة والشجاعة .

وبعد عدة شهور من القتال ونتيجة موقف المشاة العراقية بدأت العراق تعتمد على وحدات شكلت حديثا من المتطوعين لمواجهة المجهود الرئيسى الإيرانى . وكان يقود هذه الوحدات الجديدة بقادة بعثيين بدلا من الضباط المحترفين . ولم تكن هذه الوحدات ذات تنظيم أو تسليح مناسب وبدأوا يستسلمون وتنهار مقاومتهم أمام الهجوم الإيرانى . وكان فشل هذه الوحدات سببا فى نجاح القوات الإيرانية فى الإختراق فى منتصف عام ١٩٨١ . بعد ذلك بدأت العراق تعين على هذه الوحدات قادة من ضباط الجيش الأكفاء وأصبحت بذلك وحدات مؤثرة وناجحة .

بعد عام ١٩٨٢ ـــ ١٩٨٣ أصبح لدى العراق قوات مشاة مؤثرة فى الدفاع وبدأت فى تدريب أعداد كبيرة لتدعيم هجماتها المضادة عام ١٩٨٤ ، ولكن لم يؤت هذا التدريب ثماره إلا عام ١٩٨٦ ـــ ١٩٨٧ . وفى عام ١٩٨٨ بدأ يظهر أن العراق قد طورت مشاتها باسلوب سليم وتحويلها الى سلاح هجومى مقاتل . وكانت العراق فى السنوات السابقة تعتمد على الدفاعات الثابتة المركبة ونادرا ما كانت تقوم بدفع دورايات لتأمين المناطق الجبلية والأراضى الوعرة .

وفيما يبدو أنها فعلت ذلك لتقليل الخسائر ، ولكنها كثيراً ما سمحت للمشاة الإيرانية فى التسلل والأختراق داخل المواقع العراقية . كما أن العراق فى أعمالها القتالية كثيرا ما ربطت تحركاتها بالطرق وفشلت السيطرة بداورياتها على تلك المناطق وارسال وحدات مشاة أكبر تعتبر ضرورية لتأمين تلك المناطق .

أن أهم الدروس التي يمكن الخروج بها من كل ما سبق أن المشاة يجب أن تدرب وتسلح بقوة نيران مناسبة ووسائل استطلاع جيدة ليمكنها العمل بجرأة وحسم كقوة قادرة على المناورة فى الأراضى الوعرة والمناطق الجبلية . أن الأحزمة الدفاعية (Barrier Defenses) أسلوب لتقليل حجم القوة البشرية فى الدفاع ولكنها لا تحقق دفاعا نشطا . أن المشاة سلاح هام من أسلحة الجيش يجب الأهتمام بها وبتسليحه لتكون سلاحا مؤثرا فى المعركة الدفاعية

والمعركة الهجومية على حد سواء .

وفى المقابل بعكس العراق بدأت ايران الحرب باعداد أقل من الدبابات وقطع المدفعية (أنظر المقارنة) بالعراق واستمر هذا الوضع طوال الحرب لأن إيران فشلت فى شراء اعداد جديدة من هذه المعدات لأسباب كثيرة . وأدى ذلك إلى إعتماد إيران على القوة البشرية فشكلت قوات الحرس الثورى وركزت على أحراز التفوق البشرية (فى المشاة) كبديل لكميات التسليح والتكنولوجيا . وتمكنت إيران من الحصول على اسلحة لتسليح المشاة الخفيفة والمشاة الميكانيكية الخفيفة .

٨ - تكتيكات المدرعات والدروس المستفادة

كان الهجوم المدرع العراقى الأول على عبدان بطيئاً جداً . فلقد تقدمت الدبابات الى مواقع حفرتها البلدوزارات مسبقا ثم انتظرت الى أن قامت المدفعية بضرب المنطقة التى سيتقدمون اليها أو بتعبير آخر الهدف الأول للهجوم . بعدها بدأت الدبابات العراقية فى التقدم . واذا كانت هذه التكتيكات قد نجحت ضد رجال العصابات الاكراد فى السبعينات فانها تمثل خطأ كبيرا فى القتال ضد عدو كايران . واستمرت المدرعات العراقية فى استخدام هذا الأسلوب طوال الحرب حتى عام ١٩٨٨ وبذلك فشلت القوات العراقية فى استخدام المدرعات فى توجيه ضربات قوية حاسمة ضد خطوط المواصلات والامداد الايرانية . كما استخدمت العراق دباباتها كقطع مدفعية متحركة للرمى المباشر الأمر الذى خلق مشكلة كبيرة بالنسبة لمواسير مدافع الدبابات التى تآكلت بسرعة نتيجة ارتفاع معدلات استهلاك الذخيرة فتنتهى عمر المواسير . واستمرت العراق فى هذا الأسلوب خلال دفاعها عن شبه جزيرة الفاو وعام ١٩٨٦ وعن البصرة فى ١٩٨٧ .

كما كان اداء المدرعات العراقية فى المناطق السكانية (القتال فى المدن الكبيرة والصغيرة) سيئا بعد غزوها للأراضى الايرانية . فلقد دافعت القوات الايرانية عن المدن مثل خورمشهر وعبدان والأهواز وديزفول وسوسنجيرد بشجاعة مستخدمين القواذف الصاروخية والصواريخ الموجهة المضادة للدبابات . وكان العراقيون غير مستعدين لحرب المدن الأمر الذى أدى الى تكبيدهم خسائر جسيمة فى الدبابات والمشاه معا . وواجهت العراق مشكلة

خطيرة فى القتال فى المدن ولم تكن دباباتها ناجحة فى القتال فى الشوارع والمناطق الضيقة .

من الظواهر الغريبة أن الدبابات العراقية ت ـــ ٥٥ ، ت ـــ ٦٢ (السوفيتية الصنع) نجحت فى القتال تحت تأثير الهليكوبترات المسلحة الايرانية فى الوقت الذى تمكنت فيه ايران من دفع هذه الهليكوبترات بأعداد كبيرة لمهاجمة الدبابات العراقية ، اذ كانت هذه الدبابات مزودة برشاش ١٢,٧ مم للدفاع ضد هذه الهليكوبترات . ونجحت هذه الرشاشات لطول مرماها فى منع الهليكوبترات الايرانية من التحليق والوصول الى مدى اطلاق صواريخها . كما قال العراقيون انهم استخدموا مدفع الدبابة الرئيسى فى تدمير الهليكوبترات الايرانية .

لقد تعرضت العراق لخسائر جسيمة عندما كانت الهليكوبترات الايرانية المسلحة تقترب من الدبابات مختفية باستخدام الهيئات الارضية العالية ثم تصعد لاعلى فجأة وتبقى فى وضع التعليق لفترة صغيرة كافية لاطلاق صواريخها ثم تختفى مرة أخرى خلف التلال لتظهر فى مكان آخر وتكرر نفس التكتيك . ولكن هذا الأسلوب لم يحدث كثيرا لأسباب مجهولة . ولكن يبدو أن الأسباب تكمن فى نظام القيادة والسيطرة والميل الى استخدام وحدات فرعية صغيرة لا تعرف طبيعة الأرض جيداً .

واذا ما عدنا الى المدرعات الايرانية يبدو أن الايرانيين دفعوا بكل ما لديهم من دبابات ثقيلة صالحة خلال السنة الأولى من الحرب . وبتطور احداث الحرب لم تتمكن ايران من توفير احتياجات هذه الدبابات بصفة مستمرة ، كما لم تتمكن من اصلاح ما يحدث بها من اعطال أو اصابات بسيطة . وعليه فلقد استمرت المدرعات الايرانية فى التقلص اذ ارتفع معدل تآكلها بشكل ملحوظ . وظهر هذا التآكل والارتباك فى أول هجوم رئيسى ايرانى فى الحرب عندما قامت ثلاثة ألايات مدرعة (غير كاملة المرتب من الدبابات) من الجيش النظامى بمهاجمة القوات العراقية عند سوسنجرد فى ٥ يناير ٨١ دون مشاة مرافقة فتعرضت لهزيمة كبيرة .

كما نلاحظ أن الدبابات الايرانية لم تستطع المناورة بسرعة عندما تقع فى منطقة قتل تنصبها لها الدبابات العراقية المخندقة ، والنتيجة قيام القوات العراقية بتطويقها من ثلاثة جهات واجبرت كثيرا من الجنود الايرانيين على هجر دباباتهم ومركباتهم المدرعة لقد تميزت معارك الدبابات فى الحرب العراقية الايرانية بعدم دقة الاصابة وعدم المناورة واطلاق النيران على مسافات بعيدة .

واخيرا تمكنت ايران من الحصول على دبابات ت ــ ٥٩ صينية وكورية شمالية كذا دبابات سوفيتية وعدد قليل من الدبابات ت ــ ٦٢ ، ت ــ ٧٢ من بعض الدول العربية . ومع ذلك لم تثبت ايران قدرتها على استخدام هذه الدبابات بكفاءة فى حرب تتسم بخفة الحركة والمناورة وانما استخدمت كدبابات دعم اشبه ما تكون بمدافع الاقتحام . ولم تكن هذه الدبابات مزودة بأجهزة ادارة نيران تمكنها من تحقيق اصابة من الطلقة الأولى أو الضرب من الحركة ، ولكنها تميزت بعمر اطول للماسورة وادوات تنسيق بصرية ابسط فى الاستخدام .

ان حرب المدرعات فى الحرب العراقية الايرانية نادرا ما استغلت الميزات التى تتوفر فى الدبابات الحديثة مثل جهاز ادارة النيران وآلات تقدير المسافة . ولقد اثبتت هذه الحرب تفوق الكم على الكيف بوجه عام . فعلى سبيل المثال احسن الايرانيون استخدام الدبابة م ــ ٦٠ عندما احتاجو للحركة والدبابة شتيفتين عدما كان الوزن والتدريع هاما .

اما اذا تم الحكم على أساس تصرف العراقيين فيمكن الخروج ببعض الدروس الفنية . فلقد واجه العراق كثيرا من المشاكل لمحاولة جهاز ادارة النيران لبعض الدبابات السوفيتية الصنع وذلك بتركيب جهاز ادارة النيران الموجود بالدبابة ت ــ ٧٢ (وهو مزود بآلة تقدير مسافة وحاسب من القرب) على الدبابات ت ــ ٦٢ وغيرها من الدبابات السوفيتية الصنع ، ولكنها لم تحرز نجاحاً يذكر . ولقد اقتنعت العراق بأن قوة النيران هامة فى التعامل مع الأهداف الايرانية مثل الدبابة شتيفتين والأهداف ذات التدريع القوى . فقامت بتسليح الدبابات ت ــ ٥٥ بالمدفع عيار ١٢٥ مم المستخدم مع الدبابة ت ــ ٧٢ .

كما يبدو أن العراق استخدمت تدريعا اضافيا للدبابات ت ــ ٥٥ أو جزء كبير منها وكذا الدبابات من الأطرزة الأخرى . ولم يثبت لنا عدد الدبابات التى تم تطويرها والتى استخدمت فعلا فى القتال ومدى نجاحها . وزودت العراق الدبابة ت ــ ٧٢ بسكينة والدبابة ت ــ ٥٥ بوسيلة لفتح حقول الالغام وذلك ليمكن دفعها أمام الدبابات لفتح ثغرات فى حقول الألغام .

العربات المدرعة الأخرى :

كان نمط قتال العربات المدرعة شبيه بأسلوب قتال الدبابات . وفى بداية الحرب قامت

العراق بفتح عدد كبير من مركبات القتال المدرعة ولكنها فشلت فى استخدامها بالأسلوب السليم فهى مركبات ذات قدرات عالية على المناورة وتسليح قوى وتحمل عددا مناسبا من المشاة يمكنها القتال من داخل العربة أو النزول منها لاقتحام المواقع .

لقد حاول كلا الطرفان زيادة قوة نيران المركبات المدرعة طوال الحرب باضافة رشاشات أخرى وصواريخ موجهة مضادة للدبابات وتحويل بعضها الى حاملات هاون واطلاق نيران الهاون من فوقها . كما استخدموا هذه المركبات فى أعمال الامداد وكمركبة قيادة وكمركبة اسعاف مدرعة . كما حاولت العراق زيادة تدريب المركبات المدرعة ب م ب — ١ لمواجهة القواذف الصاروخية الايرانية ر ب ج والصواريخ الموجهة المضادة للدبابات (زودتها العراق بالواح من الصلب سمكها ٣٠ — ٤٠ مم على اجنابها) .

وعموما فان الدروس الرئيسية من الخبرة العراقية الايرانية فى هذه الحرب بالنسبة للمدرعات دروس قليلة وضعيفة ولم يتعد بعض المحاولات لزيادة التوزيع ولكن الاستخدام كان سيئاً ولا يمكن الخروج بأى دروس تكتيكية أو تعبوية أو استراتيجية . لم نشاهد أى ابتكارات فى التدريب أو الاستخدام ، ولم نشاهد أى قدرة على استغلال القدرات العالية لهذه المركبات فى المناورة .

٩ - الدروس المستفادة من الحرب الجوية وحرب الصواريخ

استخدمت نظم الدفاع الجوى والقوات الجوية والهليكوبترات والصواريخ فى الحرب العراقية الايرانية على نطاق واسع نسبيا . كما أنها تعتبر أول حرب والعصر الحديث استخدمت فيها الأسلحة الكيماوية على نطاق واسع . ومع ذلك فان ايران والعراق افتقرتا الى الحنكة التكتيكية والتعبرية والاستراتيجية فى الاستخدام الناجح والفعال لما لديها من تكنولوجيا ودمجها لتكون قوة قتالية فعالة وكفاءة القيادة والسيطرة على القوات . فلقد كان لدى كل منهما طائرات حديثة ووسائل دفاع جوى حديثة ومعدات الكترونية ... الخ ، ولكن ادماج هذه العناصر لا تعمل معا فى تنسيق كامل لم يتحقق .

وبالنسبة للحرب الجوية وحرب الصواريخ فى الحرب العراقية الايرانية فان أهم الدروس المستفادة يمكن تلخيصها فيما يلى :

- نعم كان للقوات الجوية تأثير هام على مسار الحرب الى حد ما ولكنها لم تحدث تأثيرا تكتيكيا أو استراتيجيا رئيسيا بالقدر الذى يتناسب مع الحجم والكيف المتوفران لديهما .
- لم تحسن أى من العراق وايران استخدام نظام القيادة والسيطرة الآلى الذى توفر لكليهما سواء فى السيطرة على وادارة عمليات القوات الجوية أو وسائل الدفاع الجوى . وظهر ضعف واضح بالنسبة للدفاع الجوى ضد الأهداف المنخفضة جداً وظهر بالنظام تغيران كثيرة .
- لجأت العراق وايران الى استخدام المدافع المضادة لطائرات فى الرمى المباشر ضد المشاة والعربات المدرعة ، وهو أمر ستحق دراسة واعية .
- التوسع فى استخدام صواريخ الكتف المضادة للطائرات والأنواع منها المركبة على بعض المركبات ، ولم نشاهد استخدامهم لهذه الأنواع فى تنسيق مع باقى وسائل الدفاع الجوى .
- تأثر القتال الجوى كثير بتكنولوجيا التسليح الذى كان متوفرا للطرفين ، ولم تحدث

معارك جوية حاسمة فى هذه الحرب .

- لم تكن معاونة القوات الجوية للقوات البرية أما ما يسمى close air support ناجحة من أى من الطرفين بالقدر الكافى .
- القصف الجوى للأهداف تأثر كثيرا باللجوء الى مهاجمة الأهداف من ارتفاعات عالية خوفا من الاصابة بوسائل الدفاع الجوى ، وكانت أجهزة التنشين أقل كفاءة مما يجب تقريبا الاستمرارية فى قصف الأهداف لمنع الخصم من اصلاحها واستخدامها مرة أخرى .
- كان استخدام الصواريخ أرض أرض غير مؤثر لأسباب عدة أهمها محدودية الاعداد التى أطلقت فى كل ضربة ، وانخفاض دقة الصواريخ سكود والحسين وغيرها ، كما أن الرأس المدمر لهذه الصواريخ لم يتعد الى ٥٠٠ كجم . وكان التأثير الحقيقى لهذه الضربات تأثير معنوى أكثر منه تأثير تدميرى .
- لعبت الغازات السامة دوراً هاماً فى هذه الحرب فلقد استخدمها الطرفان رغم تحريمها دوليا ، ونلاحظ ضعف التدريب ووسائل الوقاية ضد الحرب الكيماوية فى الجانبين .
- كان لقصر مدى كثير من أنواع الطائرات أثر فى تقبل وضعف الضربات الاستراتيجية الجوية الى حد كبير .

١٠ – الذخائر الموجهة الذكية والذخائر الخاصة

لقد لعبت الذخائر الموجهة الدقيقة (يطلق عليها أحيانا الذخائر الذكية) دوراً هاماً فى الحرب العراقية الايرانية رغم أنها كانت من أطرزة قديمة نسبيا ، ولم تكن الحرب اختباراً رئيسياً للتكتيكات والتكونولوجيا .

لقد استخدمت ايران الصواريخ المخوجهة المضادة للدبابات بكثافة ومنها التاو والدراجون الأمريكية الصنع وانتاك ، اس‌اس— ١١ ، ١٢ الفرنسية . ومعظم هذه الذخائر كان قد اشتراها الشاه فى برنامج طموح لتطوير قواته المسلحة فى محاولة ليكون قوة عظمى اقليمية وتجسد هذا الاستخدام فى السنة الأولى ونصف من الحرب . كما استخدمتها القوات الايرانية فى العمليات الهجومية ضد الدشم والملاجىء والتحصينات العراقية وضد الدبابات العراقية المخندقة ولنجاح هذه الذخائر حاولت ايران الحصول على التاو الأمريكى بكل الطرق بما فى ذلك التهريب وأى أساليب أخرى ، وفضيحة ايران جيت المعروفة لعبت دوراً كبيراً فى هذا الأمر ويبدو أن ايران استخدمت هذه الصواريخ بنجاح وبتأثير فى عملية الفاو عام ١٩٨٦ وفى هجومها المضاد الرئيسى فى مهران فى نفس السنة . ومع كل ذلك فان نسبة الاصابة لم تتعد ١٠٪ لأسباب غير معروفة اللهم الا مستوى التدريب ، وادى ذلك الى زيادة استهلاك هذه الذخائر عن المعدلات النموذجية بكثير . واعتقد أن من الاخطاء الشائعة التى تسبب انخفاض احتمال الاصابة هو ان بعض الجنود قد يطلق الصاروخ قبل أن يصبح الهدف داخل المدى أو فى وضع يساعد الموجه على تتبع الصاروخ اثناء طيرانه بسهولة وبدقة تمكنه من ايصاله الى الهدف وتحقيق الاصابة . ولتأكيد ذلك اسوق مثالا حدث فى حرب اكتوبر وهو أن عددا من الموجهين للصواريخ مالوتكة (وهى من الجبل الأول) حقق معدلات اصابة عالية جداً فمنهم من دمر ٢٣ دبابة ومنهم من دمر ١٨ دبابة وذلك بفضل ارتفاع مستوى التدريب . واعتقد انه لو توفرت لمصر صواريخ من الجيل الثانى فى حرب اكتوبر ٧٣ لتضاعفت خصائر اسرائيل فى المدرعات .

لم تحقق العراق نسبا عالية فى الاصابة باستخدام الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات ففى المتوسط اطلقت القوات العراقية ٦ — ٨ صاروخ ميلان أو هوت للحصول على اصابة ، كما أنها أطلقت من ٢٠ الى ٣٠ صاروخ ساجر ، SS-11 للحصول على اصابة ويرجع ذلك

بالقطع الى مستوى التدريب وتفهم الموجهين لاختيار انسب هدف وانسب وضع للاطلاق .

وبعد عام ١٩٨٢ ادى النقص فى هذه الصواريخ الى فترة انخفض فيها استخدام الصواريخ والى التحول الى اسلوب القتال الثابت وبالتالى انخفاض اكبر فى معدلات الاصابة . ونظرا لطبيعة المعارك كان اكثر من ٥٠٪ من الأهداف دبابات وعربات مدرعة منخندقة وبالتالى لا يمكن الخروج بدروس مستفادة عن نجاح هذه الصواريخ فى حب تتسم بالمناورة وخفة الحركة فى استخدام المدرعات .

ومن دراسة قام بها بعض الخبراء عن استخدام الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات العراقية تم الخروج بالملاحظات التالية :

- كثير من القوازف اطلقت صواريخها دون أمل حقيقى فى الحصول على اصابة مباشرة ، فمن بين كل أربعة قواذف قام ثلاثة باطلاق الصواريخ لمجرد الازعاج أساسا .
- كانت مركبات القتال المعرضة اكثر تعرضا عند اطلاقها للصواريخ المضادة للدبابات الموجهة لسوء اختيار الموقع واستخدام طبيعة الأرض .
- أهمية أن تتوفر صواريخ موجهة مضادة للدبابات تقل أقل مسافة للاطلاق عن ١٠٠ م حتى يمكن استخدامها بنجاح فى قتال المدن والمناطق الجبلية المغلقة .
- كثير من الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات اطلقت ضد الدشم والتجهيزات الهندسية ونجحت فى تدميرها .
- النقص الكبير فى أجهزة الرؤية الليلية أثرت على الاستخدام التكتيكى لهذه الصواريخ .
- أهمية بساطة أجهزة التوجيه واجهزة التتبع والسيطرة على الصاروخ أثناء سيره على خط المرور أمر هام وحيوى .
- ان عدد القواذف وعدد الصواريخ مع كل قاذف هام جداً ، كما أن الامداد بالصواريخ أثناء القتال كان عاملا حاسما فى كثير من المعارك .
- لا زالت القواذف الصاروخية المضادة للدبابات هامة وحيوية مثلها مثل الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات ، كما اتضح تزويد هذه القواذف بطلقات مضادة للمشاة

ليمكنها التعامل مع المشاة فى المعركة بنجاح .

الهليكوبترات الهجوميـــة :

ان الهليكبوبتر المسلحة والتى يطلق عليها Gunship سلاح خطير فى المعركة الحديثة لمرونته وقة نيرانه ودقتها ، فهى مسلحة بصواريخ مواجهة مضادة للدبابات تفننت الدول فى صناعتها الى أن وصلت لاجيال منها وصل مداها الى ستة كيلومترات ومن الجيل الثالث الذى يستخدم نظام Fire and forget ، وكذا خزانات صواريخ حرة ورشاشات ثقيلة وصواريخ جو / جو ... الخ .

وفى الحرب العراقية الايرانية امتلك الطرفان اعداداً من الهليكوبترات المسلحة الا أن ايران فقدت نسبة كبيرة مما كان لديها منذ عهد الشاه بسبب نقص قطع الغيار وانحطاط مستوى الاصلاح والصيانة بسبب الثورة . بل أن ما بقى لديها من هذه الهليكوبترات يعمل بدأ يتآكل تدريجياً أثناء الحرب ولذلك لم تتمكن الا من استخدامها بأعداد صغيرة ولكنها لم تكن قوة رئيسية مؤثرة .

أما العراق فكان لديها عدد كبير نسبيا ولكنها لم تستطع التغلب على المشاكل التى قابلته فى الاستخدام . وحاولت استخدام هذه الهليكوبترات كقطع مدفعية متقدمة للضرب على القوات الايرانية المتقدمة أمام الحد الامامى للدفاعات الايرانية . ونادراً ما استخدمت العراق هذه الهليكوبترات للضرب فى العمق أو لابرار قوات خلف أوضاع العدو أو على أجنابه . ومن المعروف أن استخدام هذه الهليكوبترات كاحتياطيات مضادة للدبابات طائرة تدفع فى الوقت والمكان المناسبين لصد اختراق أو لتدمير رتل مدرع ... الخ . ولكن العراق لم تستخدمها بهذه الصورة وفى مثل هذه المهام علما بأن طبيعة المسرح توفر طرق اقتراب مستورة لهذه الهليكوبترات بحيث يمكنها الوصول الى مؤخرة أو أجناب القوة المدرعة المعادية ثم باتخاذ أسلوب التعلق والأطلاق والاحتماء يمكنها احداث خسائر جسيمة فى هذه القوة بل تدميره احيانا اذا كان عدد الهليكوبترات مناسبا ، ثم بالمناورة وتغيير أماكن التعلق والاطلاق تتفادى أى خسائر من الاسلحة المضادة للطائرات المرافقة للمدرعات لحمايتها ، فزمن التعلق والاطلاق لا يتعدى بضع ثوانى لا تكون كافية لوسائل الدفاع الجوى احداث خسائر مؤثرة فى قوة الهليكوبترات القائمة بالضربة . وهذا الأسلوب يتطلب تدريبا راقيا وطيارين

على درجة عالية من المهارة وهو ما لم يتوفر فى قوة الهليكوبترات المسلحة العراقية . فمشكلة الطيارين العراقيين كانت مزيجا من عدم القدرة على الطيران ليلا ، وعدم المهارة فى اصابة الدبابات بدقة فى الاراضى الجبلية والمستنقعات وبالمناطق التى توجد بها تجمعات مدرعة ايرانية تستعد لشن الهجوم . وقد يكون ذلك لعدم توفر الوسائل الفنية والتكنولوجى للطيران ليلا ، ووسائل البحث عن اكتشاف الأهداف ليلا .

وهذا درس هام لكل من لديه هليكوبترات هجومية فعليه تزويدها بالتكنولوجيا اللازمة للطيران والاقتراب الآمن ليلا واكتشاف واصابة الأهداف ليلا وفى كل الأحوال الجوية وتكثيف تدريب الطيارين على تكتيكات استخدام الهليكوبتر الهجومية فى مختلف صور المعركة الحديثة .

١١ - المدفعية ذات المواسير والمدفعية الصاروخية

استخدم العراقيون حشود نيران المدفعية مع بداية قتال المدن الكثيف فى المدن الرئيسية لخوزستان فقبل دفع مشاتهم فى هذه المناطق نفذت المدفعية العراقية تمهيدا نيرانيا طويلا وصل الى ساعات طويلة لتليين واسكانت الدفاعات فى المدينة مستخدمة فى ذلك المدفعية بعيدة المدى . ولم تكن مؤثرة بالقدر المتوقع فى هذا القتال لأنه ادى الى تدمير للمبانى اكثر من اسكات وتدمير الموزاقع الدفاعية ، ولم يقتل ويصاب الا عدد قليل من المدافعين الايرانيين علما بأن تمهيدا بهذا الحجم وهذه الاستمرارية كان لابد أن يحدث خسائر فى القوة البشرية والمعدات والاسلحة بنسبة لا تقل عن ٢٥٪ وهو ما يحدث ومن المؤكد أن السبب فى ذلك يرجع الى فشل فى استطلاع الأهداف وتحديدها وتحديد احداثياتها بدقة وان التخطيط النيرانى للمدفعية كان ضعيفا وغير دقيق . واستمرت حشود النيران العراقية غير مؤثرة بالقدر اللازم الا فى حالة ضربها ضد الموجات البشرية التى استخدمتها ايران فى معظم هجماتها .

وحاولت العراق استخدام المدفعية فى قصف المدن والمناطق الآهلة بالسكان لتجبر ايران على اعطاء تنازلات ثم تجبرها على قبول وقف اطلاق النار . حتى أن صدام حسين قال فى كلمة وجهها للايرانيين « سنستمر فى ضربكم على رؤوسكم الى أن تعترفوا ببحقوقنا » .
وفى بعض الحالات وجهت ايران هذه الضربات (بالمدفعية) ضد أهداف عسكرية

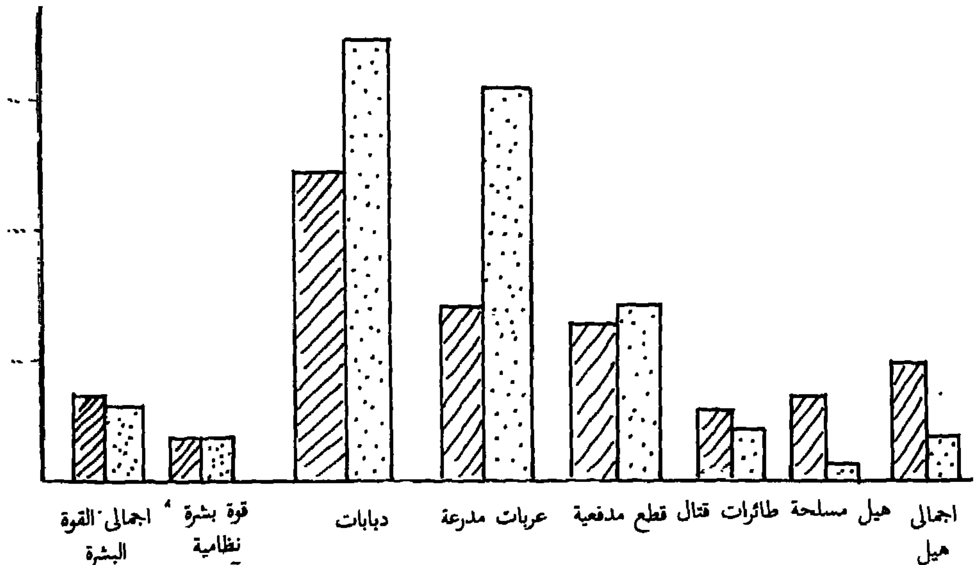
واقتصادية ومراكز سكانية وكلها أهداف لا تتطلب دقة النيران وانما ضرب مناطق . فعلى سبيل المثال قامت المدفعية العراقية بضرب معامل تكرير البترول فى عبدان فى المزاحل الأولى من الحرب . واستخدمت العراق المدفعية بعيدة المدى (مثل المدافع عيار ١٣٠) لضرب نيران ازعاج على المدن والمناطق الخلفية الايرانية . وكان الهدف من ذلك هو عرقلة التحركات والأعمال المدنية أكثر منه احداث خسائر . ولقد وصف احد الصحفيين قصف المدفعية فى قطاع البصرة بأن الذخيرة التى استخدمت فى الساعة الواحدة تقدر بألاف الدولارات وهو ما يوضح التكلفة المرتفعة لنيران المدفعية ، ويكفى كمثال واحد ان رشقة واحدة من كتيبة مدفعية صاروخية ب م ـــ ٢١ يستغرق اطلاقها اثنى عشر ثانية فقط تتكلف ما يقرب من نصف مليون دولار (الكتيبة تتكون من ١٢ قاذف بكل قاذف ٤٠ دليل أى أنها تقلق فى فى ١٢ ثانية ٤٨٠ طلقة صاروخية عيار ١٢٢ مم فى ١٢ ثانية) .

وخلال الفترة من عام ١٩٨٤ وعام ١٩٨٨ تحسن أداء المدفعية العراقية واصبحت اكثر تأثيراً وفاعلية فى حشد نيرانها ضد حشود المشاة الايرانية المتقدمة للهجوم ، فى القصف المضاد ضد المدفعية الايرانية ، وفى نثل النيران من هدف الى آخر أو مجموعة أهداف الى مجموعة أخرى بسرعة وبدقة . كما زاد الوزن النوعى للمدفعية ذاتية الحركة وبذلك تمكنت المدفعية من مرافقة المشاة والدبابات فى المعركة بنجاح . ورغم أن العراق لم يرتفع اداؤها الى مستوى معركة الاسلحة المشتركة المعروف فى الدول الغربية والكتلة الشرقية على حد سواء الا أن أداءها تحسن بشكل ملحوظ وكان ذلك عاملا حاسما فى انتصاراتها عام ١٩٨٨ .

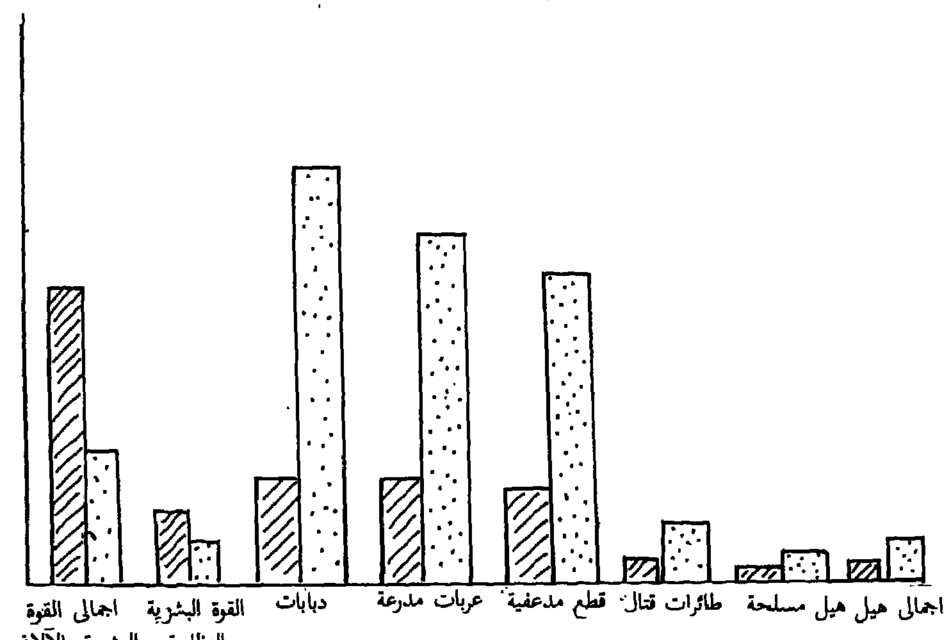
ومع أن ايران توسعت فى استخدام مدفعيتها الا أنه نلاحظ أنها لم تستخدم حشود النيران فى المواقف التى تطلبت هذه الصورة من صور النيران . فلقد ذكرت احدى وكالات الانباء أن سبب نجاح العراق فى القتال من أجل سوسانجيرد يرجع أساسا الى ضعف معاونة المدفعية الاير انية بالنيران . وهذا النقص فى معاونة المدفعية للوحدات الذى واجهته القوات الايرانية فى المراحل الاولى من الحرب لم تكن الا عيبا فى التنظيم اكثر منه بسبب نقص فى الامكانات أو بسبب نقص فى التأمين الفنى للاسلحة .

ومع ذلك فلقد استخدم الايرانيون حشود النيران ضد أهداف كالبصرة والدفاعات العراقية بنفس الأسلوب الذى اتبعته العراق ولو أن حجم المدفعية المشتركة كان أقل بكثير مما استخدمته العراق . كما أن ايران لم تعتمد على وسائل حديثة لتحديد الأهداف .

وعلى الرغم من كل ما نشر من انباء مختلفة فان الضباط العراقيين والايرانيين على حدٍ سواء كانوا على يقين من أنهم فشلوا فى استخدام حشود المدفعية على المواقع الدفاعية لتحقيق خسائر جسيمة فى الطرفين ، وان استخدامها واستخدام تجمعات النيران على المدن والمناطق الآهلة بالسكان لاحداث صدمة سياسية أساساً . ويمكن مجازا أن نطلق على هذا النوع من القصف « النيران العمياء » .



مقارنة القوات عام ١٩٨١



مقارنة القوات عام ١٩٨٥

متوسط الانتاج الشهرى من البترول لايران والعراق
فى الفترة من عام ١٩٨٧ وعام ١٩٨٨

التاريخ	ايران	العراق
عام ١٩٨٧ :		
مايو	٢,٦	١,٩
يونيو	٢,٥	٢,-
يوليو	٢,٥	٢,-
أغسطس	٢,٧	٢,٢
سبتمبر	٢,١	٢,٣
أكتوبر	٢,٤	٢,٥
نوفمبر	٢,٢	٢,٦
ديسمبر	٢,٢	٢,٦
عام ١٩٨٨ :		
يناير	٢,-	٢,٤
فبراير	١,٩	٢,٥
مارس	٢,-	٢,٥
ابريل	٢,٢	٢,٧
مايو	٢,٢	٢,٦
يونيو	٢,٢	٢,٧
يوليو	٢,٣	٢,٨
أغسطس	٢,٣	٢,٦
سبتمر	٢,٤	٢,٧
أكتوبر	٢,٤	٢,٧
نوفمبر	٢,٥	٢,٧

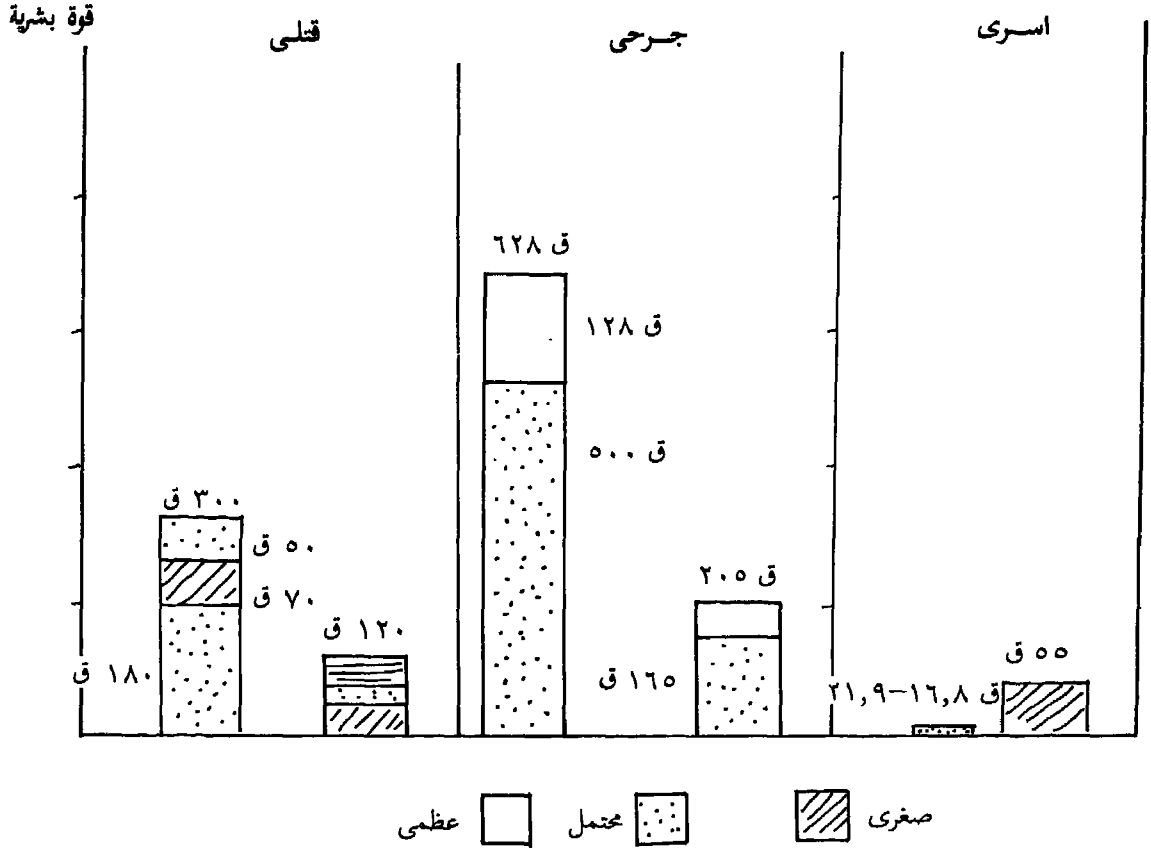
اعداد الصواريخ أرض – أرض التى اطلقت فى الحرب

السنة	العراق		ايران	
	فروج–٧	سكود	وجلاب	سكود
١٩٨٠	١٠	–	–	–
١٩٨١	٥٤	١	–	–
١٩٨٢	١	٣	–	–
١٩٨٣	–	٣٣	–	–
١٩٨٤	٢	٢٥	–	–
١٩٨٥	–	٨٢	١٤	–
١٩٨٦	–	–	٨	١٨
١٩٨٧	–	٢٥	١٨	٦١
١٩٨٨	–	١٩٣	٢٣١	١٠٤
اجمالى	٦٧	٣٦١	٢٧١	١٧٤

بيانات عامة

تطور حجم القوات البشرية النظامية وغير النظامية

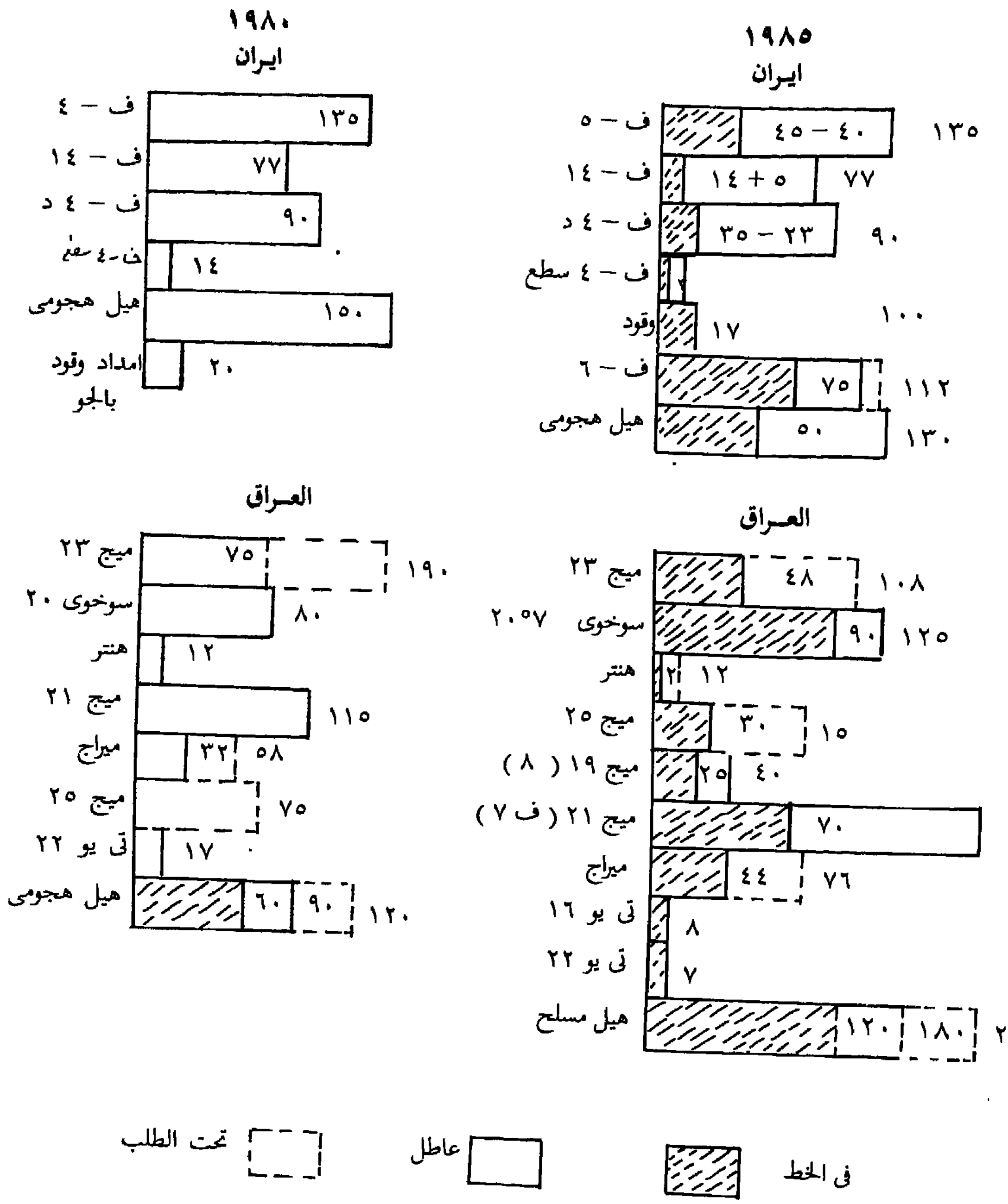
	ايران			العراق			
السنة	١٨٨٠ – ١٨٨١	١٩٨١ – ١٩٨٢	١٩٨٣ – ١٩٨٤	١٩٨٠ – ١٩٨١	١٩٨١ – ١٩٨٢	١٩٨٣ – ١٩٨٤	١٩٨٤ – ١٩٨٥
القوة النظامية	٢٤٠٠٠٠	١٩٥٠٠٠	٥٥٥٠٠٠	٢٤٢٠٠٠	٢٥٢٠٠٠	٥١٧٠٠٠	٦٤٢٠٠٠
الجيش	١٥٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	٢١٠٠٠٠	٤٧٥٠٠٠	٦٠٠٠٠٠
البحرية	٢٠٠٠٠	١٠٠٠٠	٢٠٠٠٠	٤٢٥٠	٤٢٥٠	٤٢٥٠	٤٢٥٠
القوات الجوية	٧٠٠٠٠	٣٥٠٠٠	٣٨٠٠٠	٣٨٠٠٠	٣٨٠٠٠	٣٨٠٠٠	٣٨٠٠٠
احتياط	٤٠٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠	٣٥٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠	٧٥٠٠٠	٧٥٠٠٠
ميليشيات	٧٥٠٠٠	٧٥٠٠٠	٢٥٠٥٠٠٠	٧٩٨٠٠	٧٩٩٠٠	٤٥٤٨٠٠	٦٦٠٠٠٠



ترمومتر الخسائر (قتلى) فى متصف ١٩٨٤

حجم الأفراد الذين تأثروا بالحرب ٨٠ مليون
اجمالى التكلفة ٢٠٠ مليار دولار
تكلفة الحرب ٢٠٠ مليار دولار

حجم الأفراد الذى هجروا ١٢ مليون
تكلفة الدمار ٤٠ مليار دولار



تغير موقف القوات الجوية فى الفترة من ١٩٨٠ الى ١٩٨٥

مقارنة مدى العمل القتالى للطائرات

نوع الطائـرة	التسليح بالحمولة (رطل)	اعتراض	داورية جوية	معـاونة أرضـية (للقـوات البريـة) عالى – منخفض – عالى حمولة وقود عادى		منخفض – منخفض
ا – ٤ – ن	—	—	—	٣٨٥	—	٢٤٠
ا – ٦ – ى	٦٠٠٠	—	—	٧٠٠	٩٥٠	—
ا – ٧ – د/ى	٣٠٠٠	—	—	٥٥٠	٦٥٠	—
ا – ١٠	٣٠٠٠	—	—	٤٠٠	٥٠٠	٢٥٠
ب – ٥٢ ج	٦٠٠٠٠	—	—	٨٤٠٦	١٢٠٠٠	٧٨٠٠
ف ١٠٤ ا	—	٢٢٨	—	—	—	—
ف ٤ ى	٤٠٠٠	٤٢٩	٦٦٣	٢٧٥	٤٠٠	٢٥٧
ف ٥ ا	—	١٧٠	١٨٦	—	٤٨٥	—
ف ١٥ س/د	٨٠٠٠	—	٧٢٩	٧٥٠	٥٩٠	٤٥٠
ف ١٥/ى	٨٠٠٠	—	٧٢٩	٧٥٠	٩٩	٤٥٠
ف ١٨ ا/ب	٥٠٠٠	—	٦٧٥	٥٣٠	—	٣٥٠
ف ١٦/ب	٥٠٠٠	—	٦٤٠	٥٦٥	—	٣٤٥
ميج ١٧	—	—	—	٢٢٠	—	٨٠
ميج ١٩	—	١٥٠	٢٥٠	٢٥٠	—	١٣٠
ميج ٢١ ف	—	٢٥٠	٣٢٥	—	—	—
ميج ٢١ م ف	—	١٤٠	٢٢٠	٣٥٧	—	١٢٠
ميج ٢١/س م ت	—	١٨٤	٢٣٣	٤٣٤	—	١٥٠
ميج ٢٣ س	٤٠٠٠	٥٥٠	٧٠٠	٥٢٥	—	٢٩٦
ميج ٢٧	٤٠٠٠	٣٨٠	٧٥٨	٥٨٠	—	٣١٠
ميج ٢٣ م س	—	٥٥٠	٧٠٠	٥٦٠	—	٢٩٦
ميج ٢٧	٤٠٠٠	٣٨٠	٧٥٨	٥٨٠	—	٣١٠
ميج ٢٣ م س	—	٥٥٠	٧٠٠	٥٦٠	—	٢٩٦
ميج ٢٣ ب م	—	—	—	—	—	—
ميج ٢٥ ا	—	٥٩٣	١٠٧٩	١١٨٧	—	٣٩١
ميج ٢٩	٨٨٢٠	٤١٥	٥٠٠	٤٢٨	—	٣٨٥
ميج ٣١	—	٦٨٠	١٢٠٠	١٢٠٠	—	٥٨٠
ميراج ٣ ى	—	١٥٦	٢١٨	٣٢٥	—	١٦٠
ميراج ٥	—	١٧٣	٢٥٨	٣٥٠	—	٢١٨
ميراج ف ١ س	—	٣٦٥	٥٣١	٥٩٣	—	٣٤٨
ميراج ف ١ ى	—	٣٧٥	٥٩٠	٦٠٠	—	٣٦٠
ميراج ٢٠٠٠	—	٥٠٠	٦٠٠	—	٤٢٠	
سو ٧ ب	—	—	—	٢٠٠	—	١٤٠
سو ١٧	٦٠٠٠	—	—	٣٣٠	—	١٩٠
سو ٢٠	—	—	—	٣٤٠	—	٢٠٠
سو ٢٤	٤٠٠٠	—	—	٩٧٠	—	٢٢٠
سو ٢٧	—	—	٥٩٠	٧١٥	—	—

جدول يوضح مشتروات الأسلحة والمعدات الايرانية والعراقية من الدول المختلفة

اسم الدول المصدرة	مشتروات العراق	مشتروات ايران
الولايات المتحدة الأمريكية	صفر	صفر
فرنســا	٤,٥ مليار دولار	٤٠ مليون دولار
بريطانيا العظمى	٧٠ مليون دولار	٨٠ مليون دولار
ألمانيا الشرقية	٦٢٥ مليون دولار	صفر
الاتحاد السوفيتى	١٥,٣ مليار دولار	٢٤٠ مليون دولار
بولندا	٥٢٥ مليون دولار	٢٠ مليون دولار
تشكوسلوفاكيا	٤١٠ مليون دولار	٣٠ مليون دولار
الصين الشعبية	٣,٣ مليار دولار	١,٢ مليار دولار
دول أخرى	٧,٠١ مليار دولار	٦,٧٨٥ مليار دولار
اجمــالى	٣١,٧٤٠ مليار دولار	٨,٤٠٥ مليار دولار

تم بحمد الله تعالى

رقم الإيداع ١٠٥٩٤ / ٩٣

I.S.B.N: 977-00-6194-8